نظم الجمان

لترتيب ما سلف من أخبار الزمان

لابن القطان المراكشي

أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي

(منتصف القرن السابع الهجري)

درسه وقدم له وحققه

الدكتور محمود علي مكي

أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الآداب جامعة القاهرة

وعضو مجمع اللغة العربية

دار الغرب الإسلامي

نظم الجمان

لترتيب ما سلف من أخبار الزمان

لابن القطان المراكشي
أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي
(منتصف القرن السابع الهجري)

درسه وقدم له وحققه
الدكتور محمود علي مكي
أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الآداب جامعة القاهرة
وعضو مجمع اللغة العربية

دار الغرب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هى الطبعة الثانية من الكتاب الذى نقدم بين يديه بتلك السطور ، بعد خمس وعشرين سنة من ظهور طبعته الأولى (فى سنة 1964) فى تطوان ، تلك المدينة الجميلة من مدن شمال المغرب العربى الشقيق . وكانت الطبعة الأولى قد صدرت وعلى غلافها أن الكتاب من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط وبمساهمة المركز العلمى الجامعى للبحث العلمى وتحت إشراف معهد مولاى الحسن للبحوث فى تطوان .

وتطوان مدينة أحمل لها أجمل الذكريات ، فقد كانت أول ما عرفته من مدن المغرب الأقصى ، هذا البلد الطيب الحبيب الذى كان من أكثر بلاد عالمنا العربى حفاظاً على تراثه العربى ومنافحة عن شخصيته الإسلامية إزاء هجمات الاستعمار الشرسة ، كما كان ولا يزال مستودعاً لثقافة الأندلس وفكرها بعد أن غربت شمس الإسلام عن تلك البلاد . وقد لقيت من أهل تطوان منذ أن حللت فى رحابها لأول مرة من الحفاوة والإكرام ما لا يزال لسانى يلهج به . ولم يشب صفاء هذه الذكريات المحببة إلى النفس إلا أن ذلك الكتاب الذى آثرت به تطوان رمزاً لمحبتى لها قد صدر فى طبعة رديئة أصابها من التشوه والتحريف والأخطاء ما لا مزيد عليه ، حتى إننى اضطررت لإلحاق ست صفحات من الاستدراكات والتصويبات لم أستطع منها إلا أبرز الأخطاء ، وحتى هذه القائمة لم تسلم بدورها أيضا من التحريف . وحمدت الله عند صدور الكتاب آنذاك على أنه لم يطبع منه إلا نسخ قليلة لا تتجاوز بضع مئات ، وإن كنت آسفاً لأن الانتفاع به لم يكن على ما كنت أرجوه له من السعة والانتشار .

ولست أود الآن [illegible] هذا الحادث المؤلم ولا فيما أعقب نشر الكتاب

على تلك الصورة من مرارة كان من بينها أن رثت حبال المودة بيني وبين أصدقاء كانت لهم في [illegible] أثيرة ، وإن لم ينل ذلك من حب تأثل في نفسي لتطوان رعاها الله ورعى ساكنيها .

ومن عجب على ما ذكرته من أمر الكتاب أنني أعرضت عن النظر فيه من مدة قرابة ربع قرن ، وكنت أردد حينما ألتقي به قول شاعرنا القديم :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تعد إليه بوجه آخر الدهر تقبلُ

إلى أن جمعتني الظروف بالصديق العزيز الناشر التونسي الحاج الحبيب اللمسي صاحب الفضل الكبير في الاهتمام بنشر التراث المغربي والأندلسي ، فألحَّ عليّ في إخراج طبعة جديدة من هذا الكتاب الذي أفسدته طبعته الأولى ، ولم يكن أمامي إزاء حماسته وغيرته إلا أن أستجيب لرغبته شاكراً له ومقدراً عنايته الكريمة . وهكذا استخرت الله وشرعت في إعداد هذه الطبعة الثانية التي تكفلت بها [illegible] الحاج ، وهي طبعة أرجو أن تكون تكفيراً عما ارتكب في حق الكتاب في طبعته الأولى . ويكفي أن أقول إنها سلمت – إن شاء الله – مما كان بالأولى من أخطاء كثيرة لم تكد تسلم منها صفحة واحدة ، وإن فيها إسهامات كثيرة كانت ثمرة لتقدم البحث العلمي حول تاريخ المغرب والأندلس خلال السنوات الأخيرة . وقد كنت رجعت في الطبعة الأولى إلى مصادر كانت لا تزال مخطوطة ، منها على سبيل المثال قطعة من « البيان المغرب » خاصة بدولة المرابطين كانت مما تفضل بإعارتي إياها المستشرق الإسباني أمبروسيو أويثي ميراندا قبل أن ينتقل إلى الدار الآخرة ، ثم نشرت بعد ذلك مرتين ، وكذلك كتاب « المن بالإمامة » لابن صاحب الصلاة الذي قام بتحقيقه الصديق العالم الجليل الدكتور عبد الهادي التازي ونشره في بيروت ، وأجزاء من كتاب « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي قبل أن يضطلع بتحقيق أسفاره الصديقان الدكتور إحسان عباس ومحمد بنشريفة . وكذلك تمت خلال السنوات الأخيرة إعادة طبع

عدد من المصادر الرئيسية فى تاريخ المغرب مثل القسم الموحدى من كتاب « البيان المغرب » و« الحلل الموشية » و« روض القرطاس » و« الذخيرة السنية » . وحملنى ذلك على إعادة النظر فى كثير من حواشى « نظم الجمان » ومراجعتها وجعلها مساوقة لتلك الطبعات الجديدة التى أصبحت فى متناول أيدى القراء .

على أن أهم ما أصاب هذه الطبعة الجديدة من تغيير كان فى الدراسة التى قدمت بها للكتاب والتى كان موضوعها تحقيق نسبة الكتاب وسيرة مؤلفه . وكنت فى الطبعة الأولى قد تبينت خطأ النسبة التى أثبتها ليفى بروفنسال ، وهو أول من عَرَّف بالكتاب ونشر صفحات منه ، وكان قد بدر إلى ظنه أنه لأبى الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكتامى الفاسى المراكشى المعروف بابن القطان (والمتوفى سنة 628/1231) ، وتابعه على ذلك كل من أتى بعده من الباحثين . غير أننى رجحت ترجيحاً قريباً من اليقين أن الكتاب لابد أن يكون لابن لهذا المؤلف مختلِف فى اسمه وكنيته ، وأن هذا الابن قد امتدت به الحياة نحواً من عشرين سنة بعد وفاة والده . ولهذا فقد أفردت صفحات لتتبع حياة الرجلين : ابن القطان الأب وابنه ، بقدر ما أعانت المصادر التى كانت تحت يدى . ولم أكد أشرع فى إعداد الكتاب ودفعه للمطبعة حتى وافانى البريد بهدية قيمة مما اعتاد أخى الدكتور محمد بنشريفة أن يتحفنى به من جهوده وجهود زملائه من علماء المغرب ، وكانت فى هذه المرة السفر الثامن من كتاب « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشى (طبعة الرباط سنة 1984) وقد تصدرت هذا السفر دراسة طويلة مستقصية لحياة ابن عبد الملك ومؤلفاته وتلاميذه ، كما تضمن الكتاب نفسه ترجمة مطولة لابن القطان الأب حافلة بالأخبار الجديدة عن سيرته ومتضمنة تفاصيل كثيرة عن ابنه أبى محمد حسن الذى ثبت لى أنه هو نفسه مؤلف « نظم الجمان » . وهكذا قطعت هذه المعلومات الجديدة الشك باليقين ، وأثبتت أننى لم أبعد عن الصواب فيما رجحته فى طبعة الكتاب الأولى .

ولهذا كان علىّ أن أعيد صياغة تقديمى للكتاب مضيفاً إليه كل ما استفدته من هذا المصدر وغيره مما صدر خلال السنوات الأخيرة . ثم زدت على ذلك عدداً من الفهارس الجديدة التى أخلت بها الطبعة الأولى . وقد اقتضى العمل منى فى هذه الإضافات جهداً كبيراً على ضيق فى الوقت وزحمة من الأعمال . فعسى أن يكون فى هذا الجهد ما يفيد الباحثين فى تاريخ مغربنا العربى وسد بعض الثغرات فى دراسة ماضيه القديم .

ولا يبقى لى بعد ذلك إلا التوجه بالشكر أولاً للصديق الكريم الحاج طيب اللمسى وللقائمين على طبع الكتاب فى مكتبة الخانجى الذين أذكر لهم صبرهم علىّ خلال الوقت الطويل الذى استغرقه العمل فى الكتاب وما اقتضته المراجعات من تصحيحات وتغييرات كثيرة ، وأخص بالذكر منهم الأخ العزيز الأستاذ محمد الخانجى ، ثم أعبر عن شكرى الجزيل لكل من أعاننى على استكمال هذا العمل ولا سيما ابن أختى الشاب النابه محمد مغربى مكى الذى اضطلع بالجانب الأكبر من إعداد فهارس الكتاب وأفادنى ببعض الملاحظات التى تكشف عن مواهب واعدة بمستقبل مشرق فى ميدان التحقيق والبحث العلمى ، ولا أنسى أن أقدم الشكر كذلك للأخ العزيز الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف الذى راجع معى فصولا من هذا الكتاب .

ولا يفوتنى أن أنوه أخيراً - بل أولاً - بفضل شيخى أستاذ المحققين عالمنا الكبير أبى فهر محمود محمد شاكر الذى نرجو أن يوفقنا الله للاقتداء به والسير على هدى خطاه مد الله فى عمره ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الجديدة فى 23 جمادى الآخرة 1410 هـ
20 يناير 1990 م

محمود على مكى

تقـديـم

تمهيد :

بقي تاريخ المغرب والأندلس في ظل دولتي المرابطين والموحدين يكتنفه الغموض والاضطراب حتى نهاية القرن الماضي ، فقد كانت مراجعنا عنه لا تتعدى بضعة كتب لم توله من العناية ما هو جدير به ، مثل كتاب « العبر » لابن خلدون و « الحلل الموشية » لمؤلف مجهول و « روض القرطاس » لابن أبي زرع و « المعجب » لعبد الواحد المراكشي و « تاريخ الدولتين » للزركشي و « الكامل » لابن الأثير ، ولهذا فقد كانت كتابة تاريخ علمي دقيق لهاتين الدولتين أمراً عسيراً كل العسر ، لم يقدم عليه في القرن الماضي إلا المؤرخ الألماني جوزيف أشباخ في كتابه عن المرابطين والموحدين الذي قام بترجمته البحاثة المصري الأستاذ محمد عبد الله عنان ، وهو محاولة طيبة إلا أنه لم يستطع – بحكم قلة المراجع المعروفة في أيام المؤلف – ان يسد الفراغ أو يفي بالغرض . ثم اضطلع المستشرق الهولندي العظيم رينهارت دوزي بكتابة « تاريخ المسلمين في الأندلس » فأنجز منه ثلاثة أجزاء وقف بها عند فتح المرابطين للأندلس ، وأعقبه الأستاذ ليفي بروفنسال ، ولكنه لم يتعد بدوره نهاية الخلافة الأموية في الأندلس ، وإن كان كتابه يدل على مدى التقدم الذي أحرزته الدراسات الأندلسية منذ أن وضع دوزي كتابه حتى العصر الحاضر .

على أن السنوات الأخيرة شهدت اهتماما متزايدا من جانب بعض الباحثين من عرب ومستشرقين بالدولتين المرابطية والموحدية اللتين اتحدت تحت رايتهما بلاد المغرب والأندلس في نظام سياسي واحد ، فقد نشر عدد كبير من النصوص المتعلقة بهما ، وتقدمت الأبحاث الجزئية الخاصة بهما تقدما ملحوظا . وكان على رأس هذه النصوص الجديدة كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي الذي نشره لوشياني في الجزائر سنة 1903 مع تقديم عظيم القيمة

للمستشرق جولد تسيهر ، ثم كتاب « أخبار المهدي بن تومرت » لأبي بكر الصنهاجي الملقب بالبيذق مع مجموعة أخرى من الرسائل الموحدية و « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » ، وقد نشر ليفى بروفنسال الكتابين في باريس سنة 1928 وفي الرباط سنة 1938 على الترتيب . كذلك قام الدكتور حسين مؤنس وكاتب هذه السطور بنشر عدة مجموعات من رسائل الدولة المرابطية ، هذا إلى غير ذلك من نصوص ليست تاريخية بمعنى الكلمة وإن كان لها قيمة كبيرة في إجلاء الكثير من جوانب الحضارة المغربية والأندلسية في ظل هاتين الدولتين العظيمتين .

أما الأبحاث الحديثة فقد نشر منها في السنوات الأخيرة كتابان عن دولة المرابطين ، أحدهما بالعربية للدكتور حسن أحمد محمود « قيام دولة المرابطين » (القاهرة سنة 1957) والآخر بالإسبانية للدكتور خاثينتو بوسك فيلا وعنوانه « المرابطون » (تطوان سنة 1956) ، وهما بحثان طيبان اجتهد مؤلفاهما ما وسعهما الاجتهاد ، غير أن كتابة تاريخ شامل لدولة المرابطين ما زالت أمراً سابقا لأوانه ، إذ ما زالت هناك نصوص مخطوطة لا غنى عنها لمؤرخ هذه الدولة ، وكثير منها لم يكن بعد متيسرا بين يدي هذين الباحثين .

وأما الدولة الموحدية فقد كانت أسعد حظا من تلك ، إذ توفر عليها عالم إسباني يعتبر حجة في تاريخ المغرب والأندلس بين القرنين الخامس والسابع الهجريين ، ونعني به الأستاذ أمبروسيو أويثي ميراندا الذي ظل حتى وفاته منذ سنوات قليلة عاكفا على العمل في هذا الميدان عملا متواصلا بين ترجمة وتأليف ونشر نصوص . وأعانه على ذلك سعة اطلاعه على المراجع الإسلامية والمسيحية على السواء ، ثم إحاطته بجميع النصوص العربية التي تناولت دولتي المرابطين والموحدين ، إذ توفر لديه كل ما صدر [illegible] [illegible] أصول مخطوطة ، فقام أولا بترجمة نصوص « الحلل الموشية » و « [illegible] » و « البيان المغرب » إلى الإسبانية [illegible] أصول

فريدة من مخطوطات متصلة بهذا الموضوع ، منها القسم الثاني من كتاب « المن بالامامة » لابن صاحب الصلاة ، والجزء الوحيد المعروف لنا من هذا التاريخ القيم لدولة الموحدين هو الذي يوجد الآن في مكتبة « البودليانا » في أوكسفورد [1] ثم عدة نسخ مخطوطة من كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري المراكشي ، وهو يعتبر أوسع المصادر التاريخية حول عصر المرابطين والموحدين ، فتوفر على نشره ، وأخرج منه طبعتين في تطوان في سنتي 1956 و 1960 [2] فضلا عن قطع أخرى عثر عليها بعد ذلك ، ومكنه هذا من إخراج كتابه القيم « التاريخ السياسي لدولة الموحدين » (تطوان 1956 — 1957) ، وهو خير ما صدر في هذا الميدان حتى اليوم .

وقد كان من بين المصادر التي رجع إليها أويثي جزء من كتاب « نظم الجمان » كان قد أعاره إياه المستشرق الفرنسي الاستاذ ليفي بروفنسال ، بعد أن نشر هذا منه قطعاً من قبل دون أن يعرف أن مؤلفه هو ابن القطان الكتامي على وجه التأكيد .

واتفق بعد موت الأستاذ ليفي بروفنسال سنة 1956 أن معهد الدراسات الإسلامية تمكن من شراء جزء من تركته من المخطوطات العربية ، وكان من بين هذه المخطوطات تلك القطعة الباقية من « نظم الجمان » ، فعكفت عليها واجتهدت في تحقيق النص وخدمته حسب هذه المخطوطة الوحيدة إذ أنني لا أعرف له نسخة أخرى في أي مكتبة من مكتبات العالم .

مؤلف الكتاب :

وقد كثر انتفاع الناس من كتاب « نظم الجمان » في القديم والحديث ، ولكن الغريب هو أن مؤلفه ربما كان أقل المؤرخين حظا من عناية متتبعي تراجم

---

(1) قام على نشر هذا الجزء الأستاذ [illegible] ، وطبعه في بيروت سنة 1964

(2) صدرت الطبعة الأولى بتحقيق الأستاذ أويثي [illegible] ، وأما الثانية وهي أكمل وأحسن من [illegible] (تطوان 1960) ، ثم صدرت [illegible] 1985)

الرجال ، إذ لا نجد أحداً اختصه بترجمة مفردة ولا عنى بالحديث عنه كما عنوا بمن هم أقل كثيراً من طبقته ، حتى اسمه وكنيته اختلف فيهما من أشاروا إليه إشارات عابرة كما سنرى .

وذلك أن معظم من نقلوا عن كتاب « نظم الجمان » مثل ابن عذارى المراكشي وصاحب « الحلل الموشية » وابن الخطيب الغرناطي يكتفون بأن يذكروا الاسم الذي اشتهر به المؤلف أي « ابن القطان » دون أن يضيفوا إلى ذلك علماً مميزاً ، وهذا هو ما أوقع الباحثين المحدثين في خطأ لم يكد يسلم منه أحدهم منذ أن جرهم إليه الأستاذ ليفي بروفينسال الذي كان أول من أشار إلى قيمة الكتاب ونشر فصولا منه ذلك أن الباحث الفرنسي تنبه إلى شخصية عالم مشهور ترجم له بعض المؤرخين المغاربة والأندلسيين وكانت له صلة وثيقة بالموحدين هو « أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان » والمتوفى سنة 628 هـ. (1230 م .) ، فظن أن هذا هو صاحب « نظم الجمان » [1] ، وزاد من عقيدة ليفي بروفنسال فيما سبق إليه ظنه أنه رأى ابن القطان يذكر في معرض بعض الأحاديث النبوية في « النظم » أنه ألف كتاباً باسم « الإحكام » [2] ثم رأى في ترجمة علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان المذكور أن له كتابا في شرح « الأحكام » لعبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي [3] ، فأكد ذلك ظنه بأن ابن القطان هذا هو صاحب « النظم » ، وعلى ذلك تابعه بعض

---

1) انظر ليفي بروفنسال : « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول المؤلف لظهور الدولة الموحدية » في مجموعة الدراسات المهداة إلى ذكرى العالم الفرنسي رينيه باسيه ، ط . باريس 1925 ، المجلد الثاني ص 130 - 338 .

2) انظر نص نظم الجمان ص 171 .

3) ولد سنة 510 هـ. وتوفي سنة 581 ، وهو صاحب كتاب « الأحكام » الذي وضع منه نسخاً : كبرى ، وصغرى ووسطى ، ومن هذا الكتاب مخطوطات كثيرة في مكتبات متعددة . انظر في ترجمته : بغية الملتمس للضبي ، رقم 1104 ؛ والتكملة لابن الأبار ، رقم 1805 ، وعنوان الدراية للغبريني ص 20 - 23 ؛ وبرو كلمان : تاريخ الأدب العربي 458/1 والملحق 634/1 .

الباحثين اللاحقين مثل الأستاذ عبد السلام بن سودة [1] والدكتور أحمد مختار العبادي [2] ، وهذا خطأ يتكشف لنا بالمقابلة التاريخية ، فابن القطان المذكور توفي سنة 628 هـ . كما أجمع على ذلك مترجموه ، بينما نرى أن صاحب « نظم الجمان » قد أدرك خلافة المرتضي الموحدي أبي حفص عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن [3] ، ونحن نعرف أن المرتضى ولي الخلافة بين سنتي 646 و 665 هـ . (1248 - 1266 م .) أي بعد وفاة ابن القطان المذكور بعشرين سنة على أقل تقدير . فالمؤلف إذن شخص آخر يحمل نفس اللقب والنسبة ، ولا يتفق مثل ذلك إلا إذا كان بين الرجلين قرابة وثيقة ، ولا أظنني أبعد عن الصواب إذا قلت إن صاحب « نظم الجمان » لابد ان يكون ابناً لذلك الفقيه المشهور الذي أولاه مؤرخو المغرب بعض عنايتهم كما سنبين في الصفحات التالية .

ابن القطان « الأب » : (562 - 628/1167 - 1231)

ولهذا فلا بأس في أن نعرف شيئا عن ابن القطان الذي نزعم أنه أبو مؤرخنا ، إذ أن ذلك سوف يلقي الضوء الكاشف على حياة ابنه [4] .

---

1) في كتابه « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » — تطوان 1950 ، ص 184 .

2) في مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين » — مجلة تطوان ، العدد الخامس سنة 1960 ، ص 140 .

3) انظر نص نظم الجمان ص 214 حيث ينص المؤلف على صلته بالخليفة المرتضى .

4) كنا في تقديمنا للطبعة الأولى من هذا الكتاب قد استنتجنا على سبيل الظن المقارب لليقين - أن النسبة التي رددها الباحثون المحدثون إلى أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المعروف بابن القطان المراكشي لا يمكن أن تكون صحيحة ، وأن المؤلف الحقيقي لابد أن يكون ابناً له ، وإن كنا لم نستطع القطع باسمه وكنيته . ويسعدني أن أذكر بين يدي هذه الطبعة الجديدة أن أذكر أن ذلك الاستنتاج كان صحيحاً تماماً . وكان الفضل في الوصول إلى ما نقطع به الآن يرجع إلى ظهور السفر الثامن من كتاب « الذيل والتكملة » لابن عبد الملك المراكشي (الرباط 1984) بتحقيق الصديق الكريم والعالم الجليل الدكتور محمد بنشريفه ، مع دراسة قام بها لهذا السفر في نحو مائة وخمسين صفحة وترجم فيها لحياة ابن عبد الملك ترجمة تعد نموذجا للدقة والضبط والإتقان شأن كل ما اعتدنا أن يطالعنا به الصديق بنشريفه —

وقد ترجم لابن القطان هذا مؤلفون كثيرون ، ولكن أوفى هذه الترجمات وأغناها بالمادة العلمية هي التي أوردها له ابن عبد الملك المراكشي في « الذيل والتكملة » ، وهي تمتد على طول ثلاثين صفحة [1] . على أننا سنجتزىء من هذه التراجم بما كتبه عنه ابن القاضي في « جذوة الاقتباس » :

« علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي ، من أهل مدينة فاس ، وأصله من قرطبة ، يعرف بابن القطان ، ويكنى أبا الحسن ، سمع أبا عبد الله بن الفخار وأبا الحسن بن النقرات ، وأبا عبد الله بن البقار [2] ، وأبا العباس بن سلمة اللورقي ، وأبا جعفر بن يحيى الخطيب ، وأبا ذر الخشني ، وأبا الوليد زكريا بن عمر القرطبي ، وأبا الحسن بن مؤمن ، وأبا عبد الله التجيبي ، وأبا البقاء يعيش بن القديم وغيرهم ، وممن كتب إليه ولقيه أبو جعفر بن مضاء ، وأبو محمد التادلي ، وأبو محمد بن الفرس ، وكتب إليه أبو عبد الله بن زرقون ، وأبو محمد بن عبيد الله ، وأبو خالد بن رفاعة ، وأبو الحسن بن كوثر ، وأبو عبد الله بن عروس ، وأبو محمد فليح ، وسواهم . وكان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله ، وأشدهم عناية بالرواية ، مع التفنن في المعرفة والدراية . وجمع برنامجاً مفيداً في مشيخته ، ورأس طلبة العلم بمراكش ، ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة . له كتاب « شرح الأحكام لعبد الحق » ، ومقالة في الأوزان ، والنظر في إحكام النظر . وحدث وأخذ عنه . وامتحن بالفتنة الحادثة بالمغرب أول سنة

من أعمال علمية . وقد أفرد ابن عبد الملك في هذا السفر ترجمة وافية لابن القطان « الأب » تضمنت إشارات مديدة إلى ابنه « أبي محمد حسن » الذي كان شيخاً لابن عبد الملك نفسه والذي ثبت لنا أنه مؤلف « نظم الجمان » . وهكذا قطع هذا النص الشك باليقين . على أن الترجمة المذكورة أفادتنا بأخبار أخرى تزيد الأمر جلاء فيما يتعلق بحياة الرجلين : الأب والابن وتطلعنا على علاقتهما بخلفاء الموحدين .

(1) السفر الثامن ، رقم 10 ص 165 – 195 .

(2) في مطبوع الجذوة « ابن البقال » وهو تحريف صححه الدكتور بنشريفه ، ص 165 ، حاشية 42 .

إحدى وعشرين وستمائة ، فخرج من مراكش ، وعاد إليها ، واضطرب أمره إلى أن توفى بسجلماسة وهو متولى قضائها من علة البطن أول شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وستمائة » [1] .

ولا تخرج الترجمات الأخرى لابن القطان عما ذكره ابن القاضى وإن كانت فيها زيادات وتفصيلات أخرى تستحق أن نتوقف عندها [2] ، هذا باستثناء الترجمة التى أفردها له ابن عبد الملك ، وهى أحفلها بالمادة مما يحملنا على أن نستصفى ما فيها من فوائد .

ونورد فى البداية ما ذكره ابن الزبير حول كتابه عن « الأحكام » لأبى محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلى ، فهو لا يقول إنه شرح له وإنما عنوانه عند ابن الزبير - وكذلك عند ابن عبد الملك « [بيان] الوهم والإيهام ، الواقعين فى كتاب الأحكام » ثم يضيف إلى ذلك قوله : « وهو من أجل التواليف فى بابه ، وإن كان لا يخلو من بعض تعسف وتحامل » [3] . ولسنا نعلم إن كان هذا كتابا آخر غير شرحه للأحكام أو أنه نفسه الشرح المذكور ضمنه ابن القطان مآخذه على كتاب عبد الحق الإشبيلى . وعلى كل حال ، فقد وصلت إلينا عدة نسخ مخطوطة من كتاب « الوهم والإيهام » بشهادة بروكلمان [4] .

كذلك نسجل اختلاف مترجمى ابن القطان حول أصله ومولده ،

---

1) جذوة الاقتباس ، ط . فاس الحجرية سنة 1309 ص 298 - 299 .

2) ابن الأبار : التكملة ، رقم 1920 ؛ ابن الزبير : صلة الصلة ، نشر ليفى بروفنسال ، ط . الرباط سنة 1938 رقم 268 ص 131 - 132 ؛ أحمد بابا التنبكتى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج (على هامش الديباج المذهب لابن فرحون) ط . القاهرة سنة 1351 ص 200 - 201 ؛ رحلة العبدرى ص 140 ؛ شمس الدين الذهبى : تذكرة الحفاظ 1704/4 ؛ العباس بن إبراهيم المراكشى : الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 75/9 ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب 128/5 ؛ بونس بويجس : المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون (ط . مدريد 1898) ص 276 ، رقم 233 .

3) صلة الصلة ص 132 .

4) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، الأصل الألمانى 458/1 ، والملحق 634/1 ، 678/2

وهو اختلاف لا يخلو من دلالة لها مغزاها . فابن عبد الملك يقول إنه « فاسى مستوطن مراكش [1] » ، وابن القاضى يجعله « من أهل مدينة فاس وأصله من قرطبة » . أما من ترجم له من الأندلسيين فإنهم يعدونه أندلسيا مع أن من المترجم أنه ولد فى فاس وعاش معظم حياته فى المغرب . فابن الأبار – مع اعترافه بأنه فاسى – يترجم له بين الأندلسيين ، ولا يضمه إلى « الغرباء » . وابن الزبير يقول إنه « من أهل قرطبة » ، وابن سعيد فى رسالته التى ذيل بها رسالة ابن حزم فى فضل الأندلس يصفه بـ « القرطبي الساكن بحضرة مراكش » [2] . وفى هذا الاختلاف مظهر من مظاهر التنافس بين علماء الأندلس والعدوة المغربية ، فقد كان كل من الفريقين يجتهد فى أن يضم إلى وطنه من العلماء من ظهر نبوغهم وشهرتهم فى مجال من مجالات المعرفة . وقد تنبه الدكتور بنشريفه إلى هذه الظاهرة عند دراسته لابن عبد الملك فسجل اعتزازه بمغربيته وامتعاضه من تعصب بعض الأندلسيين واهتضامهم حق أهل العدوة وقلة إنصافهم لهم ، وكان ابن الأبار بصفة خاصة هدفاً لهجوم ابن عبد الملك واتهامه بالعصبية لأنه عد من أهل الأندلس « جملة من الناقلة إليها » أى من الطارئين عليها وغير القاطنين فى الأصل بها « تشيعا واستكثاراً وإفراطا فى التعصب الذى كان الغالب عليه حتى غلا فيه » وقد أورد ابن عبد الملك أمثلة عديدة لهؤلاء العلماء الذين أدرجهم ابن الأبار بين الأندلسيين إفراطا فى التعصب ، نذكر من بينهم ابن المناصف الذى كان مولده بتونس أو المهدية والذى ختم ابن الأبار ترجمته بقوله « وذكره فى الغرباء لا يصلح ضنانة بعلمه على العدوة » [3] . وابن القطان – كما رأينا – يصلح مثالا آخر لهذا التنازع عليه بين العدوتين .

وقد استوفى ابن عبد الملك ذكر شيوخ ابن القطان ، إذ أنه نقل ثبت

---

1) ويحدد مولده فى فاس بفجر يوم عيد الأضحى سنة 562 (27 نوفمبر 1167) .

2) رسالة ابن سعيد فى فضل الأندلس حسبما أوردها المقرى فى نفح الطيب 180/3 .

3) انظر تقديم الدكتور بنشريفه للسفر الثامن ص 88 - 89 .

أسمائهم من برنامجه الذى ذكر أنه عمله بأخرة من عمره بعد الخمس والعشرين وستمائة ؛ لا أفاض فى ذكر تلاميذه منها كلامه عنهم بقوله « فى خلق لا يحصون كثرة أخذوا عنه بمراكش وغيرها من بلاد العدوة إلى إفريقية وبالأندلس » [1] .

وجدير بالذكر أنه ينص على أن من بين من رووا عنه ابنيه : أبا محمد حسن شيخ ابن عبد الملك وأبا عبد الله الحسين ، وكذلك ابن أخته أبا على عمر ابن محمد بن على بن عمار [1] .

كذلك أورد ابن عبد الملك قائمة طويلة بكتب ابن القطان زاد فيها على ما ذكره مترجموه الآخرون . هذا فضلا عما عنى بكتابته بخطه من أصول الحديث ، منها نسخة بخطه من « صحيح مسلم » و « السنن » لأبى داود . أما مؤلفاته هو فقد ذكر ابن عبد الملك من بينها :

- كتاب فى الرد على أبى محمد ابن حزم فى كتاب « المحلى » مما يتعلق به من علم الحديث .

كتاب فى أحكام الجنان ، مجلدان متوسطان .

شيوخ الدارقطنى ، مجلد متوسط .

النظر فى إحكام النظر ، وقد ذكره المترجمون الآخرون ، إلا أن ابن عبد الملك يعقب على هذا العنوان بقوله « وهذا الاسم من تسمية ابنه شيخنا أبى محمد » .

النزع فى القياس ، لمناضلة من سلك غير المهيع فى إثبات القياس ، وهو فى الرد على أبى على عمر بن محمد بن على الصنهاجى المعروف بابن الطوير (المتوفى سنة 622) . ويكرر ابن عبد الملك هنا عبارته السابقة « وهذه التسمية لشيخنا أبى محمد ابنه أيضا » .

تقريب الفتح القسى ، مجلد متوسط ، (يبدو أنه شرح أو اختصار لهذا الكتاب المعروف من كتب ابن العماد الإصبهانى) .

---

(1) [illegible] الثامن ص 100 .

- تمهيد من ذكره الخطيب فى تاريخه من رجال الحديث بحكاية أو شعر ، مجلدان متوسطان .
- ما يحاضر به الأمراء ، مجلد متوسط .
- أسماء الخيل وأنسابها وأخبارها ، مجلد متوسط .
- أبو قلمون ، مجلدان ضخمان .
- كتاب حافل جمع فيه الحديث الصحيح محذوف السند حيث وقع من المسندات والمصنفات ، كمل منه كتب الطهارة والصلاة والجنائز والزكاة ، فى نحو عشرة مجلدات .
- مسائل من أصول الفقه ، زعم أنه لم يذكرها الأصوليون فى كتبهم ، مجلد لطيف .

ويورد ابن عبد الملك بعد ذلك أسماء عدد من رسائله التى يسميها « مقالات متنوعة المقاصد » فيذكر منها :

- مقالة فى الإمامة الكبرى .
- مقالة فى القراءة خلف الإمام .
- مقالة فى الوصية للوارث .
- مقالة فى المنع من إلقاء التَّفث فى عشر ذى الحجة للمضحى .
- مقالة فى صنع المجتهد من تقليد المحدث فى تصحيح الحديث لدى العمل .
- مقالة فى الدين يوضع على يد أمين فيتعدى فيه .
- مقالة فى مشاطرة العمال .
- مقالة فى الأوزان والمكاييل .
- مقالة فى الطلاق الثلاث .
- مقالة فى الأيمان اللازمة .
- مقالة فى الختان .
- مقالة فى التسفير (أى تجليد الكتب) .

– مقالة فى معاملة الكافر (جمعها للخليفة الموحدى الناصر حين وفد عليه البابوج [1] ملك ليون) .
– المقالة المعقولة فى حكم فتوى الميت والفتوى المنقولة .
– مقالة فى فضل عاشوراء وما ورد فى الإنفاق فيه على الأهل .
– مقالة فى حث الإمام على القعود لسماع مظالم الرعية .
– مقالة فى تبيين التناسب بين قول النبى (ص) « يتوب الله على من تاب » وما قبله من الحديث .
– مقالة فى تفسير قول المحدثين فى الصحيح إنه حسن .
– مقالة فى تحريم التسباب .
– مقالة فى الوصية بالجنين .
– مقالة إنهاء البحث منتهاه عن مغزى من أثبت القول بالقياس ومن نفاه . ويعقب على هذا العنوان بقوله « وهذه التسمية لشيخنا أبى محمد ابنه أيضا » .

صلته بخلفاء الموحدين :

ونعرف ممن ترجموا لابن القطان أنه كان وثيق الصلة بخلفاء دولة الموحدين ، يقول ابن عبد الملك : « وكان معظماً عند الخاصة والعامة من آل دولة بنى عبد المؤمن » ، وكان يعقوب المنصور (الذى حكم بين 580 — 1198 و 595/1184) هو أول من قربه وأحظاه ، إذ عينه لقراءة الحديث بين يديه . وما زالت مرتبته ترتقى لدى المنصور حتى مضى لسبيله وخلفه ابنه محمد الناصر ، فظل ابن القطان على حظوته عنده ، وكذلك كان أمره فى أيام ابنه

1) البابوج (ويكتب أيضا البيوج) هو لقب ملك ليون ألفونسو التاسع Alfonso lx وهو بعجمية الأندلس El Baboso وقد فسره عبد الواحد المراكشى بأنه « الكثير اللعاب » وهو تفسير صحيح لأنه مشتق من اللفظ الإسبانى Baba أى اللعاب .

يوسف المستنصر حتى وفاة هذا الخليفة سنة 620 (1223) . ومعنى هذا أن ابن القطان ظل مقربا من الخلفاء الموحدين الثلاثة قرابة أربعين سنة ، كان خلالها متفرداً بالرياسة . على أن مكانته بدأت فى الاهتزاز فى أيام المستنصر . ويشرح لنا ابن عبد الملك أسباب ذلك فيقول إن مملكة آل عبد المؤمن أخذت فى الاختلال فى عهد هذا الخليفة بسبب عكوفه على راحته وإعراضه عن تدبير أمور الدولة وتفويض النظر فى الأمور كلها إلى وزرائه وحاشيته حتى ضاعت مصالح الناس وكثر الساعون بالفساد وانتشر فى أقطار المغرب ونواحى مراكش قطاع الطرق وتفاقم سوء الحال بعد أن أدرك الفساد حاشية المستنصر ومدبرى سياسته فقد كان كبير وزرائه أبو سعيد ابن جامع يقاسم أولئك اللصوص وقطاع الطرق ما ينتهبونه من التجار والمسافرين . ولما تمادى هذا الفساد أشار أبو الحسن بن القطان على الوزير بإنفاذ جيش إلى بعض نواحى مراكش لردع من نجم به من أهل البغى ، فتقاعس الوزير واعتذر بخلو بيت مال المسلمين . وحينئذ اقترح ابن القطان أن يُفْرَضَ على أغنياء مراكش قدر من المال . فأبى الوزير أن يفعل وقال إن ذلك سيوحش الناس ويخيفهم ، وحينئذ عرض أبو الحسن أن يكون الضامن لاستخراج ذلك المال وأن يقوم هو نفسه بالوساطة فى ذلك فيقوموا بدفع ما يتقرر عليهم متبرعين طائعين . واغتنم الوزير مقال أبى الحسن فأباح له الاضطلاع بذلك حتى يوقع كراهية ابن القطان فى قلوب أهل مراكش . وشرع هذا فى استخراج ما ضمنه من أموال فرفض التجار النزول عن شىء من أموالهم ، وشاع الخبر بين أهل مراكش فكرهوا أبا الحسن بسببه . ثم أشار ابن القطان على المستنصر بمشاطرة وجوه دولته أموالهم والإيقاع بهم فزاد بغضهم له ، وبلغ الأمر بهم أن تواطئوا مع أحد أطباء المستنصر فعمل على سمه . وقبل ذلك كانت واقعة العثمانى وابنه اللذين نهض ابن القطان بمحاكمتهما والاستيلاء على دار العثمانى بعد قتله . فكان ذلك أيضا مما زاد فى كراهية الناس له .

على أنه مع ذلك ظل قوى النفوذ خلال هذه المدة الطويلة ، ويسترعى نظرنا فى ترجمة أبى الحسن بن القطان ما يذكره كل من عرضوا له من

أنه « رأس طلبة العلم بمراكش ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة » . فرياسته للطلبة فى مراكش تحتاج إلى بعض التفسير . فنحن نعلم أن « الطلبة » كانوا من أهم أركان الدعوة الموحدية فى تنظيم الدولة منذ أن اختط محمد بن تومرت ذلك التنظيم ، وينبغى ألا نفهم من مصطلح « الطلبة » ما نفهم اليوم من أنهم شباب فى مستهل حياتهم الدراسية . وإنما هم طبقة من أعلى طبقات الدعوة الموحدية ، فهم عند ابن اليسع يلون طبقة أهل سبعين أى فى المكان الرابع من درجات الدعوة [1] . وهى إذن فى المكان الثالث عند من لم يروا أمر أهل سبعين صحيحا مثل ابن القطان مؤلف نظم الجمان ، فجعلوا الطلبة يلون أهل العشرة وأهل الخمسين [2] . فقد كان هؤلاء هم عمد الدعوة الموحدية والمبشرين بمبادئها كما يتبين من النصوص الموحدية . وكان ابن تومرت يعنى بتوجيههم إلى قبائلهم حتى يوطدوا أسس الدعوة [3] . كما كان يهتم بتعليمهم وتربيتهم وإعدادهم لعملهم الدعائى منذ نعومة أظفارهم أى منذ أن يصبحوا « حفاظا » . والحفاظ هم « صغار الطلبة » ، ومنهم تتألف الطبقة التى تلى « الطلبة » مباشرة [4] . وكثيراً ما كان الإمام الموحدى يوجه إليهم رسائل يبثها الخطوط العامة لسياسته وما ينبغى أن يتبعوه فى أعمال الدعاية والحفاظ على مصالح الدولة [5] . ونحن نرى

---

1) انظر نظم الجمان ص 82 .

2) نظم الجمان ص 83 .

3) انظر إشارة البيذق إلى إرسال محمد بن تومرت « طلبة الموحدين إلى قبائلهم » فى سنة 522 هـ . فى أخبار المهدى ص 132 .

4) نظم الجمان ص 82 وص 179 ؛ والحلل الموشية ص 109 (تحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء 1979) ؛ وانظر تعليق الدكتور أحمد مختار العبادى فى مقاله الذى سبقت الإشارة إليه عن الحلل الموشية ص 107 .

5) انظر مجموع الرسائل الموحدية ص 1، 11، 61 (إلى طلبة سبتة) ؛ ونظم الجمان ص 188 (إلى طلبة الأندلس) ، ومجموع الرسائل الموحدية ص 9 (إلى طلبة صنهاجة تاسغرت) ؛ وابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة (تحقيق الدكتور عبد الهادى التازى ، بيروت 1964) ص 307 (من يوسف بن عبد المؤمن إلى جميع الطلبة والأشياخ والعمال من الموحدين ببلاد العدوة والأندلس) .

من بين « طلبة » الموحدين رجالاً وصلوا إلى أرقى المناصب وأعزها على الإمام ، نذكر منهم أبا محمد عطية المنجصي الذى أرسله ابن تومرت إلى غجدامة ، فقتله أهلها ، واعتبره ابن تومرت شهيداً فاستباح بذلك دماء هذه القبيلة وأموالها [1] . ومنهم فى أيام عبد المؤمن الخطيب أبو الحسن الإشبيلي الذى يسميه ابن صاحب الصلاة « شيخ طلبة الحضرة » وكان عالي المرتبة لدى عبد المؤمن وابنه يوسف ، وكان يسمع الطلبة « عقيدة التوحيد » و « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت ويتولى لهم شرح غامضها وتقريب معانيها [2] ، وأبو بكر بن ميمون القرطبي الذى ولى القضاء لعبد المؤمن والتدريس لطلبة مراكش [3] ، والخطيب أبو محمد عبد الله ابن جبل الذى ولى الكتابة والخطابة لعبد المؤمن [4] .

ومن هذا نرى أن أبا الحسن بن القطان الكتامى كان من أكبر دعاة الموحدين وأبرز رجال دولتهم ، ولو أننا استعرنا المصطلح الحديث عند الكلام عن رجال الدعوات السياسية أو الدينية لقلنا إنه كان من « العقائديين » الذين أسندت إليهم الدولة الموحدية أرفع مناصبها الدعائية .

وقد وضع ابن القطان قلمه فى خدمة خلفاء الموحدين ، فقد رأينا من بين مؤلفاته رسالة فى « الإمامة الكبرى » ولاشك فى أن لهذه الرسالة صبغة دعائية فى الدفاع عن أحقية بنى عبد المؤمن فى الخلافة ، ويذكر ابن عبد الملك أن من المآخذ التى نعيت عليه غلوه فى آل عبد المؤمن وإفراط تشيعه فيهم ، حتى إنه عد يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن فى جملة شيوخه الذين ضمنهم برنامجه ، ثم يقول : « وليته لو وقف فى أمره عند هذا الحد ، ولكن تعداه إلى منزلة تفضى بالهاوى منها إلى مقت الله والتعرض لغضبه وعظيم سخطه » ، وذلك أنه حينما ذكر

---

(1) نظم الجمان ص 138 ؛ والبيذق : أخبار المهدى ص 132 ، وابن خلدون : العبر 228/6 .

(2) نظم الجمان ص 212 ؛ والمن بالإمامة ص 228 .

(3) نظم الجمان ص 212 ؛ والمن بالإمامة ص 226 .

(4) نظم الجمان ص 210 ، 212 ؛ والمن بالإمامة ص 211 .

شيخاً من أجل شيوخه وهو أبو القاسم أحمد بن يزيد بن مخلد القرطبي (المتوفى سنة 625 هـ / 1228) قال إنه لم يذكره باعتبار فضله ولا علمه وإنما لأنه نقل عبارة عن يعقوب المنصور يسجل فيها تاريخ ميلاده ، وعدّ ابن عبد الملك ذلك من جانب ابن القطان ضربا من الغلو القبيح والتزلف الكريه والإزراء بالعلم وأهله . وينشد ابن عبد الملك في ترجمته أبياتا لابن القطان في مدح المنصور وقد وضع في حجره المصحف الذي يزعمون أنه مصحف عثمان ، يقول فيها [1] :

ألا فاقدروا قدر هذا المقام   فهذا الإمام وهذا الإمام
إمام المصاحف في حجر من   به حفظ الله هذا الأنام
وناهيك من صحف كُرِّمَتْ   بحجر الكريم سليل الكرام
فطوبى لمن فاز من ذا وذا   بما فيه حظ ولو بالسلام

وهي أبيات غثة يهولنا فيها ما حشاه بها ناظمها من ملق ونفاق ، ومن غلو في مدح الخليفة يصل إلى حد الخروج عن الأدب والاستخفاف بالقيم الدينية ، فهو يقول في البيت الثالث إن صحف هذا المصحف قد شرفت بوضعها في حجر يعقوب المنصور !..

ولهذا فإن بعض من لقي أبا الحسن بن القطان كان « لا يرضاه ولا يرى الرواية عنه » [2] ، وينقل ابن عبد الملك عن أحد الزهاد الورعين قوله في ابن القطان : « ذلك شخص يصارع نفسه في أن يكون مهلبي الملوك » [3] .

كما يعدد عليه أشياء أخرى أُخذت عليه إلى جانب ملقه وتزلفه ، منها إفراط كبره وشدة عجبه حتى إنه كان يترفع أن يبدأ أحداً بالسلام ولا يرده على من يبدأ به ؛ وأنه كان دائم الغض من أهل العلم والإزراء بهم وتتبع سقطاتهم ،

---

(1) الذيل والتكملة 169/8 — 170 .
(2) نفس المصدر 171/8 .
(3) نفس المصدر 173/8 .

وكان إذا وفد منهم أحد على آل عبد المؤمن أسرع السعى فى قضاء مصالحه حتى يعود إلى بلده فيذيع شكره ، وحرصا على أن يتفرد بالرياسة ؛ ومنها استعماله المسكر وقد صح تناوله إياه وتأوله فيه ، وأخيراً كان من أشنع ما أخذ عليه تجرده لقتل الشيخ العثمانى وابنه المراهق ، واستباحته الاستيلاء على دارهما بعد قتلهما مكافأة لنفسه على تلك المحاولة . ولهذا العثمانى وابنه خبر طويل ساقه ابن عبد الملك بكل تفاصيله . ومجمله أن هذا الرجل كان موثقا شاهداً فى مدينة مراكش وكان له ابن صغير يذكر بذكائه وتصرفه فى العلوم على صغر سنه ، ونقل عن الصبى أنه كان يرى رؤى غريبةٍ ويُكَلَّم بقرائن وَيُنْذَر بإنذارات يقول إنها بواسطة ملائكة تارة وتارة بواسطة أنبياء ، وأن هؤلاء يخبرونه بما يكون فى المستقبل . وانتشر خبر الغلام وتزيد الناس فيه وقيل إنه تنبأ ، فتجرد له أبو الحسن ابن القطان وأمر بإحضاره مع أبيه ، وما زال يناظرهما ويستدرجهما فى الكلام حتى حقق على الصبى تهمة التنبؤ والخروج على السلطان وعلى والده تهمة التستر عليه ، ثم حكم عليهما بالقتل فقدم الغلام وأبوه فقتلا صبراً بالسيف . واستحل ابن القطان بعد ذلك الاستيلاء على دار الرجل وانتقاله إليها بالسكنى إلى أن خرج عن مراكش [1] .

ومن هذا تتضح لنا ملامح شخصية ابن القطان « ~~الأب~~ » فهو رجل لم تمنعه سعة علمه واشتغاله بالفقه والحديث عن ملابسة السلاطين والإقبال على مغانم الدنيا والتزلف المقيت للخلفاء ورجال الدولة والاستهانة بأحكام الشرع فى سبيل تحقيق مآربه . وهو فى جملته نموذج للعلماء الذين تغلب عليهم شهوات الدنيا ويدب الفساد فى أخلاقهم وضمائرهم .

محنته ووفاته :

ويستوقف نظرنا بعذ ذلك ما ورد فى ترجمة ابن القطان هذا من أنه « امتحن بالفتنة الحادثة بالمغرب أول سنة ٦٢١ ، فخرج من مراكش وعاد إليها

---

(1) انظر تفاصيل هذه القصة فى السفر الثامن من الذيل والتكملة ص 179 - 191 .

واضطرب أمره إلى أن توفى بسجلماسة وهو متولى قضائها » . فما هى هذه الفتنة ؟ وكيف كانت ملابساتها ؟ وما دور ابن القطان فى أحداثها ؟

الحقيقة أن سنة 621 (1224) المذكورة كانت فاتحة فترة مشئومة على الدولة الموحدية ، فقد بدأ فيها تصدعها وانهيار بنائها وتكالب أعدائها عليها : من بنى مرين فى داخل أرض المغرب ومن النصارى فى بلاد الأندلس ، هذا فضلا عن الخلاف الناشب فى صميم الأسرة الحاكمة .

وكان يوسف المستنصر بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور خامس خلفاء الموحدين قد توفى فى آخر سنة 620 بدون أن يعقب ، فتشاور أهل الحل والعقد بمراكش فى تعيين من يتقلد الأمر بعده ، فأشار بعضهم بتقديم عبد الله العادل بن يعقوب المنصور ، وكان واليا على مرسية بالأندلس ، وأشار آخرون بتقديم عبد الواحد أخى المنصور وكان شيخاً فى الستين من عمره ، وكان مذكوراً فى بيت بنى عبد المؤمن بحزم وجودة رأى ، وكان أبو الحسن ابن القطان شاهداً ذلك المجلس ، فكان من المشيرين بتقليد عبد الواحد ، إذ كان العادل يرمى بالميل إلى البطالة وإيثار الشهوات ، وبدر من ابن القطان تمثل ببيت شعر يعرض فيه بالعادل وحبه الغناء والملاهى ويشيد فيه بتدين عبد الواحد واستقامة خلقه :

إذا رتل القرآن فى جنح ليله « أُبَىُّ بن كعب » لم يُغنِّ « مخارق »

وانعقد الرأى على تولية عبد الواحد ، غير أنه لم يمض على خلافته شهران (وكان قد بويع فى الرابع عشر من ذى الحجة سنة 620/8 يناير 1224) حتى ثار عليه ابن أخيه العادل فنازعه الخلافة وطاعت له بعض بلاد الأندلس والمغرب ، ومازال حتى تمت له البيعة فى مراكش ، وخلع عبد الواحد بن يوسف ثم قتل بعد ثمانية أشهر من ولايته . ولم يخف على العادل موقف أبى الحسن ابن القطان وتعريضه به ، فهم بالقبض عليه والإيقاع به ، ثم رعى له قدم انقطاعه إلى أبيه وخدمته له ولأخيه الناصر وابن أخيه المستنصر ، فكف عنه ولكنه صرفه عن الدخول إلى القصر وحضور مجالس « الطلبة » ، واتفق آنذاك أن العادل نكب وزيره ابن أبى عمران التينملى

وأمر بتغريبه إلى ميورقة ، وكان ابن أبي عمران صديقا لابن القطان كثير العناية به والتعظيم لقدره حتى بلغت الخطط التي كان يتولاها أبو الحسن في أيامه ثلاث عشرة خطة . فلما نكب ابن أبي عمران تقلد الوزارة بعده أبو سعيد ابن جامع وكان يحقد على ابن القطان ، فلم يزل ينتزع منه ما كان بيده من خطط حتى لم يبق له إلا القليل الذي لا غناء فيه . وقد سبق أن أشرنا إلى أن ابن جامع بدهائه حمل ابن القطان على التورط في محاولته مصادرة أغنياء مراكش مما بغّضه إليهم منذ أيام المستنصر .

أما العادل فإن الأمور لم تستقر له ، إذ سرعان ما أعلن الثورة عليه أحد أفراد الأسرة المؤمنية ، وهو عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي ، نسبة إلى مدينة بيَّاسة في الأندلس Baeza لطول إقامته بها . ودخلت في طاعة هذا الأمير الثائر قرطبة ومالقة وغيرهما من مدن الأندلس حتى كاد ينزع الخلافة من العادل . وزادت الأحوال سوءاً منذ أن تحالف البياسي مع فرذلند (فرناندو الثالث Fernando III) ملك قشتالة ، فسلم له قيجاطة Quesada وغيرها من بلاد المسلمين . واستشرى الداء في المغرب أيضا ، إذ خالف على العادل عرب الخُلْط في سنة 624 (1227) . وبدا من الواضح أن العادل قد سقطت هيبته وضعفت يده عن القبض على أزمة الدولة . فلم يلبث أخوه نفسه أبو العلاء إدريس عامله على إشبيليه أن خلع طاعته ونادى بنفسه خليفة متلقبا بالمأمون . واغتنم الفرصة رجالات الموحدين ومشايخهم فدخلوا على العادل قصره وقبضوا عليه ثم قتلوه بعد أربعة عشر يوما من خلعه . ولكن الندم أدركهم بعد ذلك ، فقد خشى هؤلاء استقرار إدريس المأمون على العرش ، إذ ربما همت نفسه بالانتقام منهم والإيقاع بهم لما فعلوه بعمه وأخيه من قبل ، ثم إنهم استبطأوه ، فعزموا على خلعه ومبايعة شاب صغير من الأسرة المؤمنية هو أبو زكريا يحيى الملقب بالمعتصم بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور . وكان أبو الحسن ابن القطان ممن حضر نكث البيعة المأمونية وتقديم المعتصم ، وذلك خوفا من المأمون لكونه أخا العادل الذى كان يسيء الظن بأبي الحسن ، وطمعاً في نيل الحظوة عند المعتصم . غير أن الأمر لم يستقر لهذا الخليفة الذي نصبوه ، وبايع المأمون وهو في الأندلس

ما كان من خلع رجال الدولة إياه ونكثهم بيعته — وكان معظم كبارهم وفيهم ابن السلطان قد كتبوا له يؤكدون بيعته — فأحفظه ذلك وزاد حنقه ، فأجاز من الأندلس ومعه سبعمائة من فرسان النصارى وغيرهم من قبائل العرب ، فقصد مراكش وبرز إليه ابن أخيه المعتصم بظاهرها ، والتقى الجمعان على جبل إيقليز المطل على مراكش ، فهزم المعتصم وانتهبت محلاته ودخل المأمون المدينة في جمادى الأولى سنة 627 (مارس — أبريل 1230) فأعمل جنوده فيها النهب وأوقع بالموحدين الذين بايعوه ثم نكثوا بيعته انتقاما رهيبا ، إذ أمر بقتلهم بالرماح واحداً بعد آخر ، ثم تعقب فلول جيش المعتصم والقبائل التي ظاهرته فقتل منهم آلافا لا تحصى ، وأمر بتعليق رءوسهم على شرفات مراكش . ويبدو أن المأمون ضاق بهذه الدعوة الموحدية التي هرمت ودب الفساد في أوصالها فأعلن إلغاءها جملة ، وأزال اسم محمد بن تومرت المهدي من السكة والخطبة وقطع كل ما كان الموحدون قد جروا عليه منذ قيام دولتهم في المغرب ، وكتب في ذلك رسالته المشهورة التي يقول فيها : « ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق ، وألا مهديّ إلا عيسى بن مريم وما سمي مهديا إلا أنه تكلم في المهد ، وتلك بدعة قد أزلناها ، والله يعيننا على القلادة التي تقلدناها . قد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة ، فلذلك أزلنا عنه رسمه ، فتسقط وليُتْ ، وتمحى ولا تثبت . وقد كان سيدنا المنصور رضى الله عنه هم أن يصدع بما به الآن صدعنا ، وأن يرقع للأمة الخرق الذى رقعنا ، فلم يساعده لذلك أجله ، فقدم على ربه بصدق نية وخالص طوية [1] . وإذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة ، فما الظن بمن لم يَدْرِ بأى يد يأخذ كتابه !... » [2] .

---

1) يبدو أن ما أشارت إليه هذه الرسالة من عزم يعقوب المنصور على قطع الدعوة الموحدية وإزالة رسومها صحيح مؤكد ، فنحن نقرأ في « المعجب » لعبد الواحد المراكشي أخبارا تدل على أن المنصور صرح بشكه في الدعوة الموحدية وأعلن استخفافه بقواعدها وتعاليمها مثل عصمة المهدي وغير ذلك . انظر المعجب ، ط. القاهرة بتحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، القاهرة 1963 ص 368 - 369 .

2) ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الموحدي طبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1985) ص 286 - 287 .

أما أبو الحسن ابن القطان فإنه كان فى معسكر المعتصم حينما حلت به الهزيمة أمام المأمون فى ظاهر مراكش ، وكان يتولى القضاء فى حزبه . وحينما اقتحمت جيوش المأمون المدينة نهبت داره – التى كان قد اغتصبها من العثمانى – وذهب كل ما كان جمعه فيها من أموال وكتب ، ويذكر أن كتبه كانت سبعة عشر حملًا منها حملان مما كتبه بخطه . ولم يزل مع سلطانه المعتصم فى اضطرابه وفراره المستمر بين يدى عمه المأمون حتى لحق فى النهاية بسجلماسة ، فاستقر فيها متوليا لقضائها ، إلى أن أدركته منيته محسوراً على ما فقد من أهله وبيته وكتبه وسائر ممتلكاته . ولا شك فى أن مما زاد فى ألمه نبذ المأمون للدعوة الموحدية التى ظل ابن القطان من أشد دعاتها حماسة على مدى أكثر من أربعين سنة . وكانت وفاته فى أول ربيع الأول سنة 628 (7 يناير 1231) ودفن بجوار الجامع الأعظم بسجلماسة .

ابن القطان « الابن » :

مؤلف نظم الجمان :

إذا كنا قد أطلنا فى ترجمة ابن القطان « الأب » فإن ذلك يعود لأن ابنه أبا محمد مؤلف « نظم الجمان » كان وارث علمه وأبرز تلاميذه ومستودع ثقته ومؤلفاته ، بل إنه يبدو لنا أن أبا محمد كان يعد أباه مثله الأعلى فى كل شيء سواء فى العلم أو فى العصبية للأسس العقائدية لدولة بنى عبد المؤمن وتفانيه فى خدمتها ودفاعه عنها . بل إننا نراه كذلك يحتذى طريق أبيه فى التزلف لخلفاء هذه الدولة ومظاهرتهم بالحق وبالباطل ، فقد كان أبو محمد ابن القطان فى صلته بالخليفة المرتضى الموحدى كما كان أبوه فى صلته بالخلفاء الذين عاصرهم من يعقوب المنصور حتى المعتصم .

على أنه إذا كانت كتب التراجم قد أفادتنا بكثير من أخبار أبى الحسن ابن القطان – وتخص بالذكر ابن عبد الملك الذى كانت ترجمته له حافلة بالتفاصيل

التى صورت لنا شخصيته وجهوده العلمية أدق تصوير – فإنها لم تفدنا إلا بالقليل النزر من أخبار ابنه أبى محمد مؤلف « النظم » . حتى إننا – حتى نشر السفر الثامن من « الذيل والتكملة » – لم نكن نعرف اسم مؤلف نظم الجمان ولا كنيته على وجه التحديد . فالمصادر القليلة التى أشارت إليه تضاربت فى ذلك تضاربا شديداً :

– فصاحب كتاب « مفاخر البربر » يسميه « الفقيه الحسيب الحافظ أبا على حسين بن القطان الكتامى مؤلف كتاب نظم الجمان » [1] .

وفى المخطوطة التى تحمل رقم 1275ك والتى كانت من بين مخطوطات الشيخ عبد الحى الكتانى وضمت إلى الخزانة العامة بالرباط نجد نصا فى الرسالة الأولى يقول إن « النظم » من تأليف « أبى على حسن بن على بن القطان » [2] .

– وابن عذارى المراكشى يذكره فى « البيان المغرب » (القسم الموحدى) فى النص الذى سنعرض له بعد قليل مسمياً إياه « أبا محمد » [3] .

---

1) مفاخر البربر ، نشر ليڤى بروفنسال ، الرباط 1934 ص 65 ؛ هذا ويجدر بالذكر أن صاحب هذا الكتاب يميز بين مؤلف نظم الجمان (ابن القطان الابن) وبين أبى الحسن على بن محمد بن القطان (الأب) ، فيترجم لهذا فى موضع آخر من كتابه (ص 64) ، ولو أن الاسم جاء فى الأصل « ابن القاضى » وهو تحريف عن « ابن القطان » .

2) هذه المخطوطة مجموع من الرسائل عنوانه « كتاب الأنساب » وهو يضم ثلاث رسائل : أولاها عن جغرافية المغرب وأصول البربر والفتوح العربية فى شمال افريقية ، والثانية هى الرسالة التى نشرها ليڤى بروفنسال بعنوان « مفاخر البربر » والثالثة تتضمن مقتطفات من رسائل وكتب مختلفة حول تاريخ المغرب . وقد نشر بروفنسال كذلك جزءاً من الرسالة الأولى بعنوان « نص جديد عن فتح العرب للمغرب » (فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الثانى سنة 1954 ص 193 - 219) (مع تعليق للدكتور حسين مؤنس) . هذا ويقوم كاتب هذه السطور بالاشتراك مع الزميل الأخ الدكتور أحمد مختار العبادى بتحقيق الرسائل الثلاث بما فيها رسالة « مفاخر البربر » وإعدادها للنشر . وأما النص الذى أشرنا إليه فهو يقع فى الرسالة الأولى ص 25 .

3) البيان المغرب (القسم الموحدى) ص 446 .

ولم يحسم هذا الخلاف ، إلا ابن عبد الملك الذى يشير إليه مراراً فى « الذيل والتكملة » فيذكره باسم « أبى محمد حسن بن على بن القطان » ، وهذا هو الصواب بغير شك ، فقد كان مؤلف « النظم » شيخاً له ، وهو أعرف به وبأحواله من أى مؤلف آخر .

على أنه يؤسفنا أن الترجمة التى أفردها ابن عبد الملك لأستاذه أبى محمد حسن لم تصل إلينا ، ويظن الدكتور محمد بنشريفه أن هذه الترجمة كانت فى السفر السابع المفقود من كتاب ابن عبد الملك [1] ، ولو بقيت لكانت – كالعهد بما كان ابن عبد الملك يكتبه عن شيوخه – من أغزر تراجمه مادة وأدقها تصويراً لشخصية شيخه وتسجيلاً لجهوده العلمية .

على أننا نجد فى مواضع متفرقة من كتاب « الذيل والتكملة » أخباراً حول أبى محمد حسن بن القطان نورد خلاصتها فيما يلى .

ونذكر أولا أن أبا الحسن ابن القطان كان له ابنان اشتغلا بالعلم وكانا من رواة كتبه ، أولهما أبو عبد الله حسين ، والثانى هو أبو محمد حسن [2] ، ولكننا لا نكاد نجد ذكراً لأولهما باستثناء إشارة ابن عبد الملك إلى أنه تلمذ على أبيه .

ولم يفدنا أحد من المؤرخين ولا كتاب التراجم بتاريخ مولد أبى محمد ، ولكننا نجد هذه العبارة فى ترجمة أحد الشيوخ المصريين الذين وفدوا إلى المغرب والأندلس وهو أبو إسحاق إبراهيم بن خلف الغسانى المعروف بالسنهورى : « قال أبو الحسن بن القطان – وسماه فى شيوخه : قدم علينا تونس سنة ثنتين وستمائة واستجزته لابنى حسن فأجازه وإياى » [3] . ولسنا نعرف كم كان عمر أبى محمد حينما طلب له أبوه هذه الإجازة ، فنحن نعرف أنه قد شاع فى ذلك العصر طلب الإجازات من العلماء للأبناء حتى ولو كانوا صغاراً دون سن طلب العلم .

---

1) تقديم الدكتور بنشريفه للسفر الثامن ص 138 .

2) الذيل والتكملة 166/8 .

3) انظر ترجمة السنهورى فى التكملة لابن الأبار 176/1 ؛ وقد نقلها المقرى فى النفح 135/3 - 136 وفيها العبارة المذكورة . وانظر كذلك الذيل والتكملة 165/8 والحاشية رقم 41 .

وهناك نص ما أفادنا به أبو الحسن على بن يوسف الحكيم فى « ضوابط دار السكة » يقول فيه فى معرض الحديث عن الدرهم الكيلى : « وقال [أبو] محمد بن القطان فى مقالة إنه شاهد دراهم للكيل ضرب عبد الملك بن مروان فى إشبيلية سنة ثمان وستمائة ، وُجدت فى كنز ورفعت للناصر أبى عبد الله بن المنصور الموحدى فأعطى منها لأبيه أبى الحسن بركة ، وهى فضة مستديرة الشكل عليها مكتوب : أمر بضرب هذه الدراهم أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . قال : وكنا قدرناها غير مرة بوسط حب الشعير فكان الدرهم منها يعدل خمسين حبة وخمسى حبة »[1] . ومن هذا النص نستخلص أن أبا محمد كان فى إشبيلية فى السنة المذكورة (1211/608 - 1212) ، وأنه كان فى سن تسمح له بتقدير هذا « الكشف الأثرى » وحساب وزن هذه الدراهم التى تعود إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ولعله كان يجاوز العشرين من عمره آنذاك ، فمولده إذن كان فى نحو أوائل العقد الثامن من القرن السادس (أى فى حدود سنة 1184/580) .

وربما دلنا على ذلك أيضا هذا الخبر الذى يقصه المقرى[2] عن الشاعر أبى بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهرى إذ يروى له أبياتا فى وصف « ابن لأبى الحسن ابن القطان بمحضر والده » ، وهى :

جاء وفى يسارِهِ قَوْسٌ وفى اليمنى قَدَحْ
كأنه شمس بدت وحولها قوسُ قُزَحْ
يا لائمى فى حُبِّه ما كلُّ مَنْ لامَ نَصَحْ

فإذا كنا نعرف أن ابن مجبر توفى سنة 588 (1192)[3] فلا بد أن ابن أبى الحسن

---

1) أبو الحسن على بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، مدريد 1960 ص 84 .

2) النفح 161/4 .

3) انظر ترجمة ابن مجبر فى النفح 237/3 - 240 .

المذكور كان آنذاك صبيا فى نحو الثامنة من عمره ، فهذا هو الأشبه بمن تقال فيه مثل هذه الأبيات ، هذا إذا كان ذلك الابن هو أبا محمد حسناً الذى نحن بصدده .

ونعرف بعد ذلك عن أبى محمد أنه اشتغل بطلب العلم منذ شبابه (1) ، فابن عبد الملك الذى يسميه كلما ورد ذكره « شيخنا » ينقل عنه العديد من الأخبار فى معجم تراجمه ، فى مواضع تزيد على العشرة . وكان أبو محمد زميلًا لخال ابن عبد الملك فى الدراسة وللنحوى المشهور ابن الطراوة المالقى ، وخال ابن عبد الملك المذكور هو أبو على عمر بن محمد القيسى المراكشى المعروف بابن الفاسى (المتوفى سنة 1229/626) . يقول فى ذلك صاحب « الذيل والتكملة » : « وكان شيخنا أبو محمد حسن بن القطان وابن الطراوة يكثران الثناء عليه والإيجاب له ، وقد صاحباه طويلا بمراكش واشتركا معه فى الأخذ عن الشيوخ بها » (2) . ويشير فى موضع آخر إلى تلمذة أبى محمد على الفقيه المحدث الكبير محمد بن عيسى الأزدى المعروف بابن المناصف (المتوفى سنة 1223/620) ويقول نقلا عن شيخه إن ابن المناصف كان يكتب ثلاث عشرة طريقة (فى الخط) هو فيها كلها مجيد ، ثم يقول إنه رأى منها أربع طرائق كانت لا وصفها أبو محمد (3) كما يشير إلى تلمذته أيضا على أبى الحجاج يوسف بن محمد بن المعز المكلاتى الفاسى الملقب بالأحدب (المتوفى فى 1229/626) وكان متكلما أصوليا . ومن الطريف أن نذكر أنه كانت بين أبى الحجاج هذا وأبى الحسن على بن القطان والد أبى محمد منافرة شديدة ومقاطعة مشهورة ، ومع ذلك فإن هذه الخصومة لم تمنع أبا محمد من الأخذ عن هذا الشيخ (4) .

---

(1) يدل على ذلك أن من بين أساتذته فى الحديث – على ما يسجل ابن عبد الملك – أحمد بن سلمة الأنصارى [illegible] (المتوفى فى أواخر 597 أو أوائل 1200/598) فإذا صح تقديرنا بأن أبا محمد ولد فى حدود سنة 580 [illegible] ، دل ذلك أنه درس على هذا الشيخ وهو فى نحو الثامنة عشرة . انظر ترجمته فى الذيل والتكملة ، السفر الأول ، رقم 177 ص 126 .

(2) الذيل والتكملة ، السفر الثامن ، ترجمة رقم 31 ص 235 - 237 .

(3) [illegible] رقم 114 ص 148 .

(4) [illegible] رقم 227 ص 432 - 434 .

ويبدو فى حديث ابن عبد الملك عن أستاذه أبى محمد كثير من التقدير والإجلال [1] ، ومع ذلك فإننا نعتقد أنه ما كان ليحجم عن نقد مواقفه فى التزلف الخليفة الموحدى المرتضى والدفاع عن الدعوة الموحدية بالحق والباطل ، كما فعل بأبيه الذى أورد فى ترجمته جملة من مثالبه ، فقد كان ابن عبد الملك من الصراحة الخشنة والصرامة فى النقد والمجاهرة بالحق بحيث لا يعرف المجاملة ولا تزيين العيوب ، وأظن أنه لو وصلت لنا ترجمته لشيخه أبى محمد لرأينا فيها ما يصدق هذا الحكم .

أما جهود ابن القطان « الابن » العلمية فإن ابن عبد الملك أشار إلى طرف منها فى ترجمته لوالده ، وهو لم يذكر منها إلا ما يتصل بروايته لكتبه أو أخباره ، أما أعماله الأصيلة فلا بد أن يكون ابن عبد الملك قد تناولها بكثير من التفصيل فى الترجمة التى أفردها له ، والتى ذهبت فى الجزء المفقود من كتابه . وأما فيما يتعلق بأبيه فقد روى عنه ابن عبد الملك كثيراً من الأخبار الخاصة بحياته ، وهو ينص أحيانا على أنه نقل بعض هذه الأخبار من خطه [2] ، ومنها عدة قطع شعرية فى المديح والوصف [3] ، وذكر مواقف له يغلب فيها طابع الدفاع عن تصرفات أبيه وسلوكه ، كما نرى فى حديثه عن السبب فى إيحاش العادل بن المنصور له وسوء علاقته به ، ولو أنه دفاع لم يقتنع به ابن عبد الملك [4] ، وتبلغ رواية المؤلف عن شيخه حدًّا بعيداً من التفصيل كما نرى فى قصة العثمانى وابنه ومقتلهما [5] ، وعلى الرغم مما ساقه أبو محمد فى هذه الرواية من دفاع عن أبيه وتصوير له بأن دافعه إلى محاكمة الرجل وابنه الصبى كان الغيرة على الدين فإن ابن عبد الملك فى صراحته المعهودة لم يتردد فى ضم تلك المحاكمة إلى مثالبه .

---

1) يذكر الدكتور بنشريفه فى تقديمه للسفر الثامن (ص 15 - 16) أن جانباً من اهتمام ابن عبد الملك بالتاريخ يرجع إلى شيخه أبى محمد .

2) الذيل والتكملة ، السفر الثامن ص 191 .

3) نفس المصدر ص 170 - 171 .

4) نفس المصدر ص 172 - 173 .

5) نفس المصدر ص 173 ، وتفصيل محاكمة العثمانى وولده بين صفحتى 179 - 191 .

كذلك نرى من سرد ابن عبد الملك لكتب ابن القطان « الأب » أن ابنه أبا محمد كان هو الذى وضع عناوين كثير من تلك الكتب والرسائل .

الدولة الموحدية فى عصر المرتضى :

ونرى من المناسب في هذا المقام أن نعرض شيئاً عن أحوال هذا الخليفة الذي اتصل به مؤلفنا وعاش في بلاطه والف له « نظم الجمان » .

وقد انتهينا في الكلام عن الدولة الموحدية إلى سنة 628 التي توفي فيها علي ابن محمد بن عبد الملك بن القطان أبو مؤلف النظم ، وأشرنا إلى بدء اختلال الدولة الموحدية وفسادها منذ أوائل القرن السابع ، وتزايد هذا الفساد في السنوات التالية : فهذه إفريقية تستقل عن سلطان الموحدين وتقوم فيها دولة الحفصيين ، وهذه الاندلس تخرج عن أيديهم ويصطرع فيها ثوارها المسلمون من أمثال ابن هود وابن مردنيش وابن الاحمر وعشرات من صغار المنتزين ، ثم يغتنم النصارى هذه الفرصة ، فيؤرثون من نار العداوات والاحقاد والفتن . وهكذا تقع الحواضر الاندلسية الكبرى في أيديهم واحدة بعد الاخرى ، حتى لا يكاد القرن السابع ينتصف إلا والإسلام قد انحصر في جانب صغير من جنوب شرقي شبه الجزيرة . حتى المغرب نفسه لم يصف لخلفاء الموحدين ، إذ يقاسمهم السلطان هناك بنو مرين ويجرعون ملوكهم من الغصص والهزائم ما يطيح بآخر ما بقي من كرامة دولتهم وهيبتها . وأصبح سلاطين الموحدين في هذه الفترة أشبه ما يكونون بخلفاء بني العباس بعد المتوكل : يتلاعب بهم مشايخ الموحدين والعرب والغز والنصارى كما كان يتلاعب بأولئك قواد الترك وخدم القصر ونساؤه .

في هذه الظروف التعسة المشؤومة ولى عرش الموحدين أبو حفص عمر بن إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالمرتضى [1] ، وذلك أنه لما قتل علي السعيد

---

1) عن خلافة المرتضى انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، القسم الموحدي ، ص 387 - 447 ؛ والويني : تاريخ الدولة الموحدية 541/2 - 566 .

في آخر صفر سنة 646 (21 يونية سنة 1248) وقتل كذلك ابنه الطفل الذي كان مرشحاً للخلافة بعده اجتمع زعماء الموحدين ومشايخهم ، فرشحوا أولا أبا زيد بن إسحاق ، وكان عاملا على مراكش ، ولكنه أبى من قبول الخلافة ، وحينئذ اضطروا إلى ترشيح أسماء أخرى لم يظفر واحد منها بالاجماع ، وأخيراً قام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجنفيسي وعرض على المجتمعين اسم أبي حفص عمر بن إسحاق ، وكان حاكماً لسلا في ذلك الوقت ، ونوه الجنفيسي بخلاله الحميدة ، فوقع عليه اجماع الحاضرين وكتبوا عقد البيعة وسلموه إلى ابي زيد المذكور باعتباره ممثلا لاخيه ونائباً عنه إذ أن هذا كان غائباً في سلا ، وتوجه بكتاب البيعة الحاكم ابن أصلماط ، فلقى السيد أبا حفص بتامسنا وهو مقبل من سلا ، فقرئت البيعة المذكورة وأصفق الحاضرون على مبايعته ، وتلقب بالمرتضى ، وتوجه من ساعته إلى مراكش ، فخرج الناس ورجال الدولة لاستقباله والاحتفاء به ، واستقر له الامر .

ولكن المشاكل لم تلبث أن عكرت عليه صفو هذا الهدوء . فقد كان المرينيون فى هذا الوقت قد اقتحموا تازة ، ثم توجه أميرهم أبو يحيى بن زكريا المريني إلى أجر سيف وسائر القلاع الواقعة على نهر ملوية واستولى على فاس ، فظل فيها عاماً كاملا حتى ربيع الاول سنة 647 (مايو — يونية سنة 1249) ، غير أن أهل فاس أعلنوا ثورتهم عليه ومبايعتهم للمرتضى ، ولكن هذه الثورة فشلت بعد أن عجز الموحدون عن بعث إمدادات عسكرية إلى المدينة ، وهكذا عادت فاس إلى طاعة المرينيين فى جمادي الثانية سنة 648 (سبتمبر 1250) .

وزاد فى سوء الاحوال أن الأمير أبا يحيى المريني مد سلطانه على رقعة واسعة تمتد بين فازاز والرباط ، وحينئذ قرر المرتضى أن يتدخل بعد أن ظل ثلاث سنوات متقاعداً جانحاً إلى الخمول ، فجمع جيشاً ضخماً فى سنة 649 (1251) وخرج به من مراكش ، فتوجه أولا إلى تينملل حيث قام بزيارة ضريح المهدي وتلقى بركاته كما كانت عادة سلاطين الموحدين قبل الشروع فى أي غزوة . ثم خرج إلى سلا ، ورأى أبو يحيى المريني قوة جيش خصمه فعرض عليه المفاوضة ، وقبل المرتضى فقد كان رجلا مسالماً ميالا إلى تجنب كل نزاع مسلح ، ولكن وزراءه ومشايخ

الموحدين — وقد ملأهم الغرور والثقة فى النصر — رفضوا الصلح ، ودارت المعركة ، فانتهت بهزيمة جيوش الموحدين دون أن تشتبك فى القتال ، ويبدو أن هذه الهزيمة كانت ترجع إلى خيانة من الوزير عبد الله بن يونس الذي كان المرتضى قد نكبه قبل ذلك عند عودته مخذولا إلى مراكش .

غير أن ما فعله المرتضى بابن يونس كان له بعد ذلك أسوأ الآثار ، فقد ترتب عليه أن قائداً من أهل قرابته هو على بن يدر أخذته الحمية فهرب إلى السوس وأعلن الثورة على الخليفة وهزم الجيوش الموحدية التي وجهت لقتاله .

ثم عاد المرتضى إلى التوجه بجيشه إلى فاس طامعاً في استردادها ، ودارت المفاوضات مرة أخرى ولكنها انتهت بالفشل ، فلما وقعت المعركة في « بني بهلول » بجوار فاس عاد المرينيون فألحقوا بالمرتضى هزيمة ساحقة في جمادى الثانية سنة 654 (يوليه سنة 1255) .

ومنذ هذه الهزيمة قرر المرتضى ألا يخرج للغزو بعدها ، فأمضى الصلح مع أبي يحيى المريني ، وعكف على حياة هادئة مسالمة اشتغل خلالها ببناء قصوره والخلو بلذاته ، هذا بينما كان ضعفه المتزايد قد جسر عليه الثوار الآخرين ، فهزم علي بن يدر من جديد الجيش الذي وجهه المرتضى إلى السوس بقيادة أبي محمد ابن أصناج ، وارتفع أمر العزفي والي سبتة فمد حكمه على طنجة وأخذ يتصرف كما لو كان أميراً مستقلا ولو أنه كان يخطب للمرتضى ويعلن طاعته له على نحو اسمى محض . ثم خلع أهل سجلماسة طاعة الموحدين وأعلنوا انقيادهم لبني مرين .

وهكذا ظلت أحوال المغرب تسير من سيئ إلى أسوأ ، حتى انتهى الأمر بهجوم السلطان المريني أبي يوسف يعقوب على مراكش نفسها ومحاصرته لها ، فعهد المرتضى بقيادة جيوشه إلى أحد أمراء الاسرة الموحدية المالكة : أبي العلا إدريس الملقب بأبي دبوس ، وهو الذى سيكون مصرع المرتضى على يديه فيما بعد . وكان ذلك فى أواخر سنة 660 (خريف سنة 1262) ، واستمر القتال شهرين بين الموحدين وبني مرين ، وقتل خلال المعارك الدائرة عبد الله الابن الاكبر

لأبي يوسف المريني ، فبعث إليه المرتضى برسالة عزاء ، وفاوضه في أن يرفع الحصار عن مراكش على أن يؤدي إليه ضريبة سنوية . وفي رجب سنة 661 (مايو يونيه 1263) رفع المريني الحصار وعاد بجيوشه إلى فاس .

على أن هذا النجاح المتواضع الذي أحرزه الموحدون على خصومهم الاقوياء لم يلبث أن أعقبته نتائج وخيمة انتهت أخيراً إلى تقويض بناء الدولة الموحدية وإلى مصرع المرتضى ، ذلك أن أبا دبوس الذي عهد إليه بقيادة المقاومة الموحدية أثناء حصار المرينيين لمراكش قد داخله الغرور ، فاستزاد المرتضى من السلطات ، وأدت تصرفاته إلى نفور الوزراء منه ، ورأى هو نفسه أحق بتدبير الامور من غيرهم مما أثارهم عليه ، فأوقعوا به لدى المرتضى ، واتهموه بأنه كان يكاتب المرينيين سراً ، وإزاء ذلك اختلق حجة لمغادرة العاصمة ، فما إن سنحت له فرصة الفرار حتى توجه إلى فاس في محرم سنة 663 (نوفمبر سنة 1264) ، فاجتمع بأبي يوسف المريني ، وتعاقد معه على أن يمده بالرجال والمال وعلى أن يكون المريني لقاء ذلك نصف ما يستولى عليه من البلاد الباقية في حوزة المرتضى . وفي ذي القعدة من سنة 663 (أغسطس سبتمبر 1265) خرج أبو دبوس بكامل عتاده وعديده من فاس إلى مكناس ثم توجه منها إلى تادلا ، فعيد بها عيد الأضحى (23 سبتمبر 1265) وقضى شتاء هذا العام وربيعه في جمع صفوفه وتطلب أنصار جدد من العرب ومن هسكورة وفي مكاتبة جواسيسه في مراكش .

وما إن وصل الخبر إلى المرتضى بثورة أبي دبوس حتى ساءت ظنونه بكل من حوله ، فقبض على كثير من وزرائه ورجال دولته متهماً إياهم بموالاة خصمه ، وزاد ذلك من تذمر الناس منه وضيقهم بحكمه وانحياز الكثيرين إلى صفوف أبي دبوس ، فضلا عن أنه كان قد فرق جيوشه في البلاد تاركاً بذلك عاصمته مراكش بلا حامية تحت رحمة أي هجوم مفاجئ . ومع كل ذلك فإن المرتضى لم يعر الامر كبير اهتمام ورفض نصائح وزيره أبي موسى بن عزوز بأن يسرع باستقدام ابن وانودين وابن عطوش بجيوشهما لانقاذ عرشه المذبذب .

وفي 22 من المحرم سنة 665 (22 أكتوبر 1266) توجه أبو دبوس بجيوشه إلى مراكش ، فاقتحم أسوارها من باب أغمات ، ولم يسع المرتضى حينئذ إلا الفرار من المدينة إلى جبال الاطلس ، فوصل أولا إلى كيك ، ولكن أهلها رفضوا مقامه بين أظهرهم ، فانتقل إلى أزمور ، ولكن أعوان أبي دبوس قبضوا عليه هناك وأودعوه السجن . وما علم أبو دبوس بالقبض عليه حتى أمر بأن يكتب إليه لكي يعلن عن المكان الذي أخفى فيه ذخائره وأمواله ، ولكن المرتضى أجاب مقسما بأنه لم يكن لديه أي مال وطلب من خليفته العفو والرحمة وناشده أن يرعى فيه حرمة القرابة ، ورق له قلب أبي دبوس أولا ورام إطلاقه ، ولكن ناصحاً له من ذوي قرباه وهو أبو زيد الاعرج شدد عليه في وجوب قتله ، وهكذا صدر الامر بضرب عنقه في الطريق ، ونفذ فيه الحكم في 22 من صفر من هذه السنة (22 نوفمبر 1266) .

وكان المرتضى على الرغم من ضعف إرادته وتخاذله المخزي وخلوه من صفات القيادة والحكم رجلا واسع الثقافة محبا للشعر والادب والغناء والبنيان ، وكأنه كان يريد بإقباله على هواياته ولذاته نسيان ما كان يتربص به من كوارث ، وفيه تتمثل مرحلة الانحلال النهائي الذي كان يتهدد دولة الموحدين ، إذ أن خليفته أبا دبوس المتلقب بالواثق لا يتمتع بالخلافة إلا نحو ثلاث سنين ، ثم يجرعه المرينيون من الكأس التي أذاق من قبل مرارتها للمرتضى ، ولا تأتي سنة 668 (1269) حتى يقضي بنو مرين على آخر ما بقي من دولة الموحدين المتداعية .

* * *

في ظل المرتضى – هذا الخليفة التعس الذي وافق حكمه غروب شمس الموحدين – عاش أبو محمد حسن بن القطان ، وكان – على ما يبدو من كتابه – رجال دولته المقربين ، ولم تحدثنا المراجع عن حياته ولا عن دراسته ، إذ أن ما بين أيدينا منها يرخي عليه كما ذكرنا ستاراً من الصمت المطبق .

ولكن في وسعنا أن نتصور شيئاً من ذلك على ضوء ما عرفناه من حياة أبيه الذي كان كما ذكرنا « رئيساً لطلبة مراكش » أي أنه كان من أكبر دعاة

الموحدين المتحمسين لمبادئهم الدينية والسياسية ، بل إنه تعرض في سبيل ذلك لمحنة شديدة أدته وأخرجته عن بلده ، وذلك عند أعلن المأمون في سنة 624 (1227) تبرؤه من دعوة ابن تومرت وحكمه عليه بالتكفير ، ورأى رجال الموحدين في هذه الثورة المذهبية خطراً على كيان الدولة كلها وعلى ما أحرزوه في ظلها من مغانم ، فاحتملوا المأمون على مضض بعد أن اتبع معهم سياسة حجاجية بالغة القسوة ، حتى إذا حلت به المنية في آخر سنة 629 (أكتوبر 1232) وولي الخلافة بعده ابنه عبد الواحد الرشيد تنفسوا الصعداء واشترطوا على الخليفة الجديد أن يعيد رسوم الدولة التي محاها أبوه وأن يذكر اسم محمد بن تومرت المهدي في الخطبة والمكاتبات والسكة . ويصف لنا ابن عذارى تخوف مشايخ الموحدين من أن يجري الرشيد على سنة أبيه ، ويقول إنهم لما فاوضوه في الامر سكن نفوسهم وجدد تأنيسهم بإعادة تلك الرسوم الموحدية :

« فيالله ، ما ذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح عند سماعه وانطلاق ألسنتهم بالدعاء إلى الله تعالى في نصر خليفتهم وتأييده ، وإعلاء أمره وتمديده ، وشملت الافراح الكبير منهم والصغير ، وعم الجذل الحاضر والبادي ، وعند ذلك تمهدت قواعد الموحدين وتبينوا القصد الجميل فيهم ، وأشاعوه عند قاصيهم ودانيهم ، وبولغ في إدنائهم وتكريمهم ، وأحل أشياخهم محل أشياخ الموحدين على قدم الزمان ، واستبشروا بنعمة من الله ورضوان » [1] .

وطبيعي أن يتشرب ابن القطان مبادئ الدعوة الموحدية منذ صباه وأن يرث عن أبيه حماسته لها واجتهاده في خدمتها ، ولا سيما بعد أن انجابت عن الأفق غيوم هذه الأزمة العارضة التي أثارها المأمون ، وعادت الدولة الموحدية إلى التمسك برسومها وطقوسها التقليدية القديمة ، ولعل هذا هو ما أوصل ابن القطان إلى خدمة الخليفة المرتضى والعمل في بلاطه . والذي يقرأ ما بقي لنا من نص « نص الجمان »

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الموحدي) ص 317 .

يجد فيه مظاهر كثيرة لهذه الحماسة الشديدة للدعوة الموحدية ، وإن كان هذا لا يعني الإخلاص الحقيقي لها ولا الإيمان الصادق بها ، وكل ما هناك هو أن مثل ذلك الإخلاص كان طريقاً إلى الجاه والسلطان ... طريقاً سلكها أبوه من قبل « فنال بخدمة السلطان دنيا عريضة » كما ذكر من ترجموا له . وما كان أبو محمد ابن القطان بدعا في ذلك ، فقد ورث عن أبيه هذه « الوصولية » وكان كغيره من الفقهاء الذين لم يتورعوا عن بذل علمهم وكرامتهم في سبيل عرض الدنيا ، وما كان بذلك بغريب في مثل هذا العصر الذي اختلت فيه موازين القيم والأخلاق فأصبح كثير من العلماء يعرضون أنفسهم بضاعة رخيصة لكل متلبس بحكم أو متسور على سلطان . وكتاب « نظم الجمان » كما نستشف من القطعة الباقية منه ليس إلا تاريخا « بلاطيا » خالصا من طراز تلك الكتب التي ألفها مؤرخون « منتفعون » من الدولة التي يستظلون بظلها ، وأمثال هذه التواريخ رأيناها في جميع الدول الإسلامية المختلفة ، وقد سبق ابن القطان إليها في الدولة الموحدية مؤرخون مهدوا له الطريق مثل أبي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق صاحب كتاب « أخبار المهدي » وأبي القاسم المؤمن صاحب « فضائل المهدي » وابن الراعي ثم ابن صاحب الصلاة مؤلف كتاب « المن بالامامة » .

مؤلفات ابن القطان :

وقد جمع ابن القطان للمرتضي عدة كتب يذكرها ابن عذارى في ذلك النص الذي اختصه به وفيه يقول :

« وكان (أي المرتضى الموحدي) محبا في مطالعة الكتب وتواليفها وتصانيفها ، فألف له الفقيه أبو محمد ابن القطان جملة من الكتاب الحفيلة الجليلة ، وأمده بالدواوين العظيمة والخيرات الجليلة (كذا ولعلها الجزيلة) ، فمنها : « نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان » ، وكتاب « شفاء الغلل ، في أخبار الانبياء والرسل » ، وكتاب « الاحكام لبيان آياته عليه السلام » ، وكتاب « المناجاة » ، وكتاب « المسموعات » فيه قصائد متخيرات [illegible] بالمولد الكريم

و... وشعبان ورمضان وغير ذلك » [1] .

أما « نظم الجمان » فله موضعه من هذا الحديث ، وأما الكتب الأخرى فأغلب الظن أنها فقدت أو ضاعت ، ولم تتحدث عنها المصادر الأخري التي وقفنا عليها ، فيما عدا إشارة سريعة مقتضبة لابن القطان نفسه في معرض التعليق على الحديث النبوي المشهور « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة » فهو يقول إنه جود الكلام على هذا الحديث في كتاب « الإحكام » [2] .

كتاب « نظم الجمان »

شهر هذا الكتاب بالمقطع الاول من عنوانه ، وأما المقطع الثاني الذي تقتضيه السجعة المعتادة في عناوين الكتب فهو ما لا يتفق عليه من أشاروا إليه أو اقتطفوا منه ، وسنورد فيما يلي الصور المختلفة التي جاء بها هذا المقطع الثاني في المراجع المختلفة .

1 - العنوان في المخطوطة الوحيدة الباقية من الكتاب معتمدنا في نشر هذا الجزء هو : « نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان » .

2 - وتسميه مخطوطة الرباط التي أشرنا إليها من قبل « ... فيما سلف من أخبار الزمان [3] » وكذلك الفقيه الرهوني فيما نقله عنه العالم المغربي الشيخ عبد الحي الكتاني وسجله بخط يده على غلاف مخطوطة « النظم » كما سنرى بعد فى كتاب « المعيار المعرب » ، والونشريسى فيما نقله عن ابن القطان فى خبر ابن تومرت وعلاقته بالغزالى وإحراق كتاب الإحياء (12/185 - 186) .

---

1) البيان المغرب - القسم الموحدي ص 446 .

2) هذا هو الكتاب الذي خلط بينه ليفي بروفنسال وبين « شرح الاحكام » أو « الوهم والإيهام الواقعين على كتاب الاحكام » ، وهو الذي ألفه ابن القطان الاب معلقا به على « أحكام » عبد الحق الاشبيلي .

3) ص 25 من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 1279 ك .

3 – ويذكر ابن عذارى له عنوانين : أولهما « ... في أخبار الزمان » ، جاء ذلك في مقدمة كتاب البيان المغرب في معرض الكتب والمراجع التي اعتمد عليها في تحرير مؤلفه [1] ، والآخر هو « نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان » ، وقد جاء هذا في حديثه عن الكتب التي ألفها ابن القطان للخليفة المرتضي ، وهو الذي أثبتنا نصه منذ قليل .

نقول المؤرخين المتأخرين عن ابن القطان :

الذي يتتبع النقول التي اقتطفها المؤرخون الاندلسيون والمغاربة من « نظم الجمان » يتبين له مدى قيمة هذا الكتاب ووفرة المادة التاريخية التي تضمنتها صفحاته ، وسنورد فيما يلي إشارات مقتضبة إلى ما عثرنا عليه من هذه النقول :

أ – في كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري :

1 – يبدأ ابن عذاري في مقدمة كتابه بذكر « نظم الجمان » من بين المراجع التي اعتمد عليها ونقل منها في تاريخه [2] .

2 – ينقل عنه في الفصل الذي عنونه بقوله « صفة مدينة تيهرت على ما ذكره ابن القطان [3] » وهو فصل جغرافي طويل يذكر في أثنائه القبائل البربرية التي كانت تسكن هذه المناطق ، ويتبع ذلك صفة مدن مغربية أخرى مثل طنجة ومدن إقليم السوس وبلاد صنهاجة وهسكورة وأغمات وغيرها من المواضع ، وهو في كل ذلك ينقل عن مؤرخين وجغرافيين آخرين ، وإن كان يغلب على ظننا أن جل اعتماده على ابن القطان .

3 – عن غزوات عقبة بن نافع في المغرب وعودته إلى افريقية بعد رجوعه من

1) البيان المغرب 3/1 (ط . ليفي بروفنسال و كولان) .

2) البيان المغرب 3/1 .

3) البيان 25/1 وما بعدها .

الحملة التي قادها في بلاد جزولة ثم استشهاده [1] .

4 - عن غزوات موسى بن نصير للمغرب الاقصى [2] .

5 - عن أصل طارق بن زياد ومستقره من بلاد المغرب قبل فتحه الاندلس ، وما كان يسيطر عليه النصارى من بلاد المغرب [3] .

6 - عن تولية هشام بن عبد الملك كلثوم بن عياض على افريقية والمغرب ، والحروب الدائرة بين العرب والبربر ، ولجوء فل العرب بقيادة بلج بن بشر القشيري إلى سبتة ، ثم مكاتبتهم لعرب الاندلس حتى جوازهم إلى تلك البلاد [4] .

7 - عن برغواطة وارتدادهم عن الإسلام وخبر بني طريف البرغواطيين [5] .

8 - عن عبد الرحمن بن حبيب والي إفريقية وخلعه طاعة العباسيين [6] .

9 - عن مصرع عمرو بن حفص والي إفريقية للعباسيين على يد الثائر الخارجي أبي حاتم الاباضي سنة 153 [7] .

10 - عن موقعة دارت في سنة 224 في موضع بين قفصة وقسطيلية (بافريقية) بين عيسى بن ريعان الازدي وقبائل البربر من لواتة وزواغة ومكناسة [8] .

11 - عن خلو سنة 253 من أخبار إفريقية مما يستحق الذكر [9] .

---

1) البيان 28/1 .
2) البيان 42/1 .
3) البيان 44/1 .
4) البيان 55/1 - 56 .
5) البيان 56/1 - 57 .
6) البيان 67/1 .
7) البيان 77/1 .
8) البيان 107/1 .
9) البيان 115/1 .

12 – عن أخبار عبيد الله الشيعي (المهدي) مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب ، والخلاف في نسبه . ومما يجدر بالذكر هنا أن ابن القطان ممن يؤكدون زيف النسب الفاطمي الذي اصطنعه مهدي الشيعة العبيديين [1] .

13 – عن الفاطميين في مصر وأخبار خلفائهم وأن نسبتهم إلى علي بن أبي طالب باطلة وأن أكثر اعتقاداتهم كفر ، ويلي ذلك كلام عن وفاة المستنصر بن الظاهر وولاية المستعلى ثم الآمر إلى ولاية الحافظ [2] .

14 – عن دولة يحيى بن تميم بن المعز أمير إفريقية وفتحه لاقليبية سنة 502 [3] .

15 – عن غلاء الاسعار والوباء المنتشر فى تلمسان فى المغرب الاوسط سنة 512 [4] .

16 – عن وقعة كتندة بالاندلس التى هزم فيها المرابطون سنة 514 [5] .

17 – عن خلع القاسم بن حمود فى قرطبة سنة 414 وهزيمة البربر وهروب القاسم بن حمود إلى إشبيلية ثم محاولة أهل قرطبة إعادة دولة بنى أمية وخلافة عبد الرحمن المستظهر بن هشام بن عبد الجبار [6] .

18 – عن استخلاف محمد بن عبد الرحمن المستكفى ثم خلعه وفراره ووفاته فى أقليج [7] .

19 – عن أخبار إسماعيل بن القاضى محمد بن عباد وحروبه مع يحيى بن علي بن حمود صاحب قرمونة فى سنة 427 ومقتل إسماعيل المذكور

---

1) البيان 1/158 - 159 .

2) البيان 1/287 .

3) البيان 1/304-305 .

4) البيان 1/307 .

5) البيان 1/308 .

6) البيان 3/134 - 135 .

7) البيان 3/141 - 142 .

سنة [illegible] إلى [illegible] وباديس بن حبوس صاحب غرناطة ، وعن فرار هشام بن الحكم المؤيد عن قرطبة ، وخبر خلف الحصري الذي زعم ابن عباد بإشبيلية أنه هشام المؤيد [1] .

20 عن خبر إدريس بن يحيى آخر خلفاء الحموديين وخروجه إلى سبتة وبقائه بها عند سواجات البرغواطي وما سبق ذلك من أحداث [2] .

21 عن وفاة خلف الحصري المشبه بهشام المؤيد سنة 451 وقطع ابن عباد للدعوة الهشامية [3] .

22 عن مصرع الوزير ابن السقاء على يد عبد الملك بن جهور أمير قرطبة وفساد أمور هذه المدينة على عبد الملك [4] .

23 عن المعتضد بن عباد ووفاته سنة 460 وبعض أخباره وصفاته [5] .

24 عن خروج يوسف بن تاشفين في سنة 464 إلى بلاد المغرب وعودته إلى وطاط وملوية وناحية جراوة وإخضاعه لقبائلها وغير ذلك من أخبار هذه السنة [6] .

25 عن إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي بأمر علي بن يوسف بن تاشفين وما قاله الامام الغزالي في ذلك داعيا الله أن يديل دولته بابن تومرت [7] .

---

1) البيان 199/3 - 200 .

2) البيان 217/3 .

3) البيان 249/3 .

4) البيان 251/3 .

5) البيان 284/3 .

6) البيان (القسم المرابطي الذي نشره أويثي في مقاله « قطعة مخطوطة من البيان المغرب عن المرابطين » ، مجلة إسبريس – تمودة ، الرباط سنة 1961) ص 57 (= ص ٢٢ من طبعة بيروت سنة 1967) .

7) نفس المرجع ص 76 (= ص 59 من طبعة بيروت) .

26 — عن مكوث المهدي في جبل إيجيليز ثلاثة أعوام من سنة 515 إلى سنة 518 ، وعن التمييز الذى قام به أبو محمد البشير الونشريشى فى صفوف الموحدين سنة 519 ، ثم ثورة الفقيه الافريقي علي ابن تومرت بسبب قتله هزميرة تينملل [1] .

27 — عن هزيمة البحيرة الواقعة على الموحدين بعد حصارهم مراكش سنة 524 ، (وإن كان النص يذكر ذلك في معرض أحداث سنة 521) [2] .

28 — عن انتصار الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي على عسكر للمرابطين بكيك ، ثم حصارهم لاغمات في سنة 524 ، وعن موت المهدي محمد بن تومرت في هذه السنة [3] .

29 — عن فتح عبد المؤمن لتادرارت وبلاد السوس ودخوله تيونوين سنة 529 [4] .

ب — في كتاب « الحلل الموشية » :

30 — عن نسب محمد بن تومرت الذي ينتهي كما ذكر ابن القطان إلى الحسن بن علي بن أبي طالب [5] .

31 — عن رحلة محمد بن تومرت من وطنه هرغة بالسوس الاقصى في طلب العلم إلى الاندلس ثم إلى المشرق ولقائه للطرطوشي والغزالي ، ثم عن كتاب الاحياء وإحراقه بقرطبة برأي القاضي ابن حمدين [6] .

---

1) نفس المرجع ص 82 - 83 (= ص 68 - 69) .

2) نفس المرجع ص 88 (= 75) .

3) البيان (القسم المرابطي) ص 94 (= 83 - 84) .

4) نفس المرجع ص 101 (= 94) .

5) الحلل الموشية ص 103 (والترجمة الاسبانية ص 123) .

6) الحلل ص 104 - 105 (والترجمة الاسبانية ص 124 - 126)

ج — في « أعمال الاعلام » لابن الخطيب الغرناطي :

12 — عن هشام المؤيد وفراره من الفتنة إلى قرية من قرى إشبيلية وتنصيب ابن عباد لرجل شبيه به على عرش الخلافة لكي يحكم القاضي ابن عباد باسمه باعتباره حاجباً له [1] .

د — في كتاب « الانساب » لابي حيان :

13 — عن المصامدة وتقسيمهم إلى فريقين ؛ أهل درن وهم متبعون للامام (يعني ابن تومرت المهدي) وأهل الوطا وهم مخالفون له [2] .

هـ — في كتاب « المعيار المعرب » للونشريسي :

14 — عن علاقة ابن تومرت المهدي بالغزالي وإحراق كتاب الإحياء [1] .

* * *

وهذه النقول عن ابن القطان تدلنا على قيمة كتابه وعلى أن المتأخرين اعتبروه من أمهات المراجع التاريخية حول المغرب والاندلس . ولو أننا استعرضنا هذه المقتطفات لتبين لنا أن « نظم الجمان » ينبغي أن يكون تاريخاً مفصلا شاملا للمغرب بمعناه الواسع أي من الحدود الغربية لمصر حتى الاندلس ، ويبدو أنه كان يبدأ بفصول طويلة عن جغرافية المغرب ووصف مدنه ، ثم ينتقل إلى تاريخه منذ الفتح العربي حتى أيام المؤلف . وهو إلى جانب ذلك لا يخلو كتابه من الاهتمام بأخبار المشرق ولا سيما مصر وأخبار الخلفاء الفاطميين بها .

النص المنشور وقيمته :

أما القطعة الوحيدة الباقية من هذا الكتاب الجليل والتي نقدمها إلى القراء

---

1) ابن الخطيب : أعمال الاعلام (نشر ليفي بروفنسال ، بيروت 1956) ص 154 – 155 .
2) مخطوطة الرباط التي أشرنا إليها من قبل ، ص 25 .
3) المعيار المعرب ، بيروت 1981 – الجزء الثاني عشر ص 185 – 186 .

بهذه السطور فهي ليست إلا جزءاً بالغ الصغر من تلك الموسوعة الضخمة في تاريخ المغرب والاندلس ، إذ أنها لا تتناول إلا أخبار ثلاث وثلاثين سنة (من 500 هـ . إلى 533 هـ .) بل إن تاريخ هذه السنوات ليس كاملا متساوقا ، فنحن نرى فيه فجوات وخروماً كثيرة يعلم الله مدى ما ذهب فيها من أوراق ، ولنا بعد ذلك أن نتصور حجم الكتاب كله ومدى ما يشتمل عليه من تفاصيل وفوائد إذا قدرنا أن النص الكامل له يعرض لنا جغرافية المغرب وتاريخه العام على طول ستة قرون .

ويبدو لنا أن ابن القطان قسم كتاب (نظم الجمان) إلى سبعة أجزاء : الاول يضم المقدمة الجغرافية الضافية ثم الفتح العربي للمغرب وأخباره في بقية القرن الاول الهجري أي حتى سنة 100 هـ . ؛ والثاني في أخبار القرن الثاني الهجري ؛ والثالث في أخبار القرن الثالث ، وهكذا ... حتى الجزء السابع والاخير ويتضمن أخبار القرن السابع حتى عصر المؤلف أي إلى أواخر أيام الدولة الموحدية . وإنما يرجح هذا الظن عندنا أن القطعة التي نقدمها هنا تحمل عنوان « الجزء السادس من الكتاب في ذكر ما انتهى إلينا من أخبار القرن السادس وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة مما يتشوف إليه » .

على أنه إلى جانب هذا قد قسم الكتاب كذلك إلى أسفار لا نعرف على أي أساس قام بتجزئته إليها ، وذلك لاننا نرى أن هذه القطعة التي بقيت لنا من الكتاب كله تبدأ بقوله : « السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان » ، ونحن نرى تأكيدا لذلك فى أحد نصوص « البيان المغرب » التي ينقل فيها عن مؤلفنا إذ يقول : « فذكر ابن القطان فى السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان ... » ثم يورد خبر رحلة محمد بن تومرت إلى الاندلس في سنة 500 وعودته إلى بلاده فى سنة 514 [1] ، وهذا يتفق فعلا مع أول ما استهل ابن القطان به أخبار القرن السادس الهجرى كما يرى من النص الذي اضطلعنا بنشره .

---

(1) البيان (القسم المرابطي) ص 76 من مقال [illegible] المشار إليه ([illegible] ص 59 من طبعة بيروت) .

وقد انتفع ابن القطان بدوره من كتب من سبقوه من مؤرخي الدولة الموحدية واطلع على كتبهم ، ونص هو على استخدامه لهذه المصادر : « فضائل المهدي » لابي القاسم المؤمن المصري ، وكتاب لابن الراعي لم يورد عنوانه ، وكتاب « المعرب في أخبار محاسن أهل المغرب » لليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع الغافقي ، و « المقباس في أخبار المغرب والاندلس وفاس » لعبد الملك بن موسى الوراق ، و « النبذ المحتاجة من أخبار صنهاجة » لابي الحسن علي بن حمادو الصنهاجي ، وهذه الكتب معظمها ضاع ولم يبق منها إلا مقتطفات في المراجع المتأخرة ، كذلك استخدم مؤلفنا كتابي « أخبار المهدي » لابي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق ، و « المن بالامامة » لابن صاحب الصلاة ، وقد وصل إلينا الكتاب الاول بعد أن نشره ليفي بروفنسال وما زال جزء من الثاني مخطوطا ف اكسفورد ، وقد نشره الصديق الأستاذ عبد الهادى التازى فى بيروت سنة 1964 كما سبق أن ذكرنا . وفضلا عن ذلك يبدو أن ابن القطان تمكن – بحكم صلته بالخليفة المرتضى وعمله في ديوان رسائله – من الاطلاع على بعض الوثائق الرسمية للدولة ، إذ نجده ينقل مثلا رسالة كتبها ابن تومرت المهدي بخط يده إلى القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي في سنة 511 [1] ، ورسالة أبي عبد الرحمن بن طاهر المرسي « الكافية في براهين الامام المهدي » إلى عبد المؤمن بن علي [2] ، ورسالة طويلة عن عبد المؤمن إلى الموحدين من إنشاء أبي جعفر ابن عطية سنة 543 [3] ، وفقرات من رسالة ليوسف بن عبد المؤمن إلى أهل تونس عام فتحه لقفصة سنة 575 [4] . وكل هذا يدلنا على ان المادة التاريخية التي تهيأت لابن القطان كانت وفيرة غزيرة ربما لم يتهيأ مثلها بعد ذلك إلا لابن عذاري المراكشي .

---

1) نظم الجمان ص 89 .

2) نظم الجمان ص 101 - 122 .

3) نظم الجمان ص 188 - 209 .

4) نظم الجمان ص 116 - 117

والكتاب في جملته مذهبي الطابع يكتبه رجل من رجالات الدولة الموحدية متعصب لها أشد التعصب ، فهو يشيد بآلائها ويهاجم خصومها في عنف بالغ ، ويحاول ستر عيوبها وتسويغ أعمالها ، وهو يصل في ذلك إلى حد الملق الرخيص ومجافاة الحقائق فى كثير من الامور ، ولهذا فإن جانباً كبيراً منه يدخل في باب الجدل السياسي والديني : نرى ذلك فى مهاجمته للمرابطين بأحد لسان وأشد عارضة وفى غمطه لما قدموه للإسلام فى المغرب والاندلس من أياد بيضاء ، وفى دفعه لما اتهم المرابطون به محمد بن تومرت المهدي ودعوته [1] ، وفى الحملة الشعواء التي شنها عليهم حتى إنه جعلهم « مجسمين » و « كفارا » و « منافقين » يجب على المسلمين قتالهم وثقافهم [2] ، وفى الكلام عن فضائل المهدي [3] والتدليل على صحة نسبه العلوى مع أنه يورد فى سلسلة نسبه آراء مختلقة متعارضة [4] ، وفي الحديث عما زعم أنه « عصمته » [5] وعن « كرامات » عبد المؤمن بن علي ، وهو فى ذلك يسوق أخباراً وتنبؤات بينة الوضع والاختلاق أو أحاديث نبوية تأولها على صورة ساذجة أبعد ما تكون عن المنطق السليم [6] .

وهو لا يكتفي بمهاجمة دولة المرابطين التى انقضت واندثرت قبل أن يؤلف كتابه بأكثر من قرن ، بل إنه لا يدع فرصة لمهاجمة الخلافة القاطمية فى مصر إلا اغتنمها فوصم خلفاءها بالكفر والفسوق ، ثم يقارن بينهم وبين الموحدين ، فيقول :

« فانظر إلى هذه المحاولات الشنيعة ، والامور الفظيعة .. (ثم يذكر بعض ما وقع فى مصر من الفتن والقبائح) يَبِنْ من ذلك ما كان فى الارض من ظلمات

(1) نظم الجمان ص 67 - 86 .
(2) نظم الجمان ص 97 - 100 .
(3) نظم الجمان ص 80 - 81 .
(4) نظم الجمان ص 87 - 88 .
(5) نظم الجمان ص 91 - 94 .
(6) نظم الجمان ص 181 - 185 .

المظالم ، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها ، وتنكب تلك الفئات عن الحق وصدودها ، وذلك من حين وفاة المهدي رضي الله تعالى عنه إلى حين ظهور أمر الموحدين أعزهم الله تعالى وانتساق كلمة الأمر العالي ، المخصوص بالمكارم والمعالي ، فتحقق بذلك صدق البشارة النبوية الكريمة ، بهذه الخلافة المهدية القويمة ، القائمة بأمر الله تعالى وإحياء كلمته . وإعلاء الحق وهداية أمته ... والله سبحانه يعلي مناره ، ويديم بالخلافة المؤمنية المرتضية ضياءه وأنواره ، إلى يوم الدين » . (1)

ونحن نرى من هذه الفقرة ، وغيرها كثير فى الكتاب ، أن هذا المؤلف يبدو كما لو كان فى عزلة عما كان يدور فى أيامه من أحداث ، فالخلافة « المؤمنية المرتضية » التى دعا الله أن يديمها إلى يوم الدين كانت تلفظ فى هذا الوقت آخر انفاسها ، وكانت عاجزة عن حكم رقعة بلادها بعد أن خرج عنها سلطان الاندلس كله بين النصارى الذين استولوا على معظم أقطاره والثوار الاندلسيين الذين بلغ استخفافهم بالدولة إلى أقصى غاية ، أما المغرب فقد كان بنو مرين فيه قد محوا سلطة الموحدين أو كادوا ، هذا فضلا عن الفتن والمذابح التى راح ضحيتها معظم أفراد الأسرة المؤمنية بما فيهم المرتضى نفسه بعد ذلك . ومع هذا فإن ابن القطان كان لا يزال يحدث نفسه بإدامة الخلافة المؤمنية ومد سلطانها على بلاد المشرق فضلا عن المغرب .

والحق أن العالم الإسلامي فى هذا العصر كان قد بلغت أحواله من السوء والفساد إلى حيث لا مزيد سواء في ذلك مشرقه ومغربه ، وما ذكره ابن القطان عن « المحاولات الشنيعة والامور الفظيعة » فى مصر على عهد الفاطميين حق لا ريب فيه ، ولكن أين كان المؤلف المسكين من أحوال المغرب ؟ وهل كانت « المحاولات والامور » فيه أقل من ذلك « شناعة وفظاعة » ؟ إن الذي يقرأ صفحات « البيان المغرب »

---

1) نظم الجمان ص 221 .

حول ما كان يدور في أيام المؤلف لا يرى فيه إلا صورة دامية رهيبة تقبض النفس وتورث الدوار ..صورة فيها كل ما ذكره ابن القطان من « ظلمات المظالم ، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها ، وتنكب تلك الفئات عن الحق وصدودها » ، ومع هذا فابن القطان الذي لقى أبوه في غمار هذه الفتن من المحنة ما لقي – ولعله هو أيضا ذهب ضحية لها بعد ذلك – لا يرى بأسا فى أن يتمدح بتلك البقية الضئيلة الباقية من سلطان الموحدين ويشيد بما زعم أنهم كانوا عليه حينئذ من « إعلاء الحق » و « هداية الأمة » .

وكل ما هناك هو أن هذا المؤلف – شأنه في ذلك كشأن كثير من المؤرخين العرب فى المشرق والمغرب في تلك العصور – رجل مأجور مرتزق ... مؤرخ « بلاطي » كما ذكرنا ، يكتب متزلفا متملقا لإرضاء سادته حتى على حساب الحق والتاريخ ، وإلا فهل يتصور أحد أن يتحدث مؤرخ مسلم عن هزيمة أوقعها النصاري بالمرابطين في الاندلس وذهب فيها اثنا عشر ألفا من المسلمين بين قتيل وأسير ، فلا يعلق عليها إلا بقوله : « وكل هذا مما مهد الله تعالى به أمر الموحدين أعزهم الله تعالى » [1] ؟ وهل يبلغ به بغض الملثمين إلى مثل هذه الشماتة الصريحة والتشفى المسعور في كارثة أصابت المسلمين أولا وأخيراً ؟

وإن قوله لحق : فالمرابطون الذين جاهدوا فى سبيل الإسلام وبذلوا في ذلك الكثير من دمائهم وأموالهم حتى مدوا في عمر الإسلام ما كان يوشك أن ينقطع لم يلبثوا وهم في غمار هذه المعركة الحامية أن رأوا محمد بن تومرت ناجما عليهم في جبال السوس شاقا عصا المسلمين وصادعاً لكلمتهم ... فاضطروا إلى القتال في جبهتين : النصارى من خارج ، والموحدين من داخل ، وكانت هزائمهم في الاندلس ممهدة فعلا لأمر الموحدين بالمغرب كما قال ابن القطان ... ولكن على حساب من ؟ ولحساب من ؟

* * *

1) نظم الجمان ، ص 154 .

وعلى الرغم من ذلك فإن « نظم الجمان » يحتوي على أكبر جانب من القيمة والخطر ، لا سيما وأنه يجلي لنا الكثير من النواحي التي لم تزل بعد غامضة من تاريخ المغرب والاندلس خلال الثلث الاول من القرن السادس ، وهي فترة الصراع بين المرابطين والموحدين ، وفيه تفاصيل كثيرة ينفرد بها حتى عن ابن عذارى المراكشي الذي يعتبر كتابه « البيان المغرب » أجمع ما وصلنا عن تاريخ المغرب والاندلس . صحيح أنه مؤرخ متحيز حزبي النظرة ، إذ هو لا يريد أن يعترف للمرابطين بأي فضل ، غير أن حقائق التاريخ تخونه فيضطر للتسليم بها في سذاجة وبغير وعي . ولنضرب لهذا مثلا بأننا نجد في « نظم الجمان » أوفى تفصيل ووصف حتى الآن لموقعتين كانتا من أجل أعمال المرابطين في الاندلس وهما « أقليش » (سنة 501) و « إفراغه » (528)[1] إذ أوقفوا في الأولى تيار الغزو [illegible] المنطلق من مملكة قشتالة ، وفي الثانية التيار الآخر المتحدر من مملكة أرغون .

وفي الكتاب تفصيل مسهب لكثير من أحداث الاندلس والمغرب رتبها على السنين ، فضلا عن كونه احتفظ لنا بنصوص قيمة أصيلة عن الدعوة الموحدية ، وجملة من الرسائل الرسمية الصادرة عن سلاطين الدولة ، إلى غير ذلك مما لا يتسع المجال لتفصيله .

بل إننا نجد بين دفتي هذا الكتاب ذكراً مطولا لأشياء عن تاريخ مصر على عهد الفاطميين لا نكاد نجدها حتى في كتب المؤرخين المصريين أنفسهم من أمثال المقريزي وابن تغري بردي . ولنضرب مثلا على ذلك نصه الطويل عن مقتل الخليفة الآمر سنة 524[2] ، فهو صورة واقعية بالغة الدقة والتفصيل لحادث من أغرب حوادث الاغتيال السياسي في التاريخ الإسلامي .

---

1) نظم الجمان ، ص 63 - 67 ؛ 243 - 248 .
2) نظم الجمان ، ص 231 - 233 .

أما أخباره عن أحداث بقية بلاد الشرق الإسلامي فهي لا تتجاوز الاسماء والتواريخ ، وهو لا يلتزم فيها الدقة وإن كان يعتذر عن ذلك بأنه لم يصل إليه منها ما يشفي الغلة ، فخفي عليه أمرها ، وهي على أية حال لا تضيف شيئا كثيراً إلى ما نعرف منها .

المخطوط

القطعة التي وقعت من « نظم الجمان » والتي نشرنا على أساسها هذا الجزء هي التي ذكرنا أنها كانت لدي ليفي بروفنسال ثم آلت إلى معهد الدراسات الإسلامية في مدريد في جملة المخطوطات التي اشتراها من تركة المستشرق الفرنسي الراحل . وهي تشتمل على اثنتين وثمانين ورقة . وتبلغ مقاييس الورقة منه 295×215 مليمترا ، ومسطرة الصفحة تتراوح بين 19 و 24 سطراً ، ومتوسط الكلمات في السطر يبلغ نحو ٨ كلمات .

والخط مغربي على قدر من الجمال وهو بالمداد الاسود ما عدا الضبط والعناوين ، فقد عمل الناسخ على إبرازها بمداد من لونين أحمر وأخضر .

والاوراق في حالة جيدة بصفة عامة ، ولو أن بعضها أصابه بلل وتمزق ، فبهتت منها الكتابة وساح المداد .

ونذكر فيما يلي نص ما جاء على غلاف المخطوط :

« السفر الثالث عشر من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان تأليف الشيخ الامام العالم أبي النجوم الباجي رحمه تعالى ورضي عنه » .

ثم يلي هذا العنوان سطور أخرى جرى عليها قلم من وقعت إليه المخطوطة حتى يعفى على ما جاء فيها . أما نسبة الكتاب إلى « أبي النجوم الباجي » المذكور فهو خطأ لا أدري من أين أتى به الناسخ ، وسنرى مثله في خاتمة الكتاب .

وعلى حواشي المجلد ، تعليقات أخرى نورد نصها فيما يلي :

1 خاتم يحمل هذا اسم « عبد القادر القادري مراكش » وهو يبدو لتاجر من تجار الكتب .

2 « تملك هذا المجلد محمد عبد الحي الكتاني شراء من مراكش بأربعين ريالا ، وذلك في سنة 1343 (1924 م) » .

3 « الحمد لله ، نقل الشيخ الرهوني في حواشي شرح المختصر في ص 104 جـ 7 لدى أول باب الشهادات عن ابن القطان في كتابه المسمى نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان قصة ورود المهدي بن تومرت على الغزالي ، وهو في هذا الكتاب فلعله هو هذا » .

4 « قطعة من نظم الجمان لابن القطان مطبوعة بليدن سنة 1849 ، انظر فهرس المكتبة الخديوية ص 64 جـ 5 » .

5 « في مكتبة المدرسة ... بالرباط أوراق من هذا المجلد ، وقد بلغني أنها طبعت الآن في باريز » .

وهذه الملاحظات والتعليقات مما كتبه العالم المغربي الكبير الشيخ عبد الحي الكتاني الذي تملك الكتاب ثم أعاره أو أهداه إلى ليفي بروفنسال .

أما إشارة الشيخ الكتاني الثانية التي يصلح فيها اسم مؤلف الكتاب الذي نسبه الناسخ إلى « أبي النجوم الباجي » فهي صحيحة ، وقد اعتمد فيها المعلق على النص الذي يذكره للرهوني في شرح المختصر . والرهوني هو الفقيه المغربي المشهور أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الرهوني الوزاني المتوفى سنة 1230 هـ . (1815) [1] ، وكتابه المشار إليه هو « أوضح المسالك : حاشية على شرح الزرقاني على مختصر خليل (بن اسحاق) » ، ومنه نسخ مخطوطة عددها

1) انظر الاستاذ محمد بن تاويت : محاضرات في تاريخ التشريع الإسلامي ، تطوان سنة 1961 ، ص 114 .

بروكلمان فى الرباط ومكتبة الزيتونة في تونس ، [1] وقد طبع مرارا ، على أني لم أتمكن من مراجعة هذا النص الوارد عن ابن القطان فى كتاب الرهوني على ما يذكر الشيخ الكتاني .

وأما ما نقله العالم المغربي عن فهرس المكتبة الخديوية (64/5) فى معرض الكلام عن نسخة البيان المغرب التى طبعها رينهارت دوزي فى ليدن سنة 1848 1849 فإن نقله صحيح ، إذ جاء فى الجزء والصفحة المذكورين من فهرس الكتب العربية الموجودة فى دار الكتب المصرية أنه « اختلط بالجزء الأول منه (أي من البيان المغرب) قطع انتخبها المصحح من كتاب نظم الجمان لابن القطان » ، وقد نقل هذه العبارة أيضا الاستاذ عبد السلام بن سودة فى الفصل الذي أفرده للبيان المغرب [2] ، غير أن الخطأ هنا – وعهدته لا تقع على الشيخ الكتانى وانما على مفهرس دار الكتب المصرية الذي كتب تلك الملاحظة – هو أن مصحح كتاب « البيان المغرب » أو ناشره لم ينتخب قطعا من نظم الجمان ، وانما هي تلك النقول التى اعتمد ابن عذارى فيها على ابن القطان واقتطفها من تاريخه كما فعل غيره من المؤرخين ، ولم يكن من عمل لدوزي فى ذلك الا نشر الكتاب كما وقع إليه ، ولم ينتخب الرجل من « نظم الجمان » قليلا ولا كثيراً .

ونعود إلى مخطوط « نظم الجمان » فنذكر أن آخر أوراقه تنتهى بالعبارة الآتية كتبها ناسخ النص نفسه :

« تم السفر الثالث عشر من كتاب محاسن المجالس (كذا) والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .

وان عجبنا لا ينقضى من أمر ناسخ هذا الكتاب ، فهو فى أوله ينسبه إلى من يسميه « العالم أبا النجوم الباجى » فإذا فرغ من كتابته إذا به ينسى عنوان « نظم الجمان » الذي أثبته على غلافه بخط كبير ، ثم يأتى بعنوان آخر للكتاب لا ندري من أين أتى به .

---

1) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، الملحق 98/3 ، 874 .

2) دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، ص 159 .

وهذا في الحقيقة ليس إلا مظهراً من مظاهر جهل هذا الناسخ وقلة معرفته بما يكتب ، وهو يفسر لنا ما ملأ به الكتاب من أخطاء جسيمة وغلط في ضبط الالفاظ وتحريف في أسماء الاعلام ، هذا على الرغم من فخامة الورق وأناقة الكتابة وجمال التجليد وكثرة الالوان ، مما يدل على ان النسخة كانت مما يكتب للامراء أو السراة الوجهاء . وفضلا عن ذلك كله فإن الكتاب وقع فيه اضطراب كثير وخروم متعددة قد تكون راجعة إلى ضياع أوراق من المخطوطة ، لا سيما وأن ترقيم الاوراق متأخر عن وقت نسخ المخطوط ، فهو مكتوب بالقلم الرصاص ، ومعنى هذا أنه ليس هناك في الواقع ترقيم حقيقي يطمأن إليه ، ثم ان السياق حتى في الأوراق المنتظمة لا يستقيم دائما ، بل نجد فيها تقديما وتأخيراً في السنوات التي يسرد المؤلف حوادثها ، وربما دل هذا على أن الناسخ انما وقع إليه أصل مضطرب ناقص ، فنقل عنه دون أن يميز السياق في أوراقه .

* * *

وقد سبق أن ذكرنا أن أول من استفاد من هذه المخطوطة هو ليفي بروفنسال الذي نشر منها ست قطع في مقاله « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول لظهور الدولة الموحدية » وفيما يلي بيان بتلك القطع التي نشرها ليفي بروفنسال وما يقابلها من هذه الطبعة لنظم الجمان :

القطعة الأولى تقابل ص 78 87 من هذا النص

القطعة الثانية تقابل ص 87 94 منه

القطعة الثالثة تقابل ص 137 139 منه

القطعة الرابعة تقابل ص 134،156 135 منه

القطعة الخامسة تقابل ص 136 156،137 160 منه

القطعة السادسة تقابل ص 169 172 منه

ولم ينتفع بعد ذلك من هذا المخطوط إلا الاستاذ أمبروسيو أويثي ميراندا الذي كان ليفي بروفنسال قد أهداه مصورة فوتوغرافية له ، فاستفاد منه في

تعليقاته على ما قام بترجمته من التواريخ المرابطية والموحدية مثل الحلل الموشية والبيان المغرب والمعجب ، ثم في كتابيه « التاريخ السياسي للدولة الموحدية » (تطوان 1956 - 1957) و « المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحي لاسبانيا » (مدريد 1956) إذ انتفع من نص « نظم الجمان » في إجلاء كثير من المسائل الغامضة حول موقعة أقليش ، وأخيراً اقتطف منه بيانات أخرى في الكتاب الذي أصدره بعد ذلك بعنوان « البيان المغرب لابن عذاري ، قطع جديدة حول المرابطين والموحدين » (بلنسية سنة 1963) هذا إلى عدد من الابحاث والمقالات المختلفة حول موضوعات مرابطية وموحدية .

منهجنا في العمل :

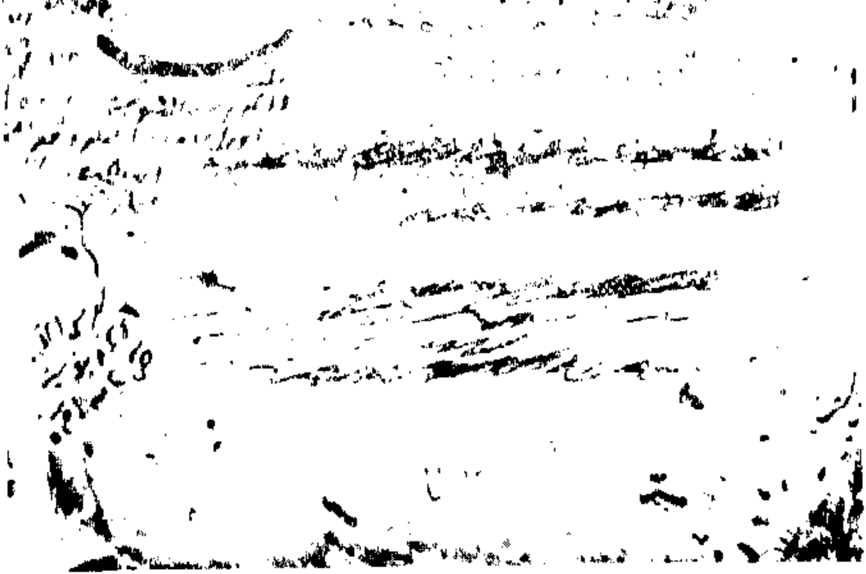
وقد قمت أولا بترتيب الاوراق على حسب الترتيب الزمني للسنين ، واضطرني ذلك إلى تعديل نظام الاوراق ، ولكن ذلك لم يمس الا الورقات الأولى التي يبدو فيها الاضطراب واضحا مما قد يوقع القارئ في عناء كبير إذا حاول تتبع الحوادث ، ويستقيم السياق بعد ذلك إلى حد ما باستثناء ما يعترض النسخة المخطوطة من فجوات وخروم .

أما النص فقد عنيت بإخراجه سليما صحيحا بقدر ما وسعت معرفتي ، لا سيما وأن الأخطاء فيه كثيرة ، وهي أخطاء من كل نوع : املائية ونحوية ولغوية ، وتحريف لاسماء الاعلام والمواضع إلى غير ذلك مما أعترف بأنه قد جشمني كثيرا من المشقة في تصويبه وإصلاحه .

وقد دعاني ذلك إلى تتبع ألفاظ النص كلها ومراجعتها على ما يمكن ان يعين على تقويمها من المصادر الأخرى ، ولم يرد في الكتاب اسم علم إلا وعملت على الترجمة له ، ولا ذكر حدث من الأحداث إلا وقابلته على المظان التي يمكن ان يشار فيها إليه ، واجتهدت في ذلك بقدر ما استطعت .

وأرجو أخيرا أن أكون بهذا العمل المتواضع قد ساهمت بنصيب في خدمة التاريخ المغربي والاندلسي ، وبالله الاستعانة ومنه التوفيق .

محمود علي مكي



الورقة الاولى في الاصل المخطوط (وجه)

[illegible]

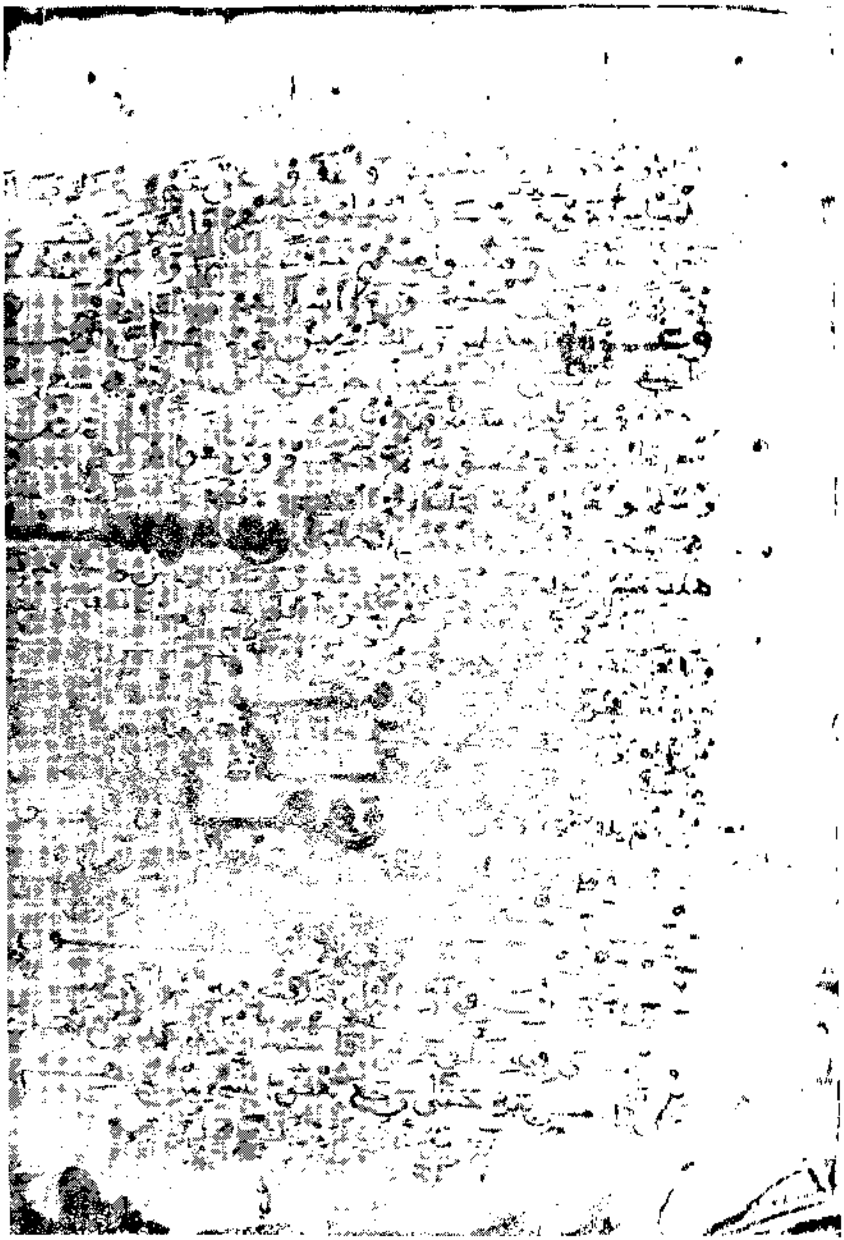
[illegible] لما [illegible]

[illegible] ايمان

لم [illegible] ما سلف

[illegible]

[illegible]



الورقة الأخيرة (82) ظهر

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله

الجزء السادس من الكتاب
في ذكر ما انتهى الينا من أخبار
القرن السادس
وهو المائة السادسة من الهجرة الكريمة
مما يتشوف اليه

المطبعة المهدية تطوان (المغرب)

مقدمة لذلك :

أخبار بني العباس في المشرق
والمتغلبين عليهم بالشام والعراق ومصر والحرمين

لم ينته منها إلى المغرب الاقصى شيء يدون ولا أهم الناس من أمر رواية الآثار ما كان يهم الأولين حتى يأخذوها من صدور الرجال وألسنة الرواة ويودعوها بطون المهارق ، فخفى أمرها إلا ما سنورده إن شاء الله تعالى من أسمائهم ومدد بعضهم ، فقد انتهى إلينا بعد شدة البحث والتفتيش ، فنحن نكتبه إن شاء الله تعالى ، وإلا يسيرا من اخبار مصر وإفريقية سنورده حيث يجب ان شاء الله تعالى .

باب

أخبار « السنة الاولى من المائة السادسة [2 أ]

رحلة المهدي ابن تومرت إلى المشرق :

من ذلك رحلة الإمام المعصوم المهدي المعلوم – رضي الله تعالى عنه – في طلب العلم إلى المشرق والاندلس [1] .

قال الشيخ أبو يحيى زكريا بن يحيى بن وسنار [2] من أهل

---

1) يتفق سائر مؤرخي الدولة الموحدية على أن رحلة محمد بن تومرت المهدي كانت في رأس المائة السادسة ، ولو أن بعضهم يجعلها في سنة 500 وبعضهم يقول إنها كانت في شهور سنة 501 (انظر ابن عذاري : البيان المغرب 303/1 : والحلل الموشية ص 103 ؛ وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 245 ؛ وابن خلدون : العبر 226/6 ؛ والسلاوي : الاستقصا 76/2) .

2) في الاصل : يحيى بن سنان والصواب ما أثبتنا . والمعنى بقوله « من أهل الخمسين » هو يحيى ابن وسنار والد أبي يحيى زكريا المذكور وسيتحدث عنه ابن القطان فيما بعد ، كذلك أشار إليه صاحب كتاب « الأنساب في معرفة الاصحاب » (كتاب أخبار المهدي ابن تومرت ص 35) وقال إنه كان من صنهاجة ، وربما كان يحيى هذا ابناً لابي محمد وسنار او واسنار الذى فصل الكلام عنه عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 422) فقال ان البعض كانوا يعدونه من أهل الجماعة وأنه كان رجلا =

الخمسين [1] أعزهم الله تعالى إن الامام المهدي رضي الله تعالى عنه جاز البحر إلى الاندلس طالبا للعلم ، ووصل قرطبة . ثم مشى من قرطبة إلى المرية ، فدخل منها في مركب إلى المشرق ، وغاب في رحلته في طلب العلم خمسة عشر عاما .

فابتداء رحلته رضي الله تعالى عنه — المذكورة على هذا كانت في السنة
|١٢ أ| الاولى من المائة السادسة أو [2] في التي قبلها ، لان وصول « الامام المهدي — رضي الله تعالى عنه — من رحلته إلى بلاده — رضي الله تعالى عنه — كان سنة أربع عشرة [3] كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر أبو القاسم المؤمن [4] في كتابه في فضائل المهدي ، رضي الله تعالى عنه :

كان عام واحد وخمسمائة ، عاهده فيها أهل التحقيق من العارفين به — رضي الله تعالى عنه — وبايعوه بيعة سر ، وإن هذا عن حديث أثر فيه ووعد نبوي كريم به ، والله تعالى أعلم .

— دباغاً أسود من أهل مدينة أغمات صحب ابن تومرت حين مر بها فاختصه بخدمته لما رأى من طاعته في دينه وكتمانه لما يرى ويسمع ، فكان يتولى وضوءه وسواكه والاذن عليه للناس وصحابته والخروج بين يديه فلما مات ابن تومرت صار يخدم ضريحه وضريح عبد المؤمن حين دفن هناك وتوفي في صدر دولة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن . وفي « مجموع الرسائل الموحدية » الذي نشره ليفي بروفنسال رسالة موجهة من عبد المؤمن بن علي إلى الشيخ أبي محمد وسنار هذا (انظر ص 26 - 34) .

1) « أهل الخمسين » إحدى طبقات الموحدين على ما سيأتي تفصيله .

2) في الاصل : وفي .

3) في الاصل : عشر .

4) لسنا نعرف شيئا عن « أبي القاسم المؤمن » المذكور مؤلف كتاب « فضائل المهدي » الا ما ذكره صاحب كتاب « الأنساب في معرفة الأصحاب » (كتاب أخبار المهدي بن تومرت ص 30 - 31) حيث ينقل المؤلف عن أبي القاسم المؤمن هذا نصاً يورد فيه أسماء أصحاب المهدي بن تومرت في بلاد مصر ، ويضيف المؤلف الى اسمه لقب « المصرى » مما يحدد لنا بلد ذلك الكاتب ، على أن ليفي بروفنسال في تعليقه على الترجمة الفرنسية للكتاب (ص 46 - 47) شك في صحة الاسماء التي ذكرها أبو القاسم المؤمن ورجح أنها مختلقة .

[أخبار الاندلس وقعة أقليش]

وهذا الجهاد في سبيل الله تعالى الذي كانت فيه وقعة أقليش [1] بالاندلس والفتح منها .

وهي من غرر الوقائع وجلائلها ، وشرح شأنها أن ابن أبي رنق [2] صاحب قرطبة في ذلك التاريخ وجماعة الرؤساء » بالاندلس خاطب بعضهم بعضا في [ ] النهوض إلى أقليش ، وكان ألبار هانش [3] [4] للنصارى بجهة برتقال ، وقتله لهم وعيثه في بلاد الشرك بتلك الجهة [5]

---

1) هو حصن أقليش أو أقليج Ucles الذي دارت لديه هذه المعركة بين المرابطين والنصارى وهي الموقعة التي انتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة وبمصرع ابنه الامير شانجه . انظر كتاب الأستاذ أمبروسيو أويثي ميراندا عن « المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحية » ص 103 - 134 حيث خص موقعة أقليش ببحث مفصل ، وقد ترجم ذلك البحث إلى العربية ونشر تحت عنوان « وقعة أقليش ومصرع الامير شانجه » في مجلة تطوان سنة 1957 ، العدد الثاني ص 115 - 130 . وقد اعتمد أويثي في ذلك المقال على ثلاثة نصوص عربية جديدة أولها نص ابن القطان هنا : وثانيها الرسالة التي وجهها تميم بن يوسف بن تاشفين إلى أخيه أمير المسلمين عن هذا الفتح ، وقد نشر نص هذه الرسالة من قبل الدكتور حسين مؤنس في بحثه عن « الثغر الاعلى الاندلسي في عصر المرابطين مع أربع وثائق جديدة » (مجلة كلية الآداب بالقاهرة المجلد الحادي عشر الجزء الثاني ديسمبر سنة 1949 ص 91 - 143) والثالث نص مخطوط من كتاب « البيان المغرب » (مخطوط تامجروت) وهو القسم المرابطي من البيان الذى نشر بعد ذلك فى بيروت سنة 1967 . انظر ص 40 - 50 وانظر كذلك كتاب بوسك بيلا عن « المرابطين » ص 180 وما بعدها وما أورده من مراجع .

2) ورد هذا الاسم في مفاخر البربر ص 81 : « ابن أبي رنق » وكان على ما يذكر المؤلف رابع عامل للمرابطين على قرطبة (انظر مقال أويثي ميراندا « علي بن يوسف وأعماله بالاندلس » مجلة تامودا تطوان سنة 1959 ص 110) .

3) هو القائد القشتالي المسيحي Alvar Fánez ابن أخي السيد القنبيطور ، وكان من كبار قواد ألفونسو السادس . انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ط. دار المنصور ، الرباط 1973 ، ص 159 - 160 وراجع ما كتبه عنه العلامة الاسباني منندث بيدال : إسبانيا فى عصر السيد (الفهرس العام) .

4) بياض في الأصل .

5) ينهي ابن القطان هنا الحديث عن موقعة أقليش ليتحدث عن بقية أخبار سنة 501 ، إلا أننا لا نلبث أن نراه يعود إلى الكلام بتفصيل أكثر عن أقليش فى أول الورقة السابعة مما حملنا على إلحاق ذلك بهذا الموضع حرصا على التسلسل التاريخي .

١ / أ / ١ « ... عساكر المسلمين إلى أقليش ، فاقتحموها عليهم ، ولجأ من كان أسفلها من النصارى إلى القصبة العليا ، ونزلت جميع العساكر عليها وأحاطوا بها ، فأرسل أذفونش ابنه [1] بنحو عشرة آلاف فارس لاغاثة أقليش ومدافعة المسلمين ، فأتوا والتقوا مع المسلمين ، وتصافت عند ذلك العساكر ، وكان مع ابن أذفونش ألبار هانش وغرسيا ردونس [2] ، وهو المدعو بالفم المعوج وغيرهما من صناديد الكفرة ، فتوقفوا .

وذكروا أن النصارى سألوا عن عسكر قرطبة ، فأخبروا به . فهجموا على عسكر قرطبة ، وحملوا عليهم حملة [3] منكرة ، فانهزم عسكر قرطبة ،

---

1) يعني شانجه Sancho الذي كان يبلغ في ذلك الوقت نحو خمس عشرة سنة . ويذكر ابن أبي زرع أن ألفونسو السادس حينما علم أن تميم بن يوسف بن تاشفين أخا أمير المسلمين علي بن يوسف هو قائد الجيوش المسلمة « أشارت عليه زوجته أن يوجه ولده عوضا عنه فيكون مواجها لتميم ، لان تميم ابن ملك المسلمين وشانجه ابن ملك الروم ، فسمع منها » (روض القرطاس 160) .

2) هما القائدان القومس (الكونت) Alvar Fañez والكونت Garcia Ordoñez وكان يرافقهما عدد آخر من كبار قوامس قشتالة مما جعل معركة أقليش تعرف فى كتب التاريخ المسيحية باسم « معركة القوامس السبعة » (انظر مننديث بيدال : إسبانيا فى عصر السيد 760/2 - 764 : ومقال أويثي عن « وقعة أقليش » ، وبوسك بيلا : المرابطون ص 182) . وقد وردت الاشارة إلى ألبارهانش كذلك فى الرسالة التي كتبها ابن شرف عن أحد رؤساء الغرب إلى أمير المسلمين بمناسبة هذا الفتح ، وهي الرسالة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس فى مقاله « الثغر الاعلى الاندلسي ... » (ص 127 والحاشية رقم 2 حيث يوجد تعريف كاف بشخصية هذا القائد ، ويؤخذ منه أنه كان ابن أخ للمغامر القشتالي « السيد القنبيطور » الذي استولى على بلنسية ، وولى ألبارهانش القيادة لالفونسو السادس فاتح طليطلة ثم أقامه هذا حاكما للمدينة فقام بالدفاع عنها حين حاصرها المرابطون بعد انتصارهم فى أقليش ، وكانت وفاته فى سنة 1114 م. (507 هـ) على يد أهل شقوبية Segovia فى المعارك الدائرة بين ألفونسو المحارب صاحب أرغون Aragon وأراكة Urraca صاحبة ليون وقشتالة . أما غرسيا أو ردونس (غرسيا ردونس) فقد ورد ذكره أيضا فى رسالة ابن شرف التي أشرنا إليها (انظر مقال « الثغر الاندلسي .. » ص 130 والحاشية رقم 2 حيث ذكر ناشر الرسالة الدكتور حسين مؤنس أنه كان قائدا قشتاليا من فرسان شانجه (الثاني) ملك ليون ثم أصبح من أتباع ألفنش (السادس) ملك قشتالة ، وكان من المدافعين عن حصن لييط Aledo حينما قام المرابطون بحصاره ، ولقي مصرعه فى وقعة أقليش هذه .

3) فى الاصل : جملة .

وحلت الهزيمة عليهم اميالا [1] .

ثم إن ابن عائشة [2] وابن فاطمة [3] ، وهما صاحبا [4] مرسية وبلنسية هاجما محلة النصارى ، فانتهباها وقتلا من وجدا فيها ، ثم ركبا أقفاء النصارى بالقتل وهم يتبعون المسلمين ، ثم التأم بهم تميم » بن يوسف [5] صاحب غرناطة

---

1) ما يذكره ابن القطان هنا من هزيمة عسكر قرطبة أولا ثابت يؤكده كذلك ابن شرف في الرسالة التي أشرنا إليها ، وهذا العسكر كان يقوده والى قرطبة ابن أبي رنقي كما يقول ابن القطان (ويسميه ابن شرف : أبا عبد الله محمد بن أبي رنقي) وكان هذا العسكر أول من تلقى صدمة الجيوش المسيحية (انظر الدكتور حسين مؤنس : الثغر الاعلى .... ص 129) .

2) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين أخو أمير المسلمين علي ، ويعرف بابن عائشة ، وكان من أعظم قواد المرابطين ، واضطلع بإقرار أحوال شرق الاندلس بعد أن عاث السيد القنبيطور فيها فسادا ، وولى عمل مرسية منذ أواخر القرن الخامس والسنوات الاولى من القرن السادس ، ويشير ابن القطان هنا إلى اشتراكه في موقعة أقليش سنة 501 ، وفي سنة 504 يسرع من مرسية لنجدة محمد بن الحاج عامل سرقسطة حينما ألح عليها ألفونسو المحارب ملك أرغون بالحصار ، ويضطره للانسحاب ، وفي سنة 508 يشترك مع ابن الحاج في غزو برشلونة وهي تلك الحملة التي انتهت بهزيمة البورت ، وخلص منها ابن عائشة إلا أن بصره اعتل بعدها ثم لم يلبث أن عمي ، فاستدعاه أخوه أمير المسلمين إليه ، وعين بدلا منه على مرسية أخاه إبراهيم بن يوسف (انظر مقال فرانسيسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » في كتاب « دراسات نقدية عن تاريخ الاندلس » ، المجلد السابع ص 105 - 109 ؛ وأويثي : علي بن يوسف ... ص 87 - 94 , 114) .

3) أبو محمد عبد الله بن فاطمة من أعظم قواد المرابطين وأشهر رجالاتهم في الاندلس ، اشترك في الحملة التي استنقذ المرابطون فيها بلنسية بعد وفاة السيد القنبيطور إذ أنه قاد جيشا أمد به القائد مزدلي بن سلنكان في سنة 495 ، وفي سنة 497 اشترك مع ابن الحاج في غزو طليطلة وطلبيرة ، ثم ولى بلنسية وشرق الاندلس بعد ذلك واستولى في نفس السنة على مملكة بني رزين الصغيرة وفي سنة 501 اشترك في فتح أقليش كما يرى من النص هنا ، وفي سنة 503 عزل عن بلنسية وولى على غرناطة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى فاس بالمغرب عاملا عليها في سنة 504 ، وفي سنة 509 عاد إلى الاندلس عاملا على إشبيلية فحكمها حتى توفي في رمضان سنة 511 (انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1959 1960 ص 152 155) .

4) في الاصل : صاحب .

5) تميم بن يوسف بن تاشفين أخو الامير علي بن يوسف ، وقد ولي حكم غرناطة بين سنتي 500 و 503 ثم نقل إلى حكم تلمسان بالمغرب ، وعاد بعد ذلك إلى الاندلس فتولى غرناطة مرة أخرى فيما =

بعسكره ، وكرت [1] المنهزمة ، ورجعوا على المشركين . والتحمت الحرب بينهم ، فانهزم المشركون وقتلوا قتلا ذريعا ، واتبعهم المسلمون إلى قرب حصن بلشون [2] فيذكر أن ابن أذفونش أفلت في ثمانية من النصارى ورجع إلى حصن بلشون ، وكان فيه لهم رعية من المسلمين ، فاختبأوا عندهم رجاء أن يسلموا من القتل ، فقتلوهم وقتل منهم ولد أذفونش .

ثم إن المسلمين رجعوا إلى قصبة أقليش [3] وقتالها ، وتصعب عليهم أمرها فأقلعت العساكر عنها وكمنت على بعد . فخرج من فيها هاربين . فقبض عليهم ، فقتل من قتل ، وأسر الباقون ، ودخلت أقليش وحصلت بأيدي المسلمين . واستشهد في هذه الوقيعة الامام الجزولي [4] ، وكان رجل صدق ، وجماعة من الاعيان والعربان [5] رحمهم الله تعالى ، ليقروا بعض الحق في قلوب الناس .

= بين سنتي 515 و 516 . وبعدها نقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وبضعة شهور ، ثم أصبح عاملا على قرطبة وغرناطة في سنة 519 في الوقت الذي قام فيه ألفونسو الأول بحملته ضد الأندلس ، ويبدو أن أخاه عليا عزله عن غرناطة لقلة بلائه في هذه الحملة ، وفي تاريخ وفاته خلاف ، والأرجح أنه توفى سنة 520 (انظر مقال أويشي : علي بن يوسف .... ص 100 - 112) .

1) في الأصل : وكرة .

2) في الأصل : بلسون ، والصواب ما أثبتنا ، وهو بالاسبانية Belinchon .

3) في الأصل : أقليس .

4) لم نهتد إلى شخصية الجزولي هذا ، وربما كان أحد أسلاف العالم المغربي الكبير أبي موسى عيسى ابن عبد العزيز بن يللبخت نسبة إلى جزولة إحدى قبائل البربر وكانت تقطن في جنوب المغرب الأقصى وتوفي أبو موسى الجزولي فيما بين بين سنتي 606 و 610 (انظر دائرة المعارف الإسلامية 1061/1 - 1062 والمراجع المذكورة) .

5) يبدو أن طائفة من عرب إفريقية جازوا إلى الأندلس في أيام المرابطين برسم الجهاد كما نبه على ذلك الدكتور حسين مؤنس « الثغر الأعلى الأندلسي ... ص 129 حاشية 2 » وذلك في معرض التعليق على ما ورد في رسالة ابن شرف حول فتح أقليش عن بلاء بعض الفرسان « العرب » في تلك الموقعة ، وسيشترك هؤلاء العرب في الجهاد بالأندلس بشكل أوضح على أيام الموحدين .

وأما [illegible] (1) هذه الأبواب لعكوث تنفيرا (2) لهم من سماعه ، فضلا عما عدا ذلك (3) .

[ما عاب المرابطين على الموحدين]

فمن ذلك أنهم قالوا : « هذا رجل يكفر الناس بالذنوب ، ويمنع من [8]
الصلاة مع أهل العلم ، ويقول إنه من تاب لا يلزمه قضاء الصلاة والصيام وغير
ذلك من العبادات ، ويرد المطلقة ثلاثا إلى زوجها ، واطرح مذاهب العلماء
وخرج وخرج من الإجماع ، وكفر المسلمين ، واستحل الحرام المجمع على تحريمه ،
واستحل دماء المسلمين ، واستحل أموالهم ، واستحل حريمهم ، وجعل أموال
المسلمين غنيمة تخمس كما تخمس أموال النصارى ، وقام على الأمراء ونزع يده من
طاعتهم ، وقد أجمع المسلمون على تحريم القيام عليهم ووجوب طاعتهم .

فهذه الأبواب نسبونا فيها (4) إلى الكفر والضلال (5) والخروج من الدين ،
فسموا أهل التوحيد خوارج وجعلوهم مبتدعين ، ونسبوهم إلى الخروج من
الدين !

وهيهات ! فما بعد الحق إلا الضلال (6) ، فليس للانسان ما تمنى ، ولا
يبلغ بغيته بهواه ، ولا يفوت قوله بدعواه ، فجميع ما قالوه تحريف وتشنيع ، بل هو
بالضد مما قالوه ، وباختلاف ما اختلقوه . فمعاذ الله أن نكفر (7) مسلما

---

1) في الأصل : ودلة .

2) في الأصل : تبقيراً .

3) تبدو هذه الجملة غير واضحة المعنى ، ولعله يعني أن المرابطين أدلوا على جمهور المسلمين بهذه الوقعة وأمثالها مما انتصروا فيه حتى يصرفوهم عن دعوة محمد بن تومرت المهدي وينفروهم عن الاستماع إليه . ويدل على ذلك أن الفقرات التالية تتضمن إيراداً للتهم التي كان المرابطون يرمون بها الدعوة الموحدية وتفنيداً لتلك الاتهامات .

4) زيادة يقتضيها السياق .

5) في الأصل : والظلال .

6) في الأصل : الظلال .

7) في الأصل : يكفر .

كما قالوه ، أو نمنع من الصلاة على أهل القبلة ، أو . . مط الحقوق أو العبادات
[illegible] بالتوبة ، أو نطرح أئمة الدين وعلماء الأمة ، أو نرد المطلقة ثلاثا إلى زوجها من غير حق وزوج ، أو نخرج عن اجماع المسلمين ، أو نخالف أئمة المسلمين وأمراءهم .

فهذه جملة ما نسبوا إلينا ، ولم نقل منه حرفا واحدا ، لكن حرفوا ما قلنا . ودلسوا به على الناس حتى أضلوا بتدليسهم كثيرا ، وقطعوهم عن ربهم ، وفتنوهم في دينهم ، والذي قالوه ما يقوله أحد من المسلمين لا من العوام ولا من الخواص ، ولا تنسب الأبواب التي عدوها إلى مؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكن الدنيا حملتهم على الافتراء على الله عز وجل ورسوله ﷺ .

والذي قلته معلوم محفوظ عند كثير من الناس أعلنا به في المحافل والجموع ، لا يمكن لأحد أن يبدله أو يزيد فيه إلا علم ذلك لتغربه وانتشاره :

فمن ذلك ان قلنا لهم أجمعت الأمة على ان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين من التحيز والاتصال والانفصال في الصورة والجوارح والجهات والحدود والهيئة وغير ذلك من آلات الحدث [1] ...

[بقية أخبار سنة 501]

[illegible] « وعزل [2] تاشفين بن سليمان [3] عن قرطبة . وولاية محمد بن سليمان [4] إياها .

---

1) ينقطع النص هنا ، وقد سقطت من هذا الموضع ورقة أو اكثر .

2) بقية أخبار هذه السنة في الورقة (3 أ) ، والأصل كثير الاضطراب في ترتيب السنين مما حملنا على تصحيح نظامه واتباع التسلسل التاريخي على قدر ما استطعنا .

3) كان عامل قرطبة في سنة 501 التي وقعت فيها غزوة أقليش هو « ابن أبي رنغى » على ما ذكر ابن المعلان نفسه في حديثه السابق عن تلك الغزوة وهو الذي يسميه ابن عذاري « ابن أبي رنق » ويسميه ابن أبي زرع في روض القرطاس « محمد بن أبي زلفى » (ص 158) ، ولم يسبق أن ذكر ابن المعلان أن هذا العامل عزل عن قرطبة وأن واليها بعده هو تاشفين بن سليمان المذكور هنا . على أن ولاية تاشفين هذا القرطبة يؤكدها لنا كذلك صاحب كتاب « مفاخر البربر » (ص 81) وهو يزيدنا على اسمه كنيته : « أبا محمد » ويسميه القائد جاعلا إياه بعد أبي محمد مزدلي بن سلنكان .

4) لعله هو الذي جاء في قائمة ولاة قرطبة في « مفاخر البربر » (ص 81) باسم « القائد أبي عبد الله بن نونان » .

والعباسي في هذه السنة المستظهر [1] بالله تعالى كما كان .

وأمير إفريقية علي بن يحيى بن تميم [2] .

باب أخبار سنة ثلاث وخمسمائة :

[غزوة طلبيرة]

ومنها الجهاد ، وذلك في غزوة طلبيرة وفتحها [3] ، وذلك بأن تحرك علي بن ابن يوسف غازيا في حفل عظيم من الجند والملثمين وجماعة المطوعين نحو طلبيرة ، فوصلوا إليها ضحوة يوم الخميس الثالث عشر من المحرم من السنة المذكورة ، فقاتلوها ذلك اليوم ، واحترس [4] الناس المدينة ليلة الجمعة ، ثم أصبحوا فقاتلوها أشد قتال ، واجتهد [5] الكفار في الدفاع وكان الوصول إلى سور المدينة يعسر بسبب الوادي المتصل بسورها ، إلى أن خرق المسلمون السد ، فسرب الماء عن السور ،

---

1) هو أبو العباس أحمد الملقب بالمستظهر بالله ، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المقتدي بالله عبد الله ابن أبي العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله سنة 487 ، وتوفي سنة 512 .

2) ولي علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي على إفريقية سنة 509 وتوفي سنة 515 ، وعلى هذا فإنه ليس صحيحا ما يذكره ابن القطان من أنه كان أميراً في تلك السنة (501) ، والمعروف أن تميم بن المعز بن باديس جد علي هذا هو الذي كان في ذلك الوقت لا يزال أمير إفريقية إذ أنه توفي سنة 502 وخلفه ابنه يحيى الذي ولي الامارة حتى سنة 509 ثم خلفه ابنه علي في تلك السنة ولا نظن مثل ذلك يغيب على مؤرخ للمغرب كابن القطان ، ولعل التبعة فى مثل هذا الخطأ إنما تقع على الناسخ أو ربما كانت ترجع إلى الاضطراب فى ترتيب الحوادث التاريخية على نسق السنين .

3) عن غزوة طلبيرة المذكورة انظر كذلك الحلل الموشية (ص 85) ؛ وروض القرطاس ص 171 ؛ وابن عذارى : البيان المغرب القسم المرابطى 52 ؛ وقد استفاد أويثي من الاخبار الجديدة التى أمدنا بها ابن عذارى وابن القطان فى كتابة بحث جيد حول هذه الغزوة وقارن ذلك بما كتبه المؤرخون المسيحيون (انظر مقاله عن « علي بن يوسف ... » ص 82 - 85 وكذلك مقاله « روض القرطاس والمرابطون دراسة نقدية » . مجلة إسبريس سنة 1960 (ص 513 - 541) ، انظر ص 535) .

4) كذا فى الأصل ، وأظن الصواب « واحتوش » أى أحاطوا بها .

5) فى الأصل : واشتهد .

وتداعى الناس على القتال ، وكان ابن حمدين [1] يحرض الناس على الجد والاجتهاد .

ولما ثُلِم السد ، وقل ماء النهر بإزاء الباب – وذلك يوم السبت – اقتحم المسلمون عليهم ، ودخلوها عنوة ، وقتلوا جميع من فيها من النصارى ، واستنقذ من كان فيها من أسارى المسلمين . ولجأ بعض النصارى إلى قصبتها ، وتحصنوا فيها إلى | 7 أ | أن جن عليهم الليل ، فتلثموا وخرجوا على خيولهم فارين على وجوههم ، فتبعهم المسلمون وتطرفوهم [2] ، ثم صاروا إلى حصن « قنالش » ودخلوه عنوة . فهذه أيضا لهم غزوة وفتح ثان .

وكانت في شوال من هذه السنة غزوة أخرى قتل فيها ألف من المسلمين ، وحرقت إحدي وستون قرية .

[إحراق كتاب « الإحياء »]

ومن أخبار هذه السنة إحراق كتاب « الإحياء » : [3]

في أول عام ثلاثة وخمسائة عزم [4] علي بن يوسف – عن إجماع قاضي قرطبة أبي [عبد الله محمد بن] [5] علي بن حمدين وفقهائها – على إحراق كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى بـ « الإحياء » ، فأحرق في

---

1) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي ، قاضي الجماعة بقرطبة ، ولد في سنة 439 ، وتولى القضاء في قرطبة سنة 490 ، وكانت وفاته ، سنة 508 (وسيذكره ابن القطان في وفيات هذه السنة) انظر ابن بشكوال : الصلة ترجمة 1254 .

2) لم يرد الفعل متعديا ، وإنما يقال « تطرف عليه أي غار » .

3) عن إحراق المرابطين لكتاب « الإحياء » انظر الحلل الموشية ص 104 - 105 ؛ وكذلك كتاب أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 2/583 - 586 وانظر كذلك الوثيقة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس حول ذلك في مقاله « نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين » – صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد – المجلد الثالث سنة 1955 ص 107 - 113 والمراجع المذكورة .

4) في الأصل عمر .

5) زيادة تقتضيها صحة الاسم .

وعهد بمسموعاتها على القاضي ابن العربي على هيئته بجلوده بعد إشباعه زيتا . وحظر الأمير [illegible] من أهل الأندلس ، ونفذت كتبه إلى جميع بلاده آمراً بإحراقه حيثما وجد ، وأخذت منه نسخ (1) من أيدي أصحابها كان معول المرابطية عليها ، منها قائد [illegible] بن ياسين (2) توعده علي ابن يوسف على إحضاره ، فأحضره له . ومنها [illegible] المذكور ، ومنها « كتاب ابن العربي (3) حمله مع نفسه إلى الجزيرة الخضراء ثم أمر بجعله في الماء ، فنحل معظمه ، وفقد سائره ، وتوالى الاحراق على ما اشترى منه ببلاد المغرب بقية ذلك العام .

ثالثا :

وقد كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما أُلِّف مثله سببا

---

(1) في الأصل : نسخا .

(2) هو أبو عمر ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني ، أصله من صحراء المغرب وسكن المرية ، وعني بالرواية والسماع وجمع الكتب ، وكانت له رحلة حج فيها وسمع بمكة صحيحي مسلم والبخاري ، ثم عاد إلى الأندلس فسمع الناس منه بإشبيلية وغيرها ، وكان ممن حدث عنه ابن حبيش وابن بشكوال وأبو بكر ابن خير وابن سعادة وتوفي بإشبيلية سنة 530 (انظر ترجمته في التكملة لابن الابار ، رقم 1137 ، ط . كوديرا) ؛ وقد ذكره أبو البيذق في موضعين من كتابه عن أخبار المهدي (ص 84 ، 128) ، ويفهم مما قاله البيذق أنه كان إلى جانب علمه وعنايته بجمع الكتب من كبار قواد المرابطين وعظماء رجالاتهم ، وهو الذي بنى حصن تاسغيموت الذي كان من جملة الحصون التي أدارها المرابطون حول مواقع الموحدين لكي يتخذوا منها مراكز لمهاجمتهم .

(3) هو الفقيه المشهور أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي ، ولد سنة 468 ورحل إلى المشرق مع أبيه سنة 485 ، فتتلمذ على أبي بكر الطرطوشي بمصر ، ودخل الشام والحجاز والعراق . وصحب ببغداد من علمائها أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وعاد إلى الأندلس سنة 491 ، فدخل بلده إشبيلية بعلم كثير وتولى القضاء بإشبيلية ثم صرف عنه ، وكانت وفاته سنة 543 بالمغرب ، ودفن بفاس ومؤلفاته كثيرة نشر بعضها (انظر في ترجمته : ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1297 ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ص 281 - 284 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب 141/4 ؛ ابن سعيد : المغرب 249/1 - 250 ؛ النباهي : المرقبة العليا ص 105 - 107 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان 296/4 - 297 ؛ المقري : نفح الطيب 25/2 - 43) .

لزوال ملكهم ، [1] وانتثار سلكهم ، [2] واستئصال شأفتهم على يد هذا الامير العزيز القائم بالحق ، المظهر [3] للسنة ، المحيي للعلم ، نصر الله تعالى لواءه ، وكبت أعداءه .

[لقاء الغزالي وابن تومرت]

وعندي في [ذلك] [4] حكاية طريفة . وهي هذه [5] :

أخبرني الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الله بن رحمن العراقي رحمه الله تعالى عن بعض أشياخه [6] قال :

أخبرني الحاج الصالح المسن فلان من اهل فاس قال : كنت فى حلقة أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى التي حلقها للتدريس . فجاء ذات يوم رجل كث

---

1) في الأصل : ملكه .

2) في الأصل : سكله .

3) في الأصل : المطهور .

4) زيادة يقتضيها السياق .

5) حول لقاء ابن تومرت للامام أبي حامد الغزالي اختلف المؤرخون ، فمنهم من يثبت ذلك مثل ابن القطان هنا وابن صاحب الصلاة (كما نقل عنه صاحب الحلل الموشية ص 104) وابن أبي زرع (روض القرطاس 172) والسلاوي (الاستقصا 88/2) وابن خلكان (وفيات الاعيان 46/6) والزركشي (تاريخ الدولتين ص 2) وابن أبي دينار (المونس في اخبار إفريقية وتونس ص 107 حيث يذكر ان ابن تومرت لازم الغزالي ثلاث سنين) ؛ ومنهم من يشير إلى هذا اللقاء في تحفظ لا يخلو من الشك مثل عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 245) وابن خلدون (العبر 226/6) والنويري (نهاية الارب – الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ، نشر وترجمة المستشرق الأستاذ جاسبار رميرو في مجلة المركز التاريخي للابحاث الخاصة بمملكة غرناطه – سنة 1918 ص 187 - 188) ؛ ومنهم من انكر هذا اللقاء مثل ابن الاثير (الكامل 294/8) . وقد وفى هذه المسألة حقها من البحث الاستاذ أويثي في كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » (32 - 29/1) وانتهى إلى أن قصة هذا اللقاء موضوعة وأن القرائن التاريخية تدل على استحالة وقوع ذلك .

6) أورد الخبر التالي صاحب الحلل الموشية مع خلاف يسير في بعض ألفاظه نقلا عن ابن صاحب الصلاة الذي يرويه عن « عبد الله بن عبد الرحمن العراقي » شيخ مسن من سكان فاس (الحلل ص 104 105) . وأورده أيضا الونشريسي نقلاً عن نظم الجمان (المعيار المعرب 185/12)

كث اللحية على رأسه كرزى صوف وهو مُحْتبِ بكساء . فدخل المدرسة وحياها بالركعتين ثم أقبل إلى الشيخ أبي حامد رحمه الله تعالى فسلم عليه ، فقال له : من الرجل ؟ فقال : رجل من « أهل المغرب الاقصى فقال له : دخلت قرطبة ؟ قال . نعم . قال : فما فعل فقهاؤها وكيف حال إخواننا في الله تعالى ؟ فقال بخير . قال : هل انتهى إليهم كتاب الإحيا ؟ قال : نعم . قال : فماذا قالوا عنه ؟ فوجم الرجل وخجل ولازم الصمت حياء . فعزم عليه الشيخ ليقولن ما طرأ [1] . فقال إنه قبيح أيها الإمام ! فاشتدت عزيمته عليه في أن يقول ما طرأ فقال له : القوم جهال مقلدون لم يعرفوا قدره . ورفعوا إلى سلطان العدوة والأندلس في شأنه وأنه ينبغي أن يحرق فأمر بإحراقه ، فجمعت النسخ التي في البلاد منه ، وأحرقت في كل بلد .

قال : فتغير وجه أبي حامد . ومد يديه للدعاء والطلبة يؤمنون ، فقال في دعائه : اللهم مزق ملكهم كما مزقوه ، وأذهب دولتهم كما حرقوه ! فقام رجل من الحلقة كان يقال له في ذلك الوقت أبو عبد الله السوسي فقال : ادع [2] الله أيها الإمام أن يجعل ذلك على يدي ؛ فتغافل عنه أبو حامد رحمه الله تعالى . فلما كان بعد جمعة أو نحوها إذا بشيخ [3] [آخر على شكل الأول ، فسأله الشيخ أبو حامد ، فأخبره بصحة الخبر المتقدم . فدعا بمثل دعائه الأول ، فقال له المهدي : على يدي إن شاء الله ، فقال : اللهم اجعله على يده ! فقبل الله دعاءه . فخرج أبو عبد الله ابن تومرت من بغداد وصار إلى المغرب ، وقد علم أن دعوة الله لا ترد] .

[أخبار سنة 508]

* باب أخبار سنة ثمان وخمسمائة :

من ذلك وفاة القاضي أبي عبد الله ابن حمدين [4] لثلاث بقين من المحرم

---

1) في الأصل : طرى .

2) في الأصل : أدعو .

3) ينقطع النص هنا ، وقد استكملنا بقيته من « الحلل الموشية » ص 104 - 105 .

4) هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدين الذي سبق أن عرضنا له (انظر ص 70 حاشية 1) .

منها بعد مرضه خمسة عشر يوما بالفواق ، وحزن الناس عليه ، وكان محببا لهم وللمتلثمين ، وكان حاز في المكانة لديهم ما لم يحزه غيره ممن سلف ، وكان جميل الطريقة ساعيا في كل خير : قطع الضرائب والمعاون عن أهل قرطبة ، وسن كل طريقة جميلة وسيرة حسنة ، لأن ابن تاشفين [كان] [1] لا يخالفه في شيء ، وكان ذكي الفهم سريع الخاطر ، رقيق الطبع ، فقيها أديبا ، بليغا شاعرا . كاتبا فاضلا ، ورعاً ديناً حذراً من العواقب ، وولاية ولده أبي القاسم [2] القضاء بعده .

ووفاة مزدلي [3] ، وأبي الأصبغ ابن حزمون [4] ؛ والأديب أبي الحسن ابن سراج [5] ، وكان كاتبا شاعرا ، من شعره :

---

1) زيادة يقتضيها السياق .

2) أبو القاسم أحمد بن محمد بن حمدين التغلبي ، ولد سنة 472 ، وولى قضاء الجماعة بقرطبة مرتين ، وكانت وفاته سنة 521 (انظر ابن بشكوال : الصلة رقم 172) .

3) هو القائد المرابطي المشهور أبو محمد مزدلي بن سلنكان الذي استرجع للاسلام مدينة بلنسية سنة 495 بعد أن استولى عليها « السيد القنبيطور » نحو ثماني سنوات ، وقد تقلب مزدلي في مختلف مناصب القيادة والولاية بالأندلس ، وكان من آخر هذه المناصب حكم غرناطة وقرطبة والمرية في سنة 504 ، وظل يقود الحملات لجهاد المسيحيين القشتاليين حتى استشهد أخيرا في ميدان المعركة في شوال سنة 508 (مارس سنة 1115 م .) . وذلك بعد حملته المظفرة التي دوخ فيها طليطلة واكتسح بسائطها في سنة 507 . (انظر ابن عذارى : البيان المغرب – القسم المرابطى ص 26 ; 29 , 41 - 42 , 56 - 57 , 60 - 61 ، والإحاطة لابن الخطيب 3/274-275 ؛ ومقال أويثي : علي بن يوسف ... ص . 80 ، 88 ، 90 - 92 ، 110 - 113 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة ... » ص . 157) .

4) أبو الاصبغ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن حزمون القرطبي كان فقيها مشاورا في الأحكام حافظا للرأي بصيراً بالفتيا ، وتولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة ، ولد سنة 440 ، وتوفي في شعبان سنة 508 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 795) .

5) الأديب أبو الحسن أو أبو الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج القرطبي ولد سنة 439 ، وأخذ عنه الناس كثيرا ، وكانت وفاته في جمادي الآخرة سنة 508 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 518 ؛ ابن سعيد المغربي 1/116 - 117 والمراجع المذكورة في هذا الكتاب ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصدفي ، رقم 295) . وقد روى كل من ابن بشكوال وابن الأبار البيتين المذكورين هنا من شعره مع خلاف يسير في الرواية .

بُثّ [1] الصنائع لا تُحفل [2] بموقعها لآمل شكر الإحسان أو كفرا
فالغيث ليس يبالي [3] حيثما انسكبت به الغمائم ترباً كان أو حجرا ‏[١٠٩ ب]

وهجوم الروم على ميورقة ودخولهم إياها عنوة ، وقتلهم من فيها ، وسبيهم أهلها ، واحتواؤهم على جميع ما فيها بعد حصار شديد ؛ وعمرت مائة وعشرون مركبا ، فوصلت إليها ، فوجدت العدو قد أخلاها [4] .

والعباسي في هذه السنة المستظهر كما كان .

وأمير إفريقية يحيى بن تميم [5] .

وأمير مصر المستعلي ، ويقال بأن أخاه سمه ، فقام أخوه وتسمى الامر بأحكام الله ، وأبقى الأفضل على حجابته [6]

---

1) في الأصل : بث .

2) في الأصل : تجعل .

3) في الأصل : يبالى .

4) عن استيلاء الروم (ويعني بهم هنا أهل جنوه وبيزة وقطلونية) على ميورقة ثم استرداد المرابطين لها انظر ابن خلدون : العبر 165/4 ، 242/6 ؛ وابن عذارى : البيان المغرب القسم الخاص بالموحدين بيروت 1985 ص 239 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 157 - 163 والمراجع المذكورة في ذلك الموضع .

5) ولد يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي بالمهدية سنة 457 وولي إفريقية سنة 501 بعد وفاة أبيه تميم ، وتوفي سنة 509 مقتولا في قصره (انظر ابن عذارى : البيان المغرب 304/1) .

6) هذا النص مضطرب ، ويبدو أن خطأ وقع فيه ، فالمعروف أن الخليفة الفاطمي المستعلي وهو أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله وهو سادس خلفاء مصر الفاطميين ولي الخلافة سنة 487 (وكان مولده سنة 467) وقتل سنة 496 ، وكان القائم بأمور الدولة في عصره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ، وخلفه ابنه (لا أخوه) الآمر بأحكام الله أبو علي منصور ، ولي وهو صبي سنة 496 (وكان مولده في سنة 490) وقتل سنة 524 . والذي نعرفه من المراجع التاريخية أن نزاراً أخا المستعلي نازعه على الخلافة وقال إن أباه المستنصر عهد إليه بها ، فهرب إلى الإسكندرية ودعا لنفسه بها ، ولكن الأفضل هزمه ومزق جيوشه ، ويقال إن المستعلي بعد أن ظفر به في سنة 488 بنى عليه حائطا ، ويزعم أصحابه الذين يدينون بإمامته أنه تحت هذا الحائط حتى يحين موعد خروجه ؛ ويسمى هؤلاء باسم « النزارية » وطائفتهم هم الذين يعرفون باسم الدروز .

[أخبار سنة 509]

باب أخبار تسع وخمسمائة :

و [من] [1] ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى في غزوة عبد الله بن فاطمة صاحب إشبيلية [2] .

وأمير إفريقية في هذه السنة أيضا يحيى بن تميم المذكور في السنة قبلها .

[3 أ] ## * باب أخبار سنة إحدى عشرة وخمسمائة :

فمنها وصول الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى بجاية [3] ، فأمر بالمعروف ، فنمى أمره إلى العزيز بن الناصر [4] صاحبها ، فهم به ، ثم تركه عصمة

---

1) زيادة يقتضيها السياق .

2) عن عبد الله بن فاطمة انظر ص 65 (حاشية 3) ولم تفدنا المراجع الآخرى عن غزوة هذا القائد في سنة 509 ، وكان قد عوض في أول هذه السنة عن ولاية فاس بإشبيلية (البيان المغرب – القسم المرابطي ص 62) ، على أن ابن عذارى حدثنا في اخبار تلك السنة عن معركة عنيفة بين المرابطين والنصارى ونورد فيما يلي نصه عن ذلك (ص 61) : « وفي سنة 509 ضرب العدو على نظر قرطبة ، فخرج إليه محمد بن مزدلي في عسكره وبادر في الاستعجال لاثره ، فلحق بالعدو ، ونشبت الحرب ، وصبر المسلمون ، فاستشهد محمد بن مزدلي والأمير محمد بن الحاج والأمير أبو إسحاق ابن دانيه والأمير أبو بكر ابن واسينو ، ومات [من] الأمراء نحو الثمانين من وجوه المرابطين وجملة كبيرة من الحشم وأهل الأندلس ، وذلك يوم الخميس مستهل صفر من السنة المؤرخة ، فكان مصابا عظيما وخطبا جسيما ، واتصل الخبر بأمير المسلمين علي فولى قرطبة الأمير أبا بكر يحيى بن تاشفين وهو ابن عمه شقيق أبيه لامه ، فنفذ إليها وقدم عليها » ، ولا نرى في هذا النص ذكراً لاشتراك ابن فاطمة في تلك الوقعة .

3) كانت رحلة ابن تومرت إلى بجاية في أواخر سنة 511 على ما يذكر ابن خلكان نقلا عن ابن القفطي (وفيات 47/5) وذلك على خلاف ما يقول ابن أبي زرع من أن ذلك كان في أول ربيع الأول سنة 510 روض القرطاس ص 173 ، وما يذكره ابن خلدون من أن وصوله إلى بجاية كان في سنة 512 (وحول تحقيق ذلك انظر أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 40/1) .

4) كذا ، وقد كان صاحب بجاية في ذلك الوقت هو العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس (أو علناس) ، ولي بعد اخيه باديس بن المنصور ، وتوفي سنة 515 (انظر ابن عذارى : البيان المغرب 302/1 - 309) ، ولعل ابن القطان نسبه إلى جده .

من الله تعالى لخولته لما » منحه من إنقاذ البلاد من الجور والفساد ، وتلافي العباد ، [3 ب]
فخرج الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من بجاية إلى رباط خارجها وعلى القرب منها يقال له رباط ملّالة [1] فكان رضي الله تعالى عنه حافظا عالما بالمذاهب متصوراً ألمعياً نِقاباً ، [2] فعمر مجلسه الطلبة والصالحون ، فكان رضي الله تعالى عنه مأوى لاهل الخير والعلم ، فكاثر رضي الله تعالى عنه بهم ، وتعلق به هنالك عبد الواحد بن عمر التونسي من فقهاء إفريقية ؛ وكان لا يراه أحد ولا يسمع به إلا أشرب حبه رضي الله تعالى عنه ، حبا وضع الله تعالى عليه وألبسه رداءه ، وصير جميع الخلائق به أحباءه وأوداءه [3] ، لما اختصه به من العلاء والجلال ، وأهله له من احتياز درجات السنا والكمال .

ولما مات التونسي برباط تلمسان اتفق أصحابه المواظبون لمجلسه أن يجلبوا إلى مكانه الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فوجهوا إليه سيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ابا محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى ، وكان أحد طلبة التونسي المذكور الذين يحضرون معه عنده ، * ويذكر ويتذاكر مع الطلبة [4] . [4 أ]

---

1) في خروج ابن تومرت إلى رباط ملالة انظر ابن خلكان : الوفيات 47/5 وابن خلدون 227/6 ، وقد وصف هذه الرحلة بالتفصيل أبو بكر البيذق (أخبار المهدي ص 52) .

2) النقاب بكسر النون هو العلامة .

3) في الأصل : أحباؤه وأوداؤه .

4) تضاربت آراء المؤرخين في الصورة التي تم فيها التقاء رجلي الدولة الموحدية ابن تومرت وعبد المؤمن وفي مكان هذا اللقاء . انظر حول ذلك القصة المفصلة التي يرويها البيذق (ص 55 - 57) وابن أبي زرع : روض القرطاس 172 ؛ وابن خلدون : العبر 227/6 ؛ والنويري : نهاية الأرب ص 188 .

ويذكر أويثي في بحثه لهذه المسألة أن ذلك اللقاء كما يصوره لنا ابن القطان هنا أقرب إلى المعقول من تلك القصة المسرحية المصطنعة التي ابتدعها البيذق . وابن خلدون يتفق مع ابن القطان في مجمل هذا الخبر . (انظر تاريخ الدول الموحدية 43/1 - 46) .

[أخبار سنة ٥١٦]

....

ثم هاجر الإمام رضى الله تعالى عنه ، وحل بجبل إيجيليز ، [1] ومع ذلك اتصل بعلى بن يوسف أن أهل قرطبة قاموا على الملثمين وأخرجوهم . وخاطب أهل قرطبة مخاطبة تفزيع [2] وتهديد ، فلما لم يؤثر فيهم التهديد نهض إليهم فى السنة التى بعد هذه [3] .

وأقام الإمام بجبل إيجيليز [1] ثلاثة أعوام يدرس العلم ، ويهاجر إليه السعداء ، ويعلم المهاجرين ، ويخاطب القبائل رضى الله تعالى عنه . والعباسي فى هذه السنة المسترشد بالله تعالى [4] .

وفى هذه السنة مات أمير إفريقية علي بن يحيى بن تميم ، وولى ولده حسن . [5] ولم يكن فى أمره يحسن الطريقة إلى أن دخل عليه الروم المهدية

---

1) في الأصل : الجبلين

2) يمكن ان تكون كذلك : تفريع .

3) لم يرد قبل ذلك بيان السنة التي يسرد المؤرخ حوادثها ، على أنها واضح من السياق أنه يعنى سنة 515 كما أثبتنا في العنوان الذي أثبتناه بين الحاصرتين .

4) هو أبو منصور الفضل الملقب بالمسترشد بالله بن الخليفة أحمد المستظهر بالله ، بويع بالخلافة بعد موت أبيه في شهر ربيع الآخر سنة 512 ، وكانت وفاته في سنة 529 ، ومولده في حدود سنة 485 .

5) الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي . ولد بمدينة سوسة في رجب سنة 502 ، وعهد إليه أبوه بالأمر في حياته ، فلما توفي سنة 515 بويع بإمارة إفريقية ، وما زال حتى دخل عليه المهدية نصارى صقلية في أيام ملكها رجار الثاني في سنة 543 ، فالتحق الحسن بعرب رياح وكبيرهم محرز بن زياد ثم أراد الرحيل إلى مصر ليلتجيء إلى الخليفة الفاطمي الحافظ فأرصد له جرجي صاحب أسطول رجار ، فأجاز إلى بونة ثم إلى قسنطينة ومنها إلى الجزائر وما زال بها حتى فتحها عبد المؤمن بن علي الموحدي سنة 547 ، فوالاه الحسن ولحق به وصحبه إلى افريقية فى غزاته الأولى التي استخلص فيها المهدية من أيدي النصارى سنة 555 ، ثم في غزاته الثانية سنة 557 ، وأقام الحسن بالمهدية بعد أن أقطعه إياها عبد المؤمن ، ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن إلى حضرة ملكه مراكش ، فارتحل باهله إليها ، وهلك فى طريقه بتامسنا سنة 563 ، وهو آخر من ملك إفريقية من أسرته ، وعلى يده انقرضت دولتهم .

سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة [1] .

« وفيها مات الأفضل [2] وزير المستعلى صاحب مصر والآمر بأحكام الله ، ١٠١
وذلك أن الآمر بأحكام الله لما أبقى الأفضل على حجابته قيل له : مالك ملك مع الأفضل ! فدس له رجالا وأمرهم بقتله . ووعدهم بالعطاء الجزيل ، وكانوا مجهولين ، فلما كان عام أربعة عشر رصدوه في زقاق ضيق كان متى خرج خطر عليه ، وكان في الزقاق فرن ، فلما أحسوا بأنه قرب من الفرن خرجوا من الفرن فقتلوه ، وبادرهم الرجال فقطعوا بالسيوف ، وسار الأفضل إلى داره وبه رمق ؛ فلما علم الآمر بالأمر جاءه وكأنه زائر له ، فخرج عنه الناس ، وبقى معه وحده ، فقيل إنه جعل [3] على وجهه مخدة ، وقعد عليه حتى طفئه ، [4] ولم يخرج من عنده إلا وهو قد مات ، فقدم رجلا للحجابة [5] ....

---

1) عن فتح رجار ملك صقلية النصراني للمهدية انظر ابن عذارى : البيان المغرب 313/1 ؛ ابن خلدون : العبر 162/6 ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان 217/6 - 218 ؛ النويري : نهاية الارب (نشر جاسبار رميرو) 166/2 - 168 ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام (القسم الخاص بشمال افريقيا) بتحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني ط. الدار البيضاء 1964 ص 131 ، والترجمة الاسبانية (رافاييلا كاستريو) ص 87 والمراجع الواردة في الحاشية .

2) هو الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش أبو القاسم بن بدر الجمالي الأرمني وزير مصر ومدبر ممالكها ، ولى الحجابة بعد موت أبيه في أيام الخليفة المستعلى الفاطمي ، واستبد بالمملكة حتى توفى المستعلى ، فولى الخلافة بعده الآمر بتدبير من الأفضل ، وقام الحاجب بالحجر على الخليفة متبعا في ذلك سيرة أبيه مع المستنصر والمستعلى من قبل ، وما زال حتى ضاق الآمر بذلك فدبر مؤامرة لقتل الأفضل (انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة 222/5) هذا ويضيف ابن القطان هنا تفاصيل جديدة عن اغتيال الأفضل .

3) في الأصل : عمل ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

4) أي ازهق روحه .

5) ينقطع النص هنا ، إذ يلي ذلك خرم لا ندري عدد الاوراق التي ذهبت فيه ، على أن الذي نعرفه من كتب التاريخ المصري أن الخليفة الآمر استوزر بعد قتل الأفضل أبا عبد الله المأمون بن البطائحي (انظر ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة 229/5) ، ولكن الآمر لم يلبث أن قبض على المأمون هذا وعلى أخيه المؤتمن سنة 519 وصادر أموالهما ثم قتلهما (وانظر حول اغتيال الأفضل والاحداث التي تبعت ذلك كتاب الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية الطبعة الثانية ص 173 - 175 والمراجع المذكورة في ذلك الموضع) .

[٩ أ] «[عن (1) أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : صنفان من أهل النار لم أرهما :] (2) قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رئوسهن كأسنمة (3) البخت (4) المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها (5) .

وقوله صلى الله تعالى عليه وملائكته الكرام وسلم لأبي هريرة رضى الله تعالى عنه : إن طالت لك مدة أوشكت (6) أن ترى قوما يغدون فى سخط ، ويروحون في لعنة ، فى أيديهم مثل أذناب البقر سياطا كانت عندهم ليست عند أحد سواهم (7) .

و[من] نعمه (8) رضي الله تعالى عنه عليهم ما أخذهم (9) بقراءة

---

1) قام الأستاذ ليفي بروفنسال بنشر قطعة من هذا المخطوط تبدأ بهذه الورقة (رقم 9) حتى وجه الورقة (رقم 14) مع ترجمة إلى الفرنسية وتعليقات ، وذلك تحت عنوان « ست قطع مخطوطة من تاريخ مجهول المؤلف لظهور الدولة الموحدية » ، ونشرت هذه المجموعة من النصوص في مجلد أحتوى على بعض الدراسات الاستشراقية وأهدي إلى ذكرى العالم الفرنسي رينيه باسيه ، ط . باريس سنة 1925 .

(**Lévi-Provençal** : Six Fragments inèdits d'unechronique anonyme du début des Almohades , Mélanges René Basset , t. II, pp. (335-393) .

2) ما بين الحاصرتين تتمة الحديث المنسوب إلى النبي (صلعم) وقد استكملناه مما جاء في كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي (نشر لوسياني وتقديم جولد تسيهر - الجزائر سنة 1903 ص 261 في الفصل المعنون له بقوله « باب في بيان طوائف المبطلين من المثمين والمجسمين وعلاماتهم » .

وانظر هذا الحديث أيضا في كتاب جلال الدين السيوطي « الجامع الصغير ، بشرح عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير 208/4 - 209 (ط . القاهرة سنة 1938) .

3) في الأصل : رؤسهم كاسنة .

4) هي الابل الخراسانية .

5) لم يذكر هنا تمام الحديث ، وبقيته : وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .

6) في الأصل : أو شككت .

7) ورد هذا الحديث أيضا في كتاب « أعز ما يطلب » ص 260 - 261 .

8) في الأصل : ونعم .

9) في الأصل : واخذهم .

حزب واحد منه فى كل يوم إثر صلاة الصبح بعد [1] حزب من القرآن ، وهو سفر مجلد [2] يحتوي على معرفة الله تعالى والعلم بحقيقة القضاء والقدر والإيمان والإسلام والصفات وما يجب لله تعالى وما يستحيل ويجوز عليه والإيمان بما أخبر به النبي ﷺ وملائكته الكرام وسلم بما طريقه الإخبار بما أعلمه الله تعالى من غيبه ، ولمع من « أصول الدين ومعرفة المهدى وأنه الإمام ، ووجوب الإمامة ، | ١٧ ب
وما يجب له من التعزيز والتوقير وأن الهجرة إليه واجبة لا يحول بينها وبين أحد من المسلمين أهل ولا ولد ولا مال ، وأن من سمع بأمره وجبت عليه الهجرة إليه . ولا عذر له بوجه من الوجوه ، ويكفر من لم يصل [عليه] [3] ولم يطعه ، وذكر لهم فيه الآداب بينهم ، وعلامة المؤمن ، وما يجب على المؤمن فعله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وآخى بينهم فيه ، وذكر لهم علامة المنافقين وبينها بأوضح بيان ، وجعل القتل في ثمانية عشر صنفا كالكذب والمداهنة وأمور يطول الكتاب بذكرها ؛ وحفظهم إياه ورباهم به وسهل عليهم التعليم بنفسه وباعيان أصحابه . وجعل على كل عشرة نقيبا [4] .

---

1) في الأصل : بعد اثر .

2) لعل ابن القطان يعنى بهذا السفر كتاب « أعز ما يطلب » الذي سلفت الاشارة إليه كما يدل على ذلك نص عبد الواحد المراكشي فى المعجب (ط . سعيد العريان) ص 255 وكتاب الحلل الموشية ص 109 . وانظر مناقشة الدكتور احمد مختار العبادي لحقيقة هذه الكتب التي كان ابن تومرت يعنى بأخذ الموحدين بقراءتها وتدارسها فى مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية » (مجلة تطوان العدد الخامس – سنة 1960 — ص 157 والحاشية رقم 72 - 73) .

3) فى الأصل : يصلى وما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق .

4) ورد فى كتاب « المقتبس من كتاب الأنساب فى معرفة الأصحاب » (أصحاب ابن تومرت) الذي نشره ليفي بروفنسال ضمن مجموعة من الوثائق الموحدية تفصيل واف لهذه الطبقات (انظر ص 32 - 48) . كذلك جاء فى كتاب « الحلل الموشية » نقل يكاد يكون بالحرف لمعظم هذا النص لطبقات الموحدين ، إلا أنه جعلها ثلاث عشرة طبقة لا أربع عشرة كما هو هنا (انظر ص 89 من النص العربي ، وتعليق أمبروسيو أويثى فى ترجمته الاسبانية للحلل ص 130 - 131 هذا والنص الذي يورده ابن القطان حول هذا الموضوع إنما هو على الارجح مما نقله عن المؤرخ أبي يحيى اليسع بن عيسى بن حزم كما سنرى من تعليق ابن القطان عليه فيما بعد .

[طبقات الموحدين]

فالصنف الأول : العشرة ، يعنى أهل الجماعة .

والثاني : أهل خمسين .

والثالث : أهل سبعين .

والرابع : الطلبة .

والخامس : الحفاظ ، وهم صغار الطلبة .

والسادس : أهل « الدار . [10 أ]

والسابع : هرغة .

والثامن : أهل تينملل .

والتاسع : جدميوة .[1] .

والعاشر : جنفيسة .

والحادى عشر : هنتاتة .

والثاني عشر : أهل القبائل[2] .

والثالث عشر : الغِزّات[3] ، وهم الأحداث الصغار الأميون .

---

1) في الأصل : جدميرة .

2) يقصد بالقبائل ما حول مدينة مراكش من قبائل ، وهي هزمير وهيلانة وهزرجة (انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 425) .

3) قرأ ليفي بروفنسال هذه الكلمة « الغزاة » ، وترجمها بلفظ champions وفسرها بأنهم الحرس الخاص للإمام ، وقد نقل عن ليفي بروفنسال ذلك من اعتمد عليه من الباحثين ، مثل أويثي في ترجمته للحلل الموشية (ص 130 ، حاشية رقم 5) ، بل أضاف هذا إلى ذلك أنه يعنى الرماة arqueros ولكننا لا ندري كيف يكون « الغزاة » هم الاحداث الصغار الأميين على ما جاء في تفسير ابن القطان نفسه ولا كيف يضعهم المؤلف في الطبقة الأخيرة إذا كانوا هم حرس الإمام الخاص ، ومن رأينا أن كل هذه التخريجات إبعاد في التأويل أدى إليه خطأ في قراءة الكلمة ، إذ أن الصواب فيها « الغرات » جمع غر وهو الصبي الصغير .

وأنزل صنفه من هذه الأصناف رتبة لا يتعداها إلى غيرها لا في السفر ولا في الحضر ، وأمدهم في ترك امتثال أمر من يسمع أمره بالقتل ، وبايعوه [1] على هذا ، وكان رضي الله تعالى عنه يعظهم في كل وقت ويذكرهم ، ومن لم يحضر أدب ، فإن تمادى قتل ، وكل من لم يحفظ حزبه عزر بالسياط ، وكل من لم يتأدب بما أدب به ضرب بالسوط المرة والمرتين ، فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامر قتل ، ومن داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه أو من يكرم عليه قتل ، وشدد في المعاملة ، وضبط « أمرهم [10]
جدا فانضبط . وأقاموا على ذلك مدة يتسامع الناس تقلب أحوالهم فيها .

وقال ابن الراعي :

لما أحق الله الحق ، وأبطل الباطل – يعنى في المذاكرة التي كانت بأغمات [2] – خلع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه مبايعة علي بن يوسف عن أعناق تابعيه وأصحابه ، وأعلن الجميع بخلعه ، وكان بعضهم يبرح به في المساجد .

قلت :

أما ما ذكره اليسع [3] من أمر السبعين فلا أعرفه ولا أراه صحيحا ،

---

1) في الأصل : وبا عيوه .

2) لعل ابن الراعي يشير بهذا النص إلى ما وقع بأغمات وريكة حينما حلها محمد بن تومرت في طريقه من مراكش ، إذ يقول البيذق إنه كان يقرئ في نفس هذا المسجد أيضا فقيه يدعى عبد الحق بن ابراهيم كان يضيق بالمهدي ويحسده « وأقبل إليه فأفحمه المعصوم ، وقامت أغمات فرقتين : مؤمن وكافر ... » (أخبار المهدي ص 70) .

3) هو أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع الغافقي الجياني البلنسي ، سكن المرية ومالقة ، ثم كتب لبعض الأمراء في شرق الأندلس ، وقد رحل اليسع إلى المشرق في سنة 560 واستقر بمصر ، واتصل بصلاح الدين الأيوبي الذي قربه إليه وكان يكرمه ويشفعه في حوائج الناس ، وتوفي اليسع بمصر سنة 575 . وقد ألف كتابا سماه « المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب » جمعه للسلطان صلاح الدين ابن أيوب ، وقد نقل المقري عنه في عدة مواضع من نفح الطيب وكذلك صاحب « الحلل الموشية » (انظر ترجمته ونقولا عنه في النفح 127/1 ، 164 ، 208 : 265 ، 672 ؛ 379/2 ، 487 ، 397/3 ؛ 314/4 ، 455 ؛ وابن الابار : التكملة ، ترجمة 2112 ؛ ومعجم أصحاب أبي علي الصدفي ، ترجمة 315 ؛ وبونس –

وإنما أعرف العشرة الجماعة وأهل الخمسين وسبعه هم أهل مشورته ، وأما العشرة فقد مر ذكرهم [1] .

وأما الخمسون فهم :

أما من قبيل هرغة فستة رجال ، أبو مروان عبد الملك بن يحيى وأبو زيد عبد الرحمن بن سليمان ، وإسحاق — ولم أجد اسم أبيه — وأبو زكريا يحيى بن يومور ، ويعزى [2] بن مخلوف ، وأبو زيد عبد الرحمن بن داود [3] .

[11 أ] وأما من قبيلة تينملل « فأربعة عشر ، [4] وهم : أبو عمران موسى بن سليمان القاضي ، [5] وأبو عبد الرحمن ، وسواجات بن يحيى ، وأبو بكر ابن يزامارن ، وأبو محمد عبد العزيز — لا أدري ابن من — وعلي بن يامصل ، والحاج موسى ، ويحيى أغوات ، وعبد الله بن ينساك ، والقاسم بن محمد ، ويوسف بن مخلوف ، وأبو علي يونس .

وأما من قبيلة هنتاتة فثلاثة : [6] أبو يعقوب يوسف بن وانودين ، وداود بن عاصم ، وأبو محمد بن واحدان .

= بويجس : المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون ، رقم 196 ، ص 242 ؛ وجونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) ، ص 242 ؛ الحلل الموشية ص 62 ، 82 ، 107 ، 132 ، 138 - 139 ، 146 - 148) .

1) سيعود ابن القطان للحديث عن العشرة فيما بعد .

2) في الأصل : يعزاء ، والتصويب عن كتاب البيذق .

3) يبلغ عدد أهل الخمسين من قبيل هرغة على ما ذكر البيذق في كتاب الأنساب (ص 33-34) ثمانية بدلا من الستة المذكورين هنا .

4) هم تسعة عشر على ما ذكر البيذق (ص 34) ، وهناك خلاف بين المؤلفين في أسماء هؤلاء .

5) هو صهر عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي ابن تومرت ومتولى القضاء له ، وسنترجم له عند ورود اسمه بين قضاة عبد المؤمن .

6) في كتاب البيذق اسمان فقط ، وقد جاء اسم الثلاثة هكذا : أبو عبد الله محمد بن ويكلدان وعبد الكريم ويعقوب أفغو .

وأما من جدميوة [1] فرجلان : أبو محمد يعيش ، وأبو حرب .

وأما من جنفيسة فأربعة : أبو إسماعيل ، وأبو زيد عبد الرحمن بن رحو ، وعبد الله بن الحاج ، وأبو سعيد يخلف بن الحسين [2] .

وأما من القبائل فرجل واحد : وهو عبد الرحمن بن ينومر [3] .

وأما من هسكورة فثلاثة : إسحاق بن يونس ، وعبد الله بن عبيد الله ، وأبو عبد الله بن أبي بكر « المعروف بابن يندوس [4] . [21 ب]

وأما من صنهاجة فثلاثة : أبو محمد الجراوي ، ويحيى بن وسنار [5] وإسحاق بن محمد [6] .

وأما من الغرباء [7] فخمسة : أبو يعقوب اللمطي ، وأبو زكرياء يحيى الدرعي ، وعبيد الله بن يوسف الزناتي ، وسليمان الجزولي ، وابراهيم بن جامع .

هكذا عددهم ابن صاحب الصلاة في كتابه [8]

---

1) في الأصل : جدميرة ؛ وقد أورد البيذق أسماء أربعة رجال هم : أبو محمد العيس بن تماري ، وأبو علي سحنون بن تماري ، وأبو محمد عبد الكريم بن تماري وأبو محمد سعد الله والد إبرهيم .

2) في البيذق أسماء أربعة كذلك ، إلا أن الاسمين الأخيرين هما : أبو اسحاق ابرهيم بن سليمان وأبو زيد عبد الرحمن المعروف بآمازار .

3) في البيذق : أبو إبرهيم إسحاق بن أبي زيد .

4) في البيذق : المعروف بابن تونادوت ، وقد زاد عليهم هذا المؤلف اسما رابعا هو : أبو محمد عبد الحق بن معاد الزناتي .

5) في الأصل : يحيى بن سنان ، والتصويب عن البيذق ص (35).

6) جاء مكان هذا الاسم الأخير في البيذق : أبو الحسن علي بن ناصر .

7) لم يشر البيذق إلى هؤلاء الغرباء ، وإنما أضاف إلى قائمته المستدركين بعد التمييز (ص 35) .

8) هو المؤرخ المشهور أبو مروان أو أبو محمد عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة الذي ترجم له ابن الأبار (التكملة ترجمة رقم1726) ، وكانت وفاته في اواخر القرن السادس الهجري على خلاف بين الباحثين المحدثين في تاريخ ذلك على وجه التحديد . وله الكتاب المعروف باسم « المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » ، —

نقلت :

وهم على هذا زهاء (1) أربعين أو واحد (2) وأربعين رجلا ، فأين تمام الخمسين ؟ وعد السبعة الذين قال إنهم رجال مشورته ، ولعلهم منتقون من الخمسين .

قال :

هم : أبو سليمان ، من هرغة ؛ وأبو الحسن ، من أهل تينملل ؛ وأبو وزغيغ بن ياموهل بن ياوجان ، من أهل تينملل ؛ وأبو وايور يغور ييوركن ، من تينملل أيضا ؛ وقطران بن ما غليفة ، من هنتاتة ؛ وأبو محمد سكاته ، وأبو عمران موسى بن واحمدين ، من مزالة ، ومزالة من هنتاتة .

قال ابن صاحب الصلاة :

[12 أ] وكان له – رضي الله تعالى عنه – رجال يخدمونه » في داره ، يسمون أهل الدار (3) من أصحابه ، يختصون به في ليله ونهاره ، وهم المعروفون بأهل الدار .

= في تاريخ الدولة الموحدية ، وعلى هذا الكتاب يعتمد المؤرخون المتأخرون مثل صاحب روض القرطاس وابن الأبار وابن الخطيب وابن خلدون وصاحب الحلل الموشية والمقري ، وقد كان هذا الكتاب يتألف من ثلاثة أجزاء لا يوجد منها الآن إلا الجزء الثاني المحفوظ في المكتبة البودليانية بأكسفورد (رقم 758) وهو يشمل أحداث الدولة الموحدية من سنة 554 (1158 م.) حتى سنة 580 (1184 م.) ؛ وقد وقف على تحقيق هذا الكتاب ونشره مع دراسة شاملة السيد الزميل البحاثة المغربي الأستاذ عبد الهادي التازي ، بيروت (1964) ، (انظر عن هذا المؤرخ وكتابه الأستاذ بونس بويجس المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون ص 245 - 246 والمراجع المذكورة) .

1) في الأصل : زهاد .

2) في الأصل إحدى .

3) عن أهل الدار قارن ما أورده ابن القطان هنا نقلا عن ابن صاحب الصلاة بما أثبته البيذق (ص 29) ، وفيه زيادة عما هنا واختلاف في بعض الأسماء .

أصحبهم به : عبد الواحد بن عمر ، وأبو محمد وسنار [1] بن محمد ، وأبو محمد عبد العزيز ، وأبو موسى عيسى ، وعبد الكريم أفغو .

...... » [2] فطالما كنتم في أيام زناتة ، يأتي الرجل إلى داره ، فيجد الزناتي | 11
| يأمره | بإمساك فرسه على باب الدار ؛ فما شبعتم الخبز إلا في أيامنا ، ولا اكتسبتم المال إلا في دولتنا ! وكلاما كثيراً مثل هذا . فاعترفوا بالخطأ ، واشتغلوا له بغرمه إلى أن استوفاه بعد أن غرم فيه العمى والمباطيل ، ثم كلفهم حصة كثيرة بسلاحها .

باب أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة :

من أخبار هذه السنة ابتداء إعلام الإمام المعصوم المهدي المعلوم رضي الله تعالى عنه بإعلان أمره العزيز ومبايعة الناس له .

مقدمة لأيامه العظيمة بذكر جمليات من أموره الكريمة رضي الله عنه

نسبه [3] :

هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان ابن سفيان » بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن الحسن بن علي | 11
ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم .

وقيل مثل ذلك سواء إلى عدنان ، فنسب هكذا : عدنان بن صفوان

---

1) في الأصل : وسنان .

2) واضح أن هذا بقية كلام لمحمد بن تومرت المهدي ، ولم نستطع توجيه هذه العبارات على نحو مقبول .

3) عن نسب محمد بن تومرت واختلاف الآراء فيه انظر : ابن خلدون : العبر 225/6 - 226 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان 45/5 - 46 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 172 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين ص 1 ؛ الحلل الموشية 103 ؛ كتاب الأنساب ص 21 ؛ وانظر كذلك مناقشة أويثي لمختلف آراء المؤرخين القدامى في كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » 27/1 وما بعدها .

ابن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن **محمد** بن الحسن بن علي أبي طالب رضي الله تعالى عنهم [1] .

وقيل إنه رضي الله عنه : محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل [2] بن حمزة بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم [3] .

وكان والده – رضي الله تعالى عنه – قد لقبته أخته بتومرت ، [4] ويقال له أيضا الشيخ ، ويقال له أيضا أمغار [5] . فهو عبد الله ، وتومرت ، والشيخ ، وأمغار .

وعاش والده إلى أن لحقه ببجاية قافلا ، فأكد عليه في القفول [6] شوقا إليه ، فلزمه بره ، فقفل رضي الله تعالى عنه .

ولقبه – رضي الله تعالى عنه :

[١٠١ أ] المهدي ؛ لقبه بذلك العشرة من أصحابه ساعة مبايعتهم * له أولى بيعة انعقدت له ، كما سيأتي بعد تمام هذه المقدمة إن شاء الله تعالى .

---

1) ورد هذا النسب في كتاب « الأنساب في معرفة الأصحاب » ص 21 ، على أن مؤلف هذا الكتاب أتبع ذلك بقوله إن قرابة ابن تومرت وأهل العناية بشأنه لا يعرفونه .

2) في الأصل : مصل ، والتصويب عن كتاب « الأنساب » ؛ وفي العبر لابن خلدون : يا مصال ، وهو يمعن في هذا الموضع على أنه إنما نقل هذه النسبة عن نفس ما كتبه ابن القطان (العبر 225/6) .

3) يتفق هذا النسب مع ما جاء في كتاب « الأنساب » ، وهو ما أكد مؤلف هذا الكتاب على أنه الصحيح .

4) في الأصل : بتومرت ، وهو يقصد أن اسم تومرت هذا إنما أطلق عليه من أجل ذلك ، أما هذه الكلمة فهي تعني على الارجح ضرباً من الأكسية الجلدية ، ومن الطريف بمناسبة هذه الكلمة البربرية ما ذكره ليفي بروفنسال عند نشره لقطعة من « نظم الجمان » تتضمن هذا النص (Mélanges René Basset, p. 369) أن الأستاذ رينيه باسيه قد أفاده بأن هناك كلمة قريبة من هذه ما زالت شائعة لدى أهل جزر كناريا ، وهي Tamarco ومعناها « كساء من الجلد أيضا » وأنه ربما كانت هذه الكلمة ولفظ تومرت من أصل واحد .

5) هذه الكلمة هي الترجمة البربرية للفظ « الشيخ » .

6) في الأصل : القبول .

وقد وقفت على نسخة صك [1] كتبه رضي الله تعالى عنه للفقيه القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي [2] أوله بعد البسملة والصلاة « أقول وأنا محمد بن عبد الله تومرت وأنا مهدي آخر الزمان » ؛ وتاريخه آخر شهر رمضان المبارك عام أحد عشر [3] وخمسمائة ؛ فجاء من هذا أنه كان يلقب بذلك من قبل .

وكان رضي الله تعالى عنه يلقب في صغره وهو يقرأ في المكتب « أسفو » . [4]

---

1) في الأصل : ملك ، ولعل الصواب ما أثبتنا ؛ ونحتمل أن تكون أيضا : ما أو مما .

2) لم نهتد لشخصية القاضي علي بن أبي الحسن الجذامي هذا ، وقد أشار ليفي بروفنسال في تعليقه على هذا النص إلى شخص كان يسمى علي بن أحمد بن محمد الجذامي ، عاش في سبتة ، وتوفي سنة 532 هـ . (ترجم له ابن الأبار في المعجم ، رقم 260 ؛ وابن الزبير في صلة الصلة ، ترجمة ، رقم 175) . (انظر Mélanges p. 170 n. 1) ونضيف إلى ذلك أن هذا القاضي ينبغي أن يكون من أسرة بني الحسن المشهورة التي تولى كثير من أفرادها القضاء في رية (مالقة) بالأندلس والتي ينتسب إليها القاضي ابن الحسن النباهي الجذامي صاحب كتاب « المرقبة العليا ، فيمن يستحق القضاء والفتيا » ، ونحن نعرف من هذه الأسرة ممن يحتمل أن تكون الإشارة إليه في هذا النص لولا اختلاف الاسم القاضي أبا عبد الله محمد بن الحسن الجذامي المالقي الذي ولي قضاء غرناطة سنة 515 ، وتوفي سنة 519 (كتاب المرقبة العليا المذكور ط. ليفي بروفنسال ص 100 106) . وربما كان أيضا أبا علي الحسن بن ابراهيم بن محمد الجذامي المالقي الذي ترجم له ابن الأبار وقال إنه رحل حاجا ، فأخذ عنه بالإسكندرية سنة 515 ، ولم يحدد ابن الأبار تاريخ وفاته (انظر معجم أصحاب أبي علي الصدفي رقم 61) . وربما يكون أبو علي الحسن هذا قد التقى بابن تومرت في أثناء رحلته إلى المشرق .

وربما كان المقصود هو أبا الحسن علي بن محمد الجذامي البرجي نسبه إلى برجة (من عمل المرية) ، وكان مشاوراً في الأحكام ، سمع من أبي علي الصدفي ، وتوفي سنة 509 ؛ وقد ذكر له ابن الأبار موقفا صلبا ضد إحراق كتب الغزالي إذ أفتى بتأديب محرقها وتضمينه قيمتها مما أغضب عليه قاضي قرطبة ابن حمدين ، وربما رجح هذا كون أبي علي المذكور هو الذي كتب إليه ابن تومرت الصك المشار إليه هنا ، إذ أن موقفه هذا ضد السلطات المرابطية قد يكون مما قرب بينه وبين ابن تومرت المهدي (انظر ترجمته في معجم أصحاب أبي علي الصدفي ، رقم 253 ؛ وابن الزبير : صلة الصلة ، رقم 153) . على أنه يعترض هذا الفرض أن الصك الذي كتب به ابن تومرت كان مؤرخا في سنة 511 ، بينما توفي علي بن محمد الجذامي المذكور في سنة 509 على ما يقول ابن الأبار أو في حدود سنة 510 على ما ذكر ابن الزبير .

3) في الأصل : إحدى .

4) أشار إلى ذلك أيضا ابن خلدون (العبر 226/6) ، ولو أن هذا اللفظ ورد لديه « أسافو » ، وانظر مادة « محمد بن تومرت » التي كتبها رينيه باسيه في دائرة المعارف الإسلامية 451/2 453)

ومعنى « أسفو » بالبربرية « الضياء » لملازمته إيقاد القنديل في المسجد للقراءة والصلاة .

وأمه رضي الله تعالى عنه :

من بني يوسف من مسكالة من آهل السوس ، من موضع أصروان يسمج ؛ وبنو يوسف هم أخوال الإمام المهدي – رضي الله تعالى عنه – ، وكانت أمه – رضي الله تعالى عنه – قد أعنست . فلما خطبها أبوه وكان فقيرا * رغبوا في [14 ب]
مصاهرته ، فلما ولد الإمام المهدي – رضي الله تعالى عنه – اجتمع عنه أبيه وأمه هدايا كثيرة ، فكان ذلك سببا لغنى [1] والد الإمام المهدي – رضي الله تعالى عنه .

ومولده رضي الله تعالى عنه :

بموضع يسمى نومكران ، وهو موضع لا ماء فيه ، وإنما يشرب أهله ماء المطر ، وهنالك داره .

وصفته [2] – رضي الله تعالى [عنه] :

ربعة ، مفلج الثنايا ، قليل اللحية ، فى خنصر إحدى يديه شبه الخاتم من اللحم ، حصور لا يأتى النساء .

وأخلاقه – رضي الله تعالى عنه :

كان شجاعا ، [3] كريما ، مصمما على الحق ، لا يأخذه فى الله لومة لائم ، عالما متمليا من علوم الحديث والأصولين : أصول الفقه وأصول الدين ؛ وكان فى صغره ملازما للمسجد ودرس لوحه ؛ ليست له صبوة ولا شهوة ؛ وكان – رضي الله تعالى عنه – ينهي عن التقليد وقراءة [4] كتب الرأى * مجتهداً متبحراً [15 أ]
مصيباً فى كل الأمور . رضي الله تعالى عنه .

---

1) في الأصل : العناء .
2) في صفة المهدي انظر كذلك ما جاء في روض القرطاس لابن أبي زرع ص 181 .
3) في الأصل : سجاعا .
4) في الأصل : وقرات .

عصمته رضي الله تعالى عنه :

وهذه الصفة كرامة من كراماته رضي الله تعالى عنه خصه الله تعالى بها ، وبنقل آحاد أشخاصها تتحقق جملتها .

فمن عصمته رضي الله تعالى عنه : عصمته من أهل الإسكندرية ، فإنه رأى بها مناكر فغيرها ، وأغلظ في أمرها ، فقامت عليه العامة والغوغاء ، فصاروا يقطعون به في طريقه إلى مجلس الطرطوشي [1] -- رحمه الله تعالى ولم ينله من رأسهم على غربته وشحط داره - أكثر من هذا ؛ فلما فقده الطرطوشي بحث عنه حتى أعلم بمكانه ، فقصد إليه وهو في مسجد الأخضر [2] على ساحل البحر ، فترامى عليه ، وصافحه ، وسأله عن سبب غيبته عن مجلسه ، فعرفه بشأن أولئك الغوغاء ، [3] وأنه يريد الإياب إلى المغرب ، فودعه رضي الله تعالى عنه — وانصرف .

---

1) هو أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المعروف بابن أبي رندقة ، ولد في طرطوشة Tortosa سنة 451 ، ودرس في بلده وفي سرقسطة . إذ كان تلميذاً للفقيه المعروف أبي الوليد الباجي ، وكانت له رحلة إلى المشرق في سنة 476 حج فيها ودرس في بغداد والبصرة ودمشق وبيت المقدس والقاهرة ، واستقر أخيراً في الإسكندرية ، وهو صاحب كتاب « سراج الملوك » الذي انتهى منه في سنة 516 وأهداه إلى الوزير المصري المأمون البطائحي . وكانت وفاته في سنة 520 (انظر في ترجمته المادة التي كتبها عنه الأستاذ محمد بن أبي شنب في دائرة المعارف الإسلامية 378/2) والمراجع المذكوره . والمادة التي صدر بها ألاركون Maximiliano Alarcon الترجمة الإسبانية التي اضطلع بها لكتاب « سراج الملوك » تحت عنوان Lámpara de los Principes ، وقد نشرت هذه الترجمة في مدريد سنة 1930 .

2) كذا في الأصل ، وقد أشار ليفي بروفنسال عند تعليقه على هذا النص Mélanges, p. 372,n. 3) إلى أنها قد تكون تحريفا للفظ « الخضر » إذ أن من مساجد الإسكندرية المعروفة مسجداً ينسب للخضر عليه السلام (انظر مادة الإسكندرية التي كتبها روفن جيست Rhuvon Guest في دائرة المعارف الإسلامية 571/2) ، وهناك باب من أبواب الأسوار القديمة في مدينة الإسكندرية مازال معروفا باسم « الباب الأخضر » ، وربما كان المسجد الذي يشير إليه ابن القطان في هذا النص موجودا على مقربة من ذلك الباب .

3) في الأصل : الغرفاء ، وقد قرأها ليفي بروفنسال : العرفاء ، ونظن أن الصواب ما أثبتنا .

[10 ب] ومن عصمه رضي الله تعالى عنه – منع أهل « المركب من تغريقه ، وقد هموا بذلك ، وما أظهره الله تعالى في ذلك من العبر ، وذلك أنه – رضي الله تعالى عنه – ركب البحر في سفينة من الإسكندرية يريد بلاد المغرب ، فرأى في المركب خمرا ، فأراقه ، فصاح عليه صاحب الخمر وسبه ووضع يده فيه ، فاجتمع أهل المركب إليه ورغبوه حتى سكت ؛ ثم حضر وقت الصلاة ، فأمرهم بالصلاة ، فلم يلتفتوه ، فشدد عليهم ، فغضبوا وهموا بإلقائه من المركب ، فهال عليهم البحر ، وكادوا يغرقون ، فقام إليهم رجل حاج فقال لهم : تداركوا أنفسكم بإرضاء هذا الرجل لعل الله تعالى يفرج عنكم ! فأقبلوا نحوه متضرعين راغبين ، فقال لهم – رضي الله تعالى عنه – صلوا ، فتوضأوا وصلوا ، فكشف الله تعالى ما بهم ، وجرت السفينة بريح طيبة ؛ فصاروا يطلبون منه الدعاء كل يوم [1] .

ومن عصمه – رضي الله تعالى عنه – منع علي بن يحيى بن تميم [2] منه ، وهو
[10 أ] صاحب « المهدية ، ونجاته – رضى الله تعالى عنه – من شره ، وذلك أنه لما احتل بالمهدية – رضي الله تعالى عنه – رأى بها سوقا تباع فيه الخمر ، فكسر دنانها وأراقها ، وغير المنكر . فغيظ بذلك واليها على المذكور . وهم به ، ثم رأى

---

1) وردت هذه القصة مع بعض الاختلاف في تفاصيلها لدى ابن خلكان : الوفيات 46/5 ، وابن الأثير : الكامل 294/8 ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 246 .

2) ذكر ابن خلكان أن محمد بن تومرت انتهى إلى المهدية بعد سفره من مصر في عهد يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي (الوفيات 47/5) ، وقد جعل ذلك في سنة 505 ، وكان قد ذكر في ترجمة تميم بن المعز أبي يحيى هذا أن ابن تومرت قد اجتاز بالمهدية في عهده بعد عودته من المشرق (الوفيات 305/1) ، وذلك نقلا عن كتاب « أخبار القيروان » لعبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز ، وقد نبه ابن خلكان على ما في ذلك من تناقض واضطراب ، أما ابن الأثير فإنه يتفق مع ابن خلكان في الرأي الأول ، وهو أن ابن تومرت دخل المهدية في سنة 505 في أيام يحيى بن تميم (الكامل 294/8) وذلك خطأ ، إذ أن دخول ابن تومرت المهدية لم يحدث إلا في سنة 511 في عهد علي بن يحيى بن تميم الذي حكم إفريقية ما بين سنتي 509 و 515 .

أن يوجه إليه المازري [1] الفقيه : فتوجه إليه وعاتبه ، [2] ورفق به وقال له : أخاف عليك عاديته وعادية جنده ! فخرج إلى المنستير .

ومن عصمه – رضي الله تعالى عنه – منع العزيز بن منصور بن الناصر بن علاء الناس بن حماد [3] منه . وقد غاظه [4] وأغضبه ، وسلامته – رضي الله تعالى عنه – من غدْوِه ، وهو ملك بجاية ، وذلك أنه – رضي الله عنه – لما دخل بجاية لقى به الصبيان فى زي النساء بالضفائر والأخراس [5] والزينة وشواشي [6] الخز ، وألفى [7] الأرذال قد فتنوا بذلك وانهمكوا . فغير المنكر جِدّه ، وأزال ذلك الزي مستطاعه .

ثم حضر عيداً ، فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزيين المتكحلين ما لا يحل ، فزجرهم وغير ذلك عليهم فوقعت لأجل ذلك نفرة ، استطال فيها الشر ، وسلب النساء حليها ، وقام الهرج ، فسأل العزيز عن سبب ذلك ، فعرف بأنه لا سبب له إلا الفقيه السوسي ، وكذلك كان – رضي الله تعالى عنه – يعرف بالمشرق ، ووجد المشنعون سبيلا إلى القول فيه ، فقالوا وأوغروا [8] عليه قلب العزيز ، فأمر بجمع الطلبة لمناظرته فى جرأته على الملوك .

---

1) هو الفقيه المالكي أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري الصقلي المتوفى سنة 536 (انظر فى ترجمته كتاب الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا : الإمام المازري – من منشورات ، لجنة البعث الثقافي – ط . تونس 1955) . هذا وقد ذكر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب فى كتابه (ص 52) أن محمد بن تومرت المهدي تلمذ على الإمام المازري .

2) في الأصل : وعاديت ، ونظنها تحريفاً لما أثبتنا .

3) العزيز بن المنصور بن الناصر بن علاء الناس (علناس) الحمادي أمير المغرب الأوسط (بجاية وبونة والجزائر وقسنطينة) ، وُلي الحكم سنة 498 هـ . (1105 م .) حتى وفاته في سنة 515 (1121 م) . انظر مادة « بني حماد » في دائرة المعارف الإسلامية بقلم الأستاذ ج . إيفير (268/2) .

4) فى الأصل : غاضه .

5) أي الاسورة .

6) جمع شاشية ، وهي غطاء للرأس (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 802/1) .

7) في الأصل : وألقى .

8) في الأصل : وغروا .

فاجتمعوا فى دار أحدهم ، واحتفلوا [1] فى إعداد المطاعم والمشارب ، ووجهوا عن الإمام رضى الله تعالى عنه – إلى المسجد الذي كان يحل فيه ، فامتنع من الوصول إليهم . فوجهوا إليه الكاتب عمر بن فلفول ، [2] فلاصقه وأقسم عليه ورغبه وتضرع إليه حتى أسعفه ، فوصل إليهم ، فناظروه وساءلوه ، فأجابهم ما أسكتهم ، ثم سألهم فما أحاروا جوابا . ولاطفه ابن فلفول عند ذلك يراوده على ترك ما هو بسبيله من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ....

[11 أ] .... * بها إلى الباطل ، وطاعة أهل التجسيم بالفساد ، والانحياز إلى جنبتهم ، لينالوا بذلك غرضهم . ويصلوا إلى بغيتهم ، وقالوا لهم : طاعتهم والانقياد لهم واجب عليكم مع علمهم بعتاة الظلمة وخروجهم عن السبيل ، وقالوا لهم : تجب عليكم مع علمهم – السمع والطاعة فى كل ما أمروكم به ، مع علمهم أنهم لا يأمرون إلا بالباطل والفساد والضلال وهلاك الحرث والنسل ، وقالوا لهم : تلزمكم طاعتهم في ذلك كله اتباعاً لأهواء الكفرة وافتراء على الله ، وبغضوا إليهم أهل التوحيد ، وحذروهم من الرجوع وسلوك سبيلهم ، وحاولوا تبديل الكلام وتحريف القول بالزور والبهتان ، وتقولوا علينا بما لم نقل تهجينا وتبغيضا للحق عند العوام حتى لا يصغوا إليه ولا يقبلوه ، وعدوا لهم جملا من الأبواب ، ونسبوا ذلك كله إليه ؛ وأنهم أحدثوا من المناكر والمغارم ، وتقلبهم في السحت والحرام ، يأكلون منه ويشربون ، ويغدون ويروحون .

وقال كعب بن عجرة [3] : ما من لحم نبت من سحت إلا كانت النار

---

1) في الأصل : واختلفوا .

2) في الأصل : فنبول ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وسترد بعد ذلك بقليل كما ذكرنا .

3) كعب بن عجرة صحابي روى له عن رسول الله (صلعم) سبعة وأربعون حديثا ، وروى عنه عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس و جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وآخرون ، سكن الكوفة وتوفى بالمدينة سنة 51 أو 52 أو 53 هـ . (انظر ترجمته لدى النووي : تهذيب الأسماء واللغات ط . القاهرة ق 1 - 68/2) . هذا وقد ورد هذا النص وما يليه في كتاب « أعز ما يطلب » لمحمد بن تومرت المهدي باختلاف قليل (انظر ص 261 وما يليها) .

أولئك منهم وقال : قال رسول الله ﷺ : أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي ، فمن غشي (1) أبوابهم وصدقهم على كذبهم وأعانهم على [17 أ] ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يردُ الحوض عليّ (2) .

ونص قول رسول الله ﷺ وملائكته الكرام عليه وسلم (3) : وددت أني قد رأينا إخواننا ! قالوا : يا رسول الله ، ألسنا بإخوانك ؟ قال : بل أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فُرُطهم على الحوض .

قال :

ففيه تنبيه على طائفة الحق الذين صبروا على دينهم بعده ، وتمسكوا بسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام ؛ وفيه تنبيه على طوائف أهل الباطل الذين تركوا دينهم بعده وارتدوا وبدلوا وغيروا وجسموا وعاندوا الحق .

قال عليه الصلاة والسلام : فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم ! ألا هلم ! فيقال : إنهم قد بدلوا وغيروا بعدك ، فأقول : فسحقاً ! فسحقاً ! فسحقاً !

وحذر رضي الله عنه من الملبسين الذين يتوسلون بفتياهم إلى باطلهم وأهوائهم ، ونص قول رسول الله ﷺ وملائكته الكرام عليه وسلم أن : لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم لقبض العلماء . حتى إذا لم

---

1) في الأصل : وغشا .

2) جاء هذا الحديث مع خلاف يسير في بعض ألفاظه في صحيح البخاري (ط . القاهرة سنة 1312 هـ) 46/9 ؛ كما أثبته أيضا السيوطي في كتاب الجامع الصغير (انظر فيض القدير للمناوي 361/6) ؛ وراجع « أعز ما يطلب » لابن تومرت ص 261 - 262 ، وقوله (ص) « وأنا فرطهم على الحوض » أي سابقهم إليه .

3) جاء هذا الحديث وبقيته الواردة بعد في سنن النسائي (بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي ط . القاهرة سنة 1930) 160/7 - 161 ؛ وانظر « أعز ما يطلب » ص 261 .

| ١٨ أ | يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا .[1]
وهو في الصحيحين ، وهو مشاهد في الوجود محسوس .

وحذر من أعوانهم الذين رجعوا إليهم وباعوا دينهم بِعَرَضٍ من الدنيا ، يصبح أحدهم مؤمنا ويمسى كافراً ، يبيع أحدهم دينه بدنيا غيره ، ونص قول رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض[2] من الدنيا[3] .

قال :

وفتنة الدين أكبر ، إذ لا فتنة أعظم من الارتداد والتبديل والتغيير .

وحذر من أعوانهم عبيد الدينار والدرهم والخميصة[4] الذين كانوا تحتهم في الذل والهوان ، تركوا دينهم وخسروا آخرتهم ، ابتغاء مرضاتهم خوفا على دنياهم ، ورضاهم ممتنع لا يدرك ، ودنياهم فانية لا تبقى ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ملعونين على لسان رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم :

---

1) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم (ط . القاهرة سنة 1333 هـ .) 60/8 ؛ وراجع « أعز ما يطلب » ص 261 .

2) في الأصل : بغرض .

3) ورد هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل ، ومسند الترمذي وصحيح مسلم (انظر عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير 193/3) .

4) الخميصة الكساء الأسود المعلم ، وهو يشير هنا إلى الحديث النبوي الشريف « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة : إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض » ، إشارة إلى فتنة المال . (انظر صحيح البخاري 92/9 وسنن المصطفى لابن ماجة القزويني 534/2 ؛ وقد ورد هذا الحديث أيضا في ملف « بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين وعلاماتهم » من كتاب « أعز ما يطلب » لابن تومرت ص 263) .

ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ... الحديث ، وفيه : ... رجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها وفى ، وإن لم يعطه منها لم يف [1] .

قال :

فإذا بهم يميلون مع الدنيا حيث مالت ، لا عهد لهم ولا ميثاق ، ولا لمن « [18 ب] وافى مرادهم ، هذه حالهم المشاهدة منهم .

قال :

وقد أمر رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بمخالفة أهل الباطل في رأيهم وأفعالهم . وقال : خالفوا اليهود وخالفوا المشركين [2] .

قال :

وكذلك المجسمين ، هم يشبهون النساء في تغطية الوجوه والتلثم [3] والتنقب ، [4] ويتشبه نساؤهم بالرجال في الكشف عن الوجوه بلا تلثم ولا تنقب ، [5] وقد لعن رسول الله ﷺ [6] المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ، فقد شملتهم اللعنة جميعا ، ومن كَثَّر سواد قوم فهو منهم .

---

1) جاء هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل ، وتمامه : « ... رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر ، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا ، فصدقه ، وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماما ... الخ (انظر فيض القدير للمناوي 330/3 - 331) .

2) الحديث : « خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم » وقد أورده أبو داود والحاكم والبيهقي ، وزاد ابن حبان في روايته « ... والنصارى » (انظر فيض القدير 431/3) .

3) في الأصل : والتلثيم .

4) في الأصل : والسقب .

5) في الأصل : نتف .

6) يشير إلى الحديث النبوي الشريف « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » وقد أورد هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل في مسنده (انظر فيض القدير 271/5) ؛ وهناك أحاديث أخرى في نفس المعنى منها حديث « لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء » أورده البخاري في كتاب « الأدب المفرد » والترمذي (انظر فيض القدير 271/5) .

وقال الله تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار [1] ... ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله [2] ﴾ .. ، الآية ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة [3] ﴾ .. الآية ، وقال سبحانه : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ ، [4] وقال سبحانه : ﴿ ومن يتولوهم فأولئك هم الظالمون ﴾ . [5] وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « الحب والبغض في الله من علامات اليقين » [6] .

[10 أ] وطاعتهم حرام لأنهم كفار ومنافقون ومتبعو الهوى ومعتدون ومفسدون وجاهلون . قال الله تعالي في تحريم طاعة الكافرين : ﴿ يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ . [7] وقال سبحانه في تحريم طاعة المنافقين : ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ . [8] وقال في تحريم طاعة من اتبع الهوى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه [9] وكان أمره فرطا ﴾ . [10] وقال سبحانه في تحريم طاعة المعتدين : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ﴾ [11] ... الآية . وقال سبحانه

– وكذلك حديث « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل » ، أورده الحاكم النيسابوري في « المستدرك » (فيض القدير 269/5) .

1) سورة هود ، آية رقم 113 .
2) سورة المجادلة : آية رقم 22 .
3) سورة الممتحنة ، آية رقم 1 .
4) سورة المائدة : آية رقم 51 .
5) سورة الممتحنة ، آية رقم 9 .
6) جاء في صحيح البخاري (11/1) : والحب في الله والبغض في الله من الإيمان .
7) سورة آل عمران ، آية رقم 149 .
8) سورة الأحزاب ، آية رقم 1 ، وآية رقم 48 .
9) في الأصل : هوبه .
10) سورة الكهف ، آية رقم 28 .
11) سورة القلم ، آيات 10 - 13 .

في **تحريم طاعة** المفسدين : ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ .[1] وقال عز وجل في تحريم طاعة الجاهلين : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ﴾ .[2] وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته المقربون الكرام عليه وسلم : « على المرء السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .[3]

واستدل على وجوب قتالهم بقول الله عز وجل : ﴿ يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة ﴾[4] ... الآية ، وبقول رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : على المرء السمع والطاعة ، أمرت
| 19 ر أن أقاتل الناس حتى يقولوا « لا إله إلا الله » فمن قالها فقد « عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه . وحسابه على الله » ؛ فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق .[5]

---

1) سورة الشعراء ، آية رقم 151 - 152 .

2) سورة الجاثية ، آية 18 - 19 .

3) ورد هذا الحديث مع بعض الاختلاف في ألفاظه في سنن المصطفى لابن ماجة القزويني (ط . القاهرة سنة 1349 هـ .) 202/2 ؛ وفي صحيح البخاري 49/4 - 50 ؛ وفي سنن النسائي 160/7 ؛ وفي سنن أبي داود (ط . القاهرة سنة 1348 هـ .) 409/1 .

4) سورة التوبة ، آيه رقم 123 .

5) ورد هذا الحديث وما تلاه من كلام أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في صحيح البخاري 14/1 ، وكذلك في 105/2 ؛ وفي سنن النسائي 14/5 - 15 ؛ وفي سنن ابن ماجة 457/2 ، وفي سنن أبي داود 411/1 .

قال الإمام رضي الله تعالى عنه :

فكل من منع فريضة من فرائض الله عز وجل فحق على المسلمين جهاده [1] حتى يأخذوها منه ، فكيف من منع الإيمان والدين والسنة ؟ !

وقال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وتلا قول الله عز وجل : ﴿ ولولا دفع [2] الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ﴾ [3] ... الآية .

فكل هذه مما جاء به الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه مما يشهد بصدق ما أتى به وسعة علمه وعصمته ، * فكل هذه العلامات التي ناطها بالقوم الذين تولى تغيير ما أتوا به دالة على أشراط الساعة وأنه – رضي الله تعالى عنه – هو الإمام المهدي المنتظر الموعود – رضى الله عنه – ، وهذا أمر قد وضح بيانه ، وصح برهانه ، وسطع ضياؤه ، وارتفع سناؤه ، فسيان الإسهاب [4] في ذلك والاختصار ، والإطناب والاقتصار . [111 أ]

ومما رأينا كتبه في هذا المعنى لحسن مساقه ، وعجيب اتساقه :

---

1) في الأصل : جهادهم .
2) في الأصل : دفاع .
3) سورة الحج ، آية رقم 40 .
4) في الأصل : الانتهاب .

رسالة خاطب بها أبو عبد الرحمن بن طاهر [1]
حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الأول الإمام
أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن بن علي
رضي الله تعالى عنه

يثبت فيها أمر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بالدليل والبرهان على طريق المنازعة بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء عقلا ونقلا

وهي هذه بنصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله .

---

1) نظن أن المعني هنا هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر المرسي ، وهو من أسرة بني طاهر المشهورة التي تداولت رياسة مدينة مرسية Murcia وكورتها فترة طويلة ، وجده وسميه أبو عبد الرحمن بن طاهر هو الذي تغلب على مرسية أيام ملوك الطوائف حتى أخرجه منها واعتقله أبو بكر بن عمار وزير المعتمد بن عباد ، وتوفي أخيراً في بلنسية سنة 507 (راجع عن ابن طاهر هذا ابن بسام : الذخيرة — القسم الثالث ص 24 - 40 ؛ ابن عبد الملك : الذيل والتكملة 590/5 ، ترجمته 1165 ب ؛ ابن خاقان : قلائد العقيان ص 56 - 70 ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 160 ، 201 - 203 ؛ ابن سعيد : المغرب 247/2 ؛ وانظر الفصل الذي اختصه به وبيته المستشرق الأستاذ جاسبار رميرو في كتابه « مرسية الإسلامية » ص 105 - 116 ,Gaspar Remiro : Historia de Murcia Musulmana, Zaragoza, 1905) . أما المقصود في هذا النص فقد ترجم له ابن الأبار (التكملة رقم 774 ص 238) وقال إنه نفقه ورحل إلى قرطبة وسمع من شيوخها ، أجاز له ابن العربي وغيره ، وكان يذهب في جميع ما يحمله إلى الدراية ، ثم طالع العلوم القديمة فبرز فيها وصار من أئمتها ، وتولى رياسة بلده مرسية بعد انقراض دولة المرابطين ، وكانت وفاته بمراكش سنة 574 . ولعل ابن الأبار يشير إلى كتابته الرسالة الواردة هنا إذ يقول في ترجمته المشار إليها « وتلون للناس رغبة في السلامة » ، فهو يعني - على ما نرجح - تزلفه إلى الموحدين بكتابة مثل ذلك ، ولعله من أجل هذه الرسالة كافأه عبد المؤمن بن علي بتوليته على بلده مرسية كما ذكر ابن الأبار . وهناك ترجمة أخرى لابن طاهر في « الحلة السيراء » لابن الأبار أيضا (227/2 - 235) ، كما ترجم له أيضا ابن عبد الملك المراكشي في « الذيل والتكملة » ، المجلد السادس رقم 896 ص 338 - 339 ، فقال إنه طالع العلوم القديمة فبرز فيها وإنه « خاطب عبد المؤمن بمقالة علمية يقرر فيها صحة أمر المهدي القائم بأمر الله وبعث بها إليه ، ثم وفد بها عليه » ، وليس هناك شك في أن ابن عبد الملك إنما يعني « بالمقالة العلمية » المذكورة هذه الرسالة .

أقول - بعد حمد الله تعالى والصلاة على محمد المجتبى وعلى عترته [1] أهل الفضل والنهى - .

[٢٠ ب] بينما كنت متحير « النفس ، نازع الأنس ، لكوني مقيما في مدن جاهلية ، وسير فاسدة خسية ، وفتن مدلهمة ، وأمور على الجملة مخيفة مهمة ، إذ كان كل ذى فتنة منهم يدعو إلى الشرور المحظورة ، ويضطرنا إلى أن ندخل معه في الأمور المحذورة ، متشوقا إلى مدينة فاضلة ، وإمرة عادلة ، وسيرة شرعية كاملة ، تجب الهجرة إليها عقلا وشرعا ، من جهة أنها حق طبعا ، غريبا في هذه الدنيا ، ردئ العيش خير لي أن أموت من أن نحيا - إذ وافاني بعض الإخوان معلما أنه من المهاجرين إلى حضرة إمام الموحدين المسمى حقيقة بأمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي رضي الله تعالى عنه ، فتنسمت ريح الحياة اللذيذة الشرعية ، واستشعرت الإزاحة عن هذه المدن الضالة الجاهلية ، وقلت : عسى أن الحياة الآن هي الخير ، لنزداد من فعل ما نسعد به ، إذ قد ارتفع العائق والضير !

ثم إنه نازعتني نفسي النزوعية ، وقالت لي :

- أنى لك بحقيقة هذه الأريحية ؟!

وردت عليها النفس المطمئنة الفكرية :

[٢١ أ] وهذه النفس النزوعية هي التي عناها القائل » بقوله :

أقول لنفسي حين فاجأها الردي ... ولاذت [2] فراراً من يسار إلى يُمْنَى
قرى تحملي بعض الذي تكرهينه ... فقد طالما اعتدت الفرار إلى الأهنى

والنفس اللائذة هي النزوعية ، والقائلة للنزوعية : « قرى تحملي ... » هي المسماة عند نحويي العرب ضمير المتكلم ، وهي النفس النطقية الفكرية ، وهذا بعينه عنى القائل بقوله :

قالت لِيَ النفس إني في أذى وقذى ... فقلت : صبراً وإجمالا كذا يجب

---

1) في الأصل : عارته .

2) في الأصل : ولانت .

وهذه النفس النطقية هي النفس المطمئنة التي قال الله تعالى فيها : ﴿ يأيتها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ (1)

والنفس النزوعية هي التي قال الله تعالى فيها : ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ (2) وهي التي تضاد كثيراً النفس المطمئنة ، وذلك أنه إذا حكمت النفس المطمئنة أن الإمام المهدي أبا عبد الله محمد بن عبد الله الفاطمي – رضي الله تعالى عنه مهدي على الحقيقة ، وملك على الإطلاق ، وإمام أول ، وأنه الذي بشر به جده محمد صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، فكان ينتظر ويؤمل – قالت الأمارة بالسوء :

– وكيف ذلك ؟

قالت المطمئنة :

– ألم تكن مدن الملثمين مدنا ضالة فاسقة خبيثة ، « نذلة في الغاية ، | 21 |
تغلُّبيّة حسبما تقدم وبين في « رسالة الإمامة » ؟ وكان كل إنسان يظن لضعف يقينه أن خلعهم من المحال ، وأنه لا يستطاع عليه على حال ؟ وإنهم سرحوا الناس وأنفسهم إلى الأفعال البهيمية ، وأزاحوهم وأزاحوا أنفسهم عن الأفعال الجميلة الشرعية ، وجعلوا الناس شبه الآلات ليستبدوهم (3) بالأموال والكرامات ، وبالجملة بجميع اللذات ؟ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، « ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا » ؛ (4) وإن المهدي أبا عبد الله محمد بن عبد الله – رضي الله تعالى عنه قام لإطفاء هذه النار مستعدا ، إذ لم يجد عن ذلك في الشريعة بدا ، فبادر رضي الله تعالى عنه – لها مشمراً مجداً ، وذكّرنا الأوضاع النبوية ، ونبه على الطرق الشرعية ، وحض على المسالك الأخروية ، وخسس تلك السير الجاهلية ، والسياسات الفاسقة

---

1) سورة الفجر ، آيات رقم 27 - 30 .

2) سورة يوسف ، آية رقم 53 .

3) كذا ، وهي تحتمل وجها من التأويل ، يعني يستبدوا بهم ، وقد تكون تحريفا للفظ « يستعبدوهم » .

4) سورة الكهف ، آية رقم 17 .

الدنياوية ، فأعانته الحكمة الإلهية ، [1] وأتى في ذلك بالعجب العجيب ، والأمر الغريب ، والله عز وجل يؤيده وينصره ، ويصرف إليه نفوس أهل التوحيد ويظفره ، حتى أعلى به كلمة أهل التوحيد ، وجعله رحمة لقوم مؤمنين ، وأتاح له من الظهور ، والسنا المشهور ، ما ملأ الأقطار البسيطة واستوفاها ، وأوفى « [٢٢ أ] بالأمنية على منتهاها ، والأمر حتى الآن ينساق ويتصل ، ويطرد ولا ينفصل ، وكل ما جاء به هو الذي ندب إليه جده صلى الله تعالى عليه وملائكته الكرام وسلم . أيها الناس ، فليس هذا قد جاء بهدى ؟ فهو مهدى حقيقة ضرورة .

فقالت الأمارة :

– بلى ، سلمت ، وألقيت بيدي إليك في البيان واستسلمت ، [2] فكيف هو إمام أول ، وملك على الإطلاق ؟

قالت المطمئنة :

– أليس القول قد تواتر عندنا أنه آثرْ ما ينبغي أن يؤثر ، واجتنبْ ما ينبغي أن يجتنب ؟ وهل تحصل هذه الخصال لإنسان حتى يعرف الفضائل التي هي فضائل بالحقيقة حق معرفتها ، ويعود نفسه أفعالها حتى تصير له هيئة وملكة ، ويعرف الفضائل ثلاثة حسبما قد تبين في كتابنا في « الفضيلة والرذيلة » ؟ وهل تصح المعرفة بهذه على وجهها إلا لمن عرف مراتب الموجودات ، وله قدرة على إنزال كل شيء منها منزله وتوفيته حقه ، حقه الذي هو قسطه ورتبته [3] من مراتب الموجودات ؟ وهل يمكن ذلك حتى يعلم السعادة القصوى بالحقيقة ما هي ، ويحصل أفعالها كلها لتحصل له السعادة ، وتدبيره الناس تدبيراً يحصل لهم به السعادة ؟

وإذا نحن تأملنا أفعال المهدي رضي الله تعالى عنه في خاصة نفسه المتواترة عندنا وجدناها فضائل بالذات خافية ، وإذا تأملنا تدبيره للناس وجدناه كله

---

1) في الأصل : إلاهية .

2) في الأصل : واستلمت .

3) قد تكون أيضا : ومرتبته .

ينحو نحو السعادة الحقيقية ، فهو عارف ضرورة بالمهنة الملكية ، وبالفضائل « العملية ، وإذا تأملنا تواليفه في العلوم وأغراضه وإغماضه كما حكى لنا عنه أنه ذكر له أمر الرجل المعروف بالغزالي كان ، فقال : « ذلك الرجل قرع الباب ولم يفتح له ! » ، أو « ولم يؤذن له » أو « ولم يلج » ، حسبما قال باختلاف الروايات عنه — وماشاكل هذه الأغراض السنية الرفيعة التي لا تصدر إلا عمن استولى على المعارف النصرية ، [1] وتواليفه تشهد لنا بحقيقة هذه القضية ، فإذا هو عارف بالفضائل الفكرية ، والفضائل الخلقية ، وهذا هو الإمام الأول الذي يستحق أن يكون ملك المعمورة الكونية ، وارتفعت درجته عن أن يكون خادماً لشيء من الأجزاء المدنية ، بل مدبراً للكل ، حتى تحصل للناس السعادة الحقيقية . ذلك هو الفوز العظيم !

وهذا هو الإمام الأول على الإطلاق ، أي يستحق أن يكون ملك الناس أجمع بالواجب والاستدلال ، [2] إذ عنده صناعة الملك ، وتدبير المدن قولا وفعلا ، لا يفوته شيء من ذلك أصلا ، اتفق أن أطاعه ناس أم لا ، وهو في ذلك كالطبيب العارف بصناعة الطب ، فهو طبيب في الحقيقة وإن لم يستفته ناس » ولا عالج مريضا ، هذا هو الحق في نفسه .

ولما رأى أقوام ألا [3] يوقعوا اسم الملك على من لم يكن مطاعا في مدينة ، وآخرون يضيفون [4] إلى ذلك القهر والتخويف — قلت إنه ملك على الإطلاق ، أي على كل جهة من الوجوه ، إذ كان رضي الله عنه مطاعا يقهر الظالم ويخوف الفاسق ، ولما كانت هذه اللفظة — أعني « على الإطلاق » — تقع على معنى قولنا « على التحقيق » وتقال على أنحاء شتى منها هذان النحوان : [5] أنه ملك على

---

1) لعلها : النظرية .
2) في الأصل : والاستهلاك ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
3) في الأصل : لا .
4) في الأصل : يصيفون .
5) في الأصل : هذين النحوين .

التحقيق ، وعلى كل جهة أيضا - فإذن قد صدق القول في المهدي إنه - رضي الله تعالى عنه - مهدي على الحقيقة ، وإنه ملك على الإطلاق ، وإمام أول .

قالت الأمارة بالسوء :

- لا جرم ما قضى به الحق تبينت ، فانقدت لذلك وأذعنت ، بيد أنه بقيت واحدة ، فأنى لك بها ؟ وكيف أنقاد لك فيها ؟ وهي قولك : إنه [1] الذي بشر به صاحب الشريعة صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ؟

قالت المطمئنة :

الآن تقهرك الحجج [2] الشرعية ، وتبهرك الأقاويل المقنعة الحقيقية : أليس أيتها الأمارة بالسوء [3] ....

[قالت الأمارة بالسوء] : [4]

- بلى !

قالت المطمئنة :

- ورسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي * يوحى ؟ [5] [١١/١٠٠]

فقالت الأمارة بالسوء :

- بلى !

قالت المطمئنة :

---

1) في الأصل : إن .

2) في الأصل : الحجاج .

3) يظهر أن كلمات سقطت من هذا الموضع على الرغم من أن الناسخ لم يترك في موضعها بياضا .

4) زيادة يقتضيها السياق .

5) إشارة إلى الآيات القرآنية « وما ينطق عن الهوى .. الخ » ، سورة النجم ، آية رقم 3 - 4 .

– فلينظر الآن أوصافه – عليه الصلاة والسلام للمهدي الذي بشر به أنه يكون في آخر الزمان ، فإن صدقت تلك الأوصاف على المهدي أبي عبد الله محمد بن عبد الله رضي الله تعالى عنه لزمك أن تنقادى إلى الحكم بأنه المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم .

فقالت الأمارة بالسوء :

– لا أسلم لك نتيجة هذا القياس ، إذ ليست ضرورية ، ولا أصفق عليها إصفاقا ، وعسى أن تكون تلك الصفات اتفقت فيه اتفاقا ، ثم إن المهدي المبشر به الحامل لتلك الصفات سيأتي في المستقبل ، فأنى لك أن هذا هو المبشر به المنتظر المؤمل ؟

قالت المطمئنة :

– هيهات ! قد تناقضت أيتها الأمارة بالسوء ولم تشعري ، وكفرت من حيث لم تدبري ! وذلك إذ [1] قلت « وعسى أنه اتفق » إن وجدت فيه صفات المهدي ، فليس هو أحق أن تقولي فيه هذا من أن تقوليه في الذي يأتي في المستقبل على ظنك الردى ، وكذلك إلى غير * نهاية ، ولا أمد أقصى [2] ولا غاية ، فإذن قد بشر رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بما لا يعرف أصلا ، فإذا لم يخبر عن معنى مفيد بل قال قولا بشارته باطلة اذ لا يتوصل إلى حقيقتها فادن – فضلا ، [3] – وهو إنما بشر بشيء له عنده معنى – فإذا به ينطق عن الهوى ، وقد سلمت أنه لا ينطق عن الهوى ، ومن قال إنه ينطق عن الهوى فقد كفر قطعا ، عقلا وشرعا ، فإذا بك كما قلت تناقضت من حيث لم تشعري ، وكفرت من حيث لم تدبرى ! وما مثلك عندي إلا مثل يهود الذين قال الله تعالى

---

1) في الأصل : إذا .
2) في الأصل : أقضى .
3) كذا في الأصل : ولم نهتد إلى وجه في تأويلها .

فيهم ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ [1]

وذلك أن يهود كانوا أهل كتاب وعلم ، وكانت الخزرج أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانت يهود معهم في بلادهم ، وكانوا قد غزوهم بها ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث الآن ، قد أظل [2] زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما بعث الله تعالى رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم وعرفوا صفته واسمه وزمانه الذي كانوا يتوكفون عليه [3] عتوا على الله وأنكروا وقالوا : ليس هو هذا ، وإنما يأتي في المستقبل ! — أو كما قالوا فكفروا ، ألا لعنة الله على الكافرين .

وكذلك مثلك « أيتها الأمارة بالسوء مع المهدي رضي الله تعالى عنه . | 24 |
قالت الأمارة بالسوء :

- صدقت ، وبالحق نطقت ، فقد انقدت في ذلك إليك ، والآن بقيت واحدة : عليك أن تذكري لي الصفات التي وصف بها النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم المهدي ، ثم ننظر : هل تصدق على المهدي المذكور ؟ فإن صدقت أقررت بذلك ، وانقادت [4] الأمور لك .

قالت المطمئنة :

— أهلا وسهلا ! لقد قلت فأحسنت قولا .

ذكر الترمذي [5] في كتابه من طرق شتى عن النبي صلى الله تعالى

---

1) سورة البقرة ، آية رقم 89 .

2) في الأصل : أضل .

3) أي يتوقعونه وينتظرونه .

4) في الأصل : وانقدت ، وقد تكون العبارة « وانقدت في كل الأمور لك » .

5) انظر عارضة الأحوذي لأبي بكر ابن العربي الإشبيلي في شرح صحيح الإمام الترمذي (ط . القاهرة سنة 1934) 74/9 .

وملائكته الكرام عليه وسلم أنه قال : لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل [1] من أهل بيتي ، يواطئ اسمه اسمي .

ومن طريق أبي هريرة : [2] لو لم يبق [3] من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي ... وصحح الحديث .

وذكر أبو داود [4] هذا الحديث من طرق كثيرة بزيادات في الحديث ، فمن زياداته : ... لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني – أو من أهل بيتي – يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي . وزاد من طريق أبي بكر : ... يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا ؛ ولم يذكر العرب في الملك .

وذكر أبو داود [5] عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم » [26
أنه قال : المهدي من عترتي [6] من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها .

وخرج أيضا عن علي رضي الله تعالى عنه أنه نظر إلى ابنه الحسن ، فقال رضي الله تعالى عنهما : ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ، يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق ، يملأ الأرض عدلا .

وذكر الترمذي [7] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : خشينا أن يكون بعد نبينا صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، فقال : إن في

---

1) في الأصل : رجلا .

2) انظر هذه الزيادة في عارضة الأحوذي 75/9 .

3) في الأصل : يبقى .

4) انظر سنن أبي داود 207/2 - 209 .

5) نفس المرجع 208/2 .

6) في الأصل : عترتي .

7) عارضة الأحوذي 75/9 .

أمتي المهدي ، يخرج فيعيش خمسا أو سبعا أو تسعا زيْدٌ [1] الشاكّ ، يعني الراوي ، قال : وقلنا : ما ذاك ؟ قال : سنين . قال : فيجيء إليه الرجل ، فيقول : يا مهدي ، أعطني ! قال : فيحثي في ثوبه ما استطاع أن يحمله !

فهذه الصفات وصف بها رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، ومواطأة اسم أبيه ، وأنه منه ومن أهل بيته وعترته ومن ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، وأنه يعيش خمس سنين أو سبعا أو تسعا بعد خروجه ، وأنه يملأ
[29 ب] الأرض قسطا وعدلا ، وأنها كانت قبل خروجه مملوءة ظلما وجورا ، » وأنه يأتي إليه الرجل فيقول : يا مهدي ، أعطني أعطني ! فيحثي في ثوبه ؛ وما قاله علي رضي الله تعالى عنه أنه من صلب الحسن ، يشبه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في الخُلُق لا في الخَلْق ، والأمر محمول على أن ذلك إنما علمه من النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، إذ ليس هذا مما يدرك بفكر ورويه ، [2] إذ هو علم بمُغَيَّب .

فإذا كانت هذه الصفات عينها [3] عندنا ، ونظرنا هل تصدق على المهدي المذكور رضي الله تعالى فوجد القول قد توازن عندنا : أن اسمه محمد ، فقد واطأ اسمه رضي الله تعالى عنه اسم محمد رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم قلنا : هذه واحدة قد صدقت .

---

1) روى الترمذي هذا الحديث عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر عن شعبة عن زيد العمي (بفتح العين وتشديد الميم) عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عنه ﷺ . والمقصود أن الشك في عدد تلك السنين إنما هو من قبل زيد العمي المذكور في السند . وأما زيد هذا فهو زيد بن الحواري البصري قاضي هراة (انظر الخزرجي : خلاصة تذهيب الكمال - ط . القاهرة سنة 1322 هـ - ص 108) .

2) في الأصل : ورزية .

3) في الأصل : عبيده .

ثم وجدنا القول قد توازن عندنا : أن اسم أبيه عبد الله ، فإن اعترض ملحد. فإن التواريخ تشهد بأن عبد الله بن إدريس [بن إدريس] [1] بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم كان أميراً لبلاد السوس [2] الأقصى ، ولاشك أن الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من بحبوحة بيته ، فقد صح أن اسم [3] أبيه عبد الله ، وأن تومرت لقب له ، فثبت أن له رضي الله تعالى عنه جدين : قريباً وبعيداً ، كل واحد منهما عبد الله ، والجد أب لا محالة . ولا منازعة في هذا بين العقلاء ، وقد واطأ [4] اسم أبيه اسم [أبي] [5] النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم . قلنا : وهذه الثانية قد صدقت .

ثم وجدناه من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، فهو من أهل بيته صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ؛ ومن عترته صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، إذ عترته أعم من ولد فاطمة رضي الله تعالى عنها ، إذ قد تقع على ذريته وعشيرته الأدنين ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : نحن عترة رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم التي خرج منها ، وبيضته التي تفقأت عنه ، ولأجل هذا قال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم بأثر قوله عن المهدي رضي الله تعالى عنه إنه من عترته إنه من ولد فاطمة ليرفع الإشكال ، ويزيل الاحتمال ؛ وهو أيضا رضي الله تعالى عنه من النبي صلى الله

---

1) زيادة تقتضيها صحة الاسم ، إذ هو حفيد إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة الذي فر من وقعة فخ قرب مكة سنة 169 ودخل المغرب الأقصى سنة 172 ، فبايعه أهل المغرب الأقصى واستقام له الأمر حتى توفي سنة 177 ، وخلفه ابنه إدريس الذي حكم حتى سنة 213 . أما عبد الله المذكور هنا فإنه من أبناء إدريس ، ولكنه لم يتول الأمارة (انظر السلاوي الاستقصا 171/1 ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 49 ؛ وابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم المغربي ، الدار البيضاء 1964 ، ص 204)

2) في الأصل : السوسي .

3) في الأصل : أحمد ، ولا معنى لها هنا ، ولعلها تحريف عما أثبتنا .

4) في الأصل : وطئ .

5) زيادة يقتضيها السياق .

تعالى عنه وملائكته الكرام عليه وسلم من وجه آخر ، وهو لمهامه بشريعته ودينه وسيرته ، كما تقول « أنا من فلان ، وفلان مني » أي أمرنا واحد وأغراضنا واحدة .
| 20 ب | فإن لفظة « من » [1] مشتركة تقع على هذا النحو * وعلى النحو المتقدم ، وكلا النحوين من صفة المهدي رضي الله تعالى عنه ، إذ قام بشريعته ، وهو من أهل بيته ، قلنا : وهذه الثالثة أيضا قد صدقت .

ثم وجدناه رضي الله تعالى عنه إذ قام بشريعته وهو من أهل بيته قد عاش بعد خروجه تسع سنين على ما تواتر به القول ، وهي أحد ما شك فيه زيد ، فعلمنا أنه الحق ، فهي إذن التي أخبر بها النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، إذ إنما يخبر عن الحق ، فإنه لا ينطق عن الهوى ؛ على أنه قد روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم قال : يكون المهدي في أمتي سبعا إن قصر ، وإلا فثمانيا وإلا فتسعا ؛ [2] فهذا حكم على التسع . قلنا وهذه الرابعة أيضا قد صدقت .

ثم وجدناه أيضا قد ملأ الأرض قسطا وعدلا حسبما تقدم القول فى ذلك ، إذ كل بلد انقاد له فنظمته سياسته ، وحكمته إمارته العادلة ورياسته — أثبت فيه القسط بين الناس والعدل ، وتملك نفوس ساكنيها السكينة والفضل ، والبلاد في
| 22 أ | زمان تنقاد له طوعا وتنساق ، أو تقاد إلى ملكه كرها وتساق * وذاك بَيِّنٌ محسوس لا مدفع فيه ، فإنه إذن قائم بأمره بعد وفاته ، فالحكم فى ذلك حكمه فى حياته ، وهذا بين ، قلنا : وهذه الخامسة قد صدقت .

ووجدنا أيضا الأرض حين أذن الله تعالى له بخروجه قد كانت امتلأت ظلما وجورا ، فقد كان للملثمين وغيرهم من الظلم والجور ما حصل من الشهرة والظهور ، أن كان غير خاف عند الخاصة والجمهور . وهذه السادسة قد صدقت أيضا .

---

1) في الأصل : منى .

2) انظر سنن أبي داود 208/2 ؛ وسنن ابن ماجة 518/2 .

ثم وجدناه أيضا أنه كان يأتيه الرجل فيطلب منه قوته ويناديه : يا مهدي ، أعطني أعطني ! .... الحديث أنه | لا | [1] يأتي إليه رجل واحد مشار إليه حتى تكون الألف واللام للعهد ، إذ لم يتقدم ذكر لرجل ما ولا عرف به صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، فهي إذن للجنس فإذن معنى الحديث أنها سيرته ، فإنه من أتى إلى ذلك فقد أتى إليه حسبما تقدم القول فيه ، فيقول : يا مهدي ، أعطني . وإن لم ينطق بذلك لسانه فهو يقوله بضميره ، والقول في الحقيقة هو في الذهن حسبما تبين في الصناعة التي شأنها أن يتبين فيها . « فحثى في ثوبه ما استطاع ان يحمله » اي ما استطاع ان يحمل مما هو له عدل وقسط ، فهو قد بالغ في إعطائه إذ لم ينقص [2] له من حقه شيئا . وذلك هو الذي يستطيع ثوب المؤمن الموحد أن يحمله ، فإن الزيادة على العدل ظلم لا يستطيع ثوب المؤمن الموحد أن يحمله . وقد يحتمل أن يحمل الحديث على ظاهره . وقد جاء أن [3] المهدي » رضي | 27 ب
الله تعالى عنه قد فعل ذلك إذ أفاء الله تعالى عليه رغائب الأنفال ، وامتلأت أيدي الموحدين من أموال أهل الضلال ، وفعل ذلك جائز للإمام ، وكان رضى الله تعالى عنه أعلم الناس بالحلال والحرام ، والتأويل الأول أحسن [4] قلنا : وهذه السابعة قد صدقت أيضا .

وما قاله علي رضي الله تعالى عنه أنه من صلب الحسن رضي الله تعالى عنه ، يشبه النبي ﷺ في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق ، فهذه الصفات الثلاث صادقة على المهدي رضى الله تعالى عنه ، إذ هو من ولد الحسن رضي الله تعالى عنه حسبما ذاع واشتهر ، واستفاض وظهر .

---

1) زيادة يقتضيها السياق .
2) في الأصل : تنقص .
3) في الأصل : ويوجد .
4) في الأصل : حسن .

وأما خُلُقه رضى الله تعالى عنه فقد تواتر القول بأنه كان محبا في الحق ، مؤثراً للصدق ، وكذلك قام بإحياء الحق والحق إذ ذاك غير موجود العين ، ووعد أصحابه بمواعد اتضح لهم صدقها اتضاح الصبح لذى عينين ، وكان محبا في العدل وأهله ، مبغضا في الظلم وأصله ، جيد الفهم فى الغاية من الذكاء ، [1] يعطي الإنصاف من أهله وغيرهم بالسواء ، ويرثى لمن حل به الجور كل الرثاء ، سهل الانقياد إذا دعى إلى الحق ، لا عوج [2] ولا جموح ، صعب الانقياد إذا دعى إلى الباطل لا مُقْدِمٌ عليه ولا سَمُوح ، قوي العزيمة على الشئ الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورا ، لا ضعيف النفس ولا خائفا محسورا ، وكان الدرهم والدينار هينين [3] عنده ، * وكذلك سائر أعراض الدنيا ، كبير النفس ، عالي الهمة ، تسمو نفسه إلى الأرفع من الأمور والأعلى ، حسن العبارة عما في ضميره جدا ، لا يرهقه التعليم تعبا ولا كدا . وهذه كانت أخلاق جده عليه الصلاة . [28 أ]

ولما كانت هذه الأخلاق في النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم ، [4] وذلك كالعَيْن يخرجان من عين واحدة قال فيه علي رضي الله تعالى عنه : يشبه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في الخُلُق لا في الخلْق ، وهذا هو حقيقة التشابه .

وبيّنٌ مما تواتر أن خَلْقَه رضي الله تعالى عنه لم يكن كخَلْقِ رسول الله ﷺ ، فإذا جميع ما قال علي رضي الله تعالى عنه من صفة المهدي رضي الله تعالى عنه يصدق كلها على المهدي المذكور رضي الله تعالى عنه . فإذن الثامنة والتاسعة والعاشرة قد صدقت .

---

1) في الأصل : والذكاء .
2) كذا ، ولعلها : أعوج أو أموج .
3) في الأصل : هين .
4) في الأصل : السلام .

ويمكن من زوال الاستقصاء عن حديث رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم أكثر من مزاولتي أن نجد أحاديث في صفة المهدي زائدة لما ذكرته من بيان وتمهيد ، على أن في ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

قالت الأمارة بالسوء :

— أبدعت فيما جمعت ، بيد أنه قد وردت أحاديث عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في صفة المهدي ، لا تصدق تلك الصفات على المهدى المذكور . من ذلك : قوله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم « إنه يملك » العرب » ، [1] وهذا لم يملك العرب ؛ ومنها قوله عليه الصلاة والسلام : « يكون [28 ب
اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل هاربا من أهل المدينة ، فيأتيه ناس من أهل مكة ، فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام » ... الحديث [2]

قالت المطمئنة :

— أما حقيقة هذا الاعتراض ، فلا يحتاج الانفصال عنه إلى إغماض . أما ما ذكرته أولاً من أنه قال عليه الصلاة والسلام « يملك العرب » وذلك لم يملك العرب فقولك إنه لم يملك العرب قول كاذب ، فلذلك لزم عنه كذب ، وذلك إنه قد تواتر القول عندنا إن الأمة الموحدة التي قام فيها ونهى كثير [3] منهم أو أكثرهم من

---

1) انظر سنن أبي داود 207/2 .

2) بقية الحديث كما جاء في المرجع السالف الذكر في الحاشية السابقة (سنن أبي داود 208/2) : « .. فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من أهل الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثاً ، فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ، ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض ، فيلبث سبع سنين ، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » .

3) في الأصل : كثيراً .

العرب ، (1) فإن هذه الصفة هي أجدر أن تكون من الصفات التي يستدل [منها] على أنه المهدي رضي الله تعالى عنه الذي بشر به رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم من أن تكون من الصفات التي تدل على خلاف ذلك .

وأيضا فإنه لو لم يكن في القوم الذين قام فيهم عرب ولا ملك إلى (2) الآن عربا لم يكن ذلك دليلا (3) على أنه ليس بالمهدي المبشر به ، لأنه كما تقدمت فقلت إنه سيملك العرب والعجم ، وإن ذلك ينساق له محسوسا لا مدفع فيه ، وإن من قام بالأمر بعده فهو كحياته .

[في الرسالة (4) لسيدنا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبي يعقوب رضي الله تعالى عنه إلى الناس [من] تونس عام قفصة – وقد جرى ذكر استجلابه لعرب « رياح وانقيادهم إلى مفارقة إفريقية والجواز إلى الأندلس للجهاد – (5) ما نصه : [111 أ]

---

1) في الأصل : الغرب .

2) في الأصل : إلا .

3) في الأصل : دليل .

4) هذه الفقرة الموضوعة بين حاصرتين من الواضح أنها ليست من صلب رسالة أبي عبد الرحمن ابن طاهر ، وإنما هي تعليق من مؤلف الكتاب – أي ابن القطان – على ما يتعلق بملك المهدي للعرب تعقيبا لما بشر به النبي ﷺ في الأحاديث النبوية التي سلف إيرادها عن ظهور المهدي . وقد أقحم ابن القطان هذا التعليق تدليلا على صحة ما ذكره ابن طاهر .

5) يشير المؤلف إلى غزو الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي لبلاد إفريقية وفتحه لقفصة في سنة 575 ، وما تلا ذلك من استنزال عرب قبيلة رياح وإخراجهم إلى الأندلس برسم الجهاد (عن هذه الأحداث انظر عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 252 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب – الجزء الخاص بالموحدين ، ط . بيروت 1985 – ص 140 - 141 ؛ ابن خلدون : العبر 240/6 - 241 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 212 ؛ السلاوي : الاستقصا 147/2) . وقد أشار ابن عذاري فيما كتبه نقلا عن ابن صاحب الصلاة إلى الرسالة التي وجهها الخليفة الموحدي بهذه المناسبة والتي اقتطف منها ابن القطان هذه الفقرة ؛ هذا وقد كان من بين الرسائل الموحدية التي نشرها ليفي بروفنسال تحت عنوان « مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية » (ط . الرباط سنة 1941) =

« وفي هذه – وفقكم الله – شهادة [1] بينة ، ودلالة واضحة ، على صحة ما روى عن رسول الله ﷺ من قوله : لا تقوم الساعة حتى يملك العرب رجل مني .... الحديث ، فذكر عليه الصلاة والسلام العرب تفخيما لشأنهم ، واعتناء بأمرهم ، وتنبيها على عظيم المنة في ملكهم ؛ وأمر الإمام المهدي هو الذي هداهم وأرشدهم ، ونظمهم على الطاعة وجمعهم ، وقادهم إلى السعادة وجبرهم » .

ففي هذا الفصل من هذه الرسالة بسط لما قرره ابن طاهر [2] هنا وموافقة له عليه] .

فلو خلصت أيتها الأمارة بالسوء [ما] تقدمت فقلت لأَعْرَضْتِ [3] إعراضا ، عن أن تجعلي [4] هذا اعتراضا ؛ ويكون على هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام « يملك العرب » أن يملك جميع أصناف الناس حسبما وعد الله تعالى به في محكم كتابه حيث قال : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » ، [5] لأنه إذا ملك العرب الذين هم أعتى الناس أصنافاً وأعسرهم انقياداً ، فأحرى ملك غيرهم ؛ قال الله تعالى : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » ، [6] وهي تتمدح بذلك فتقول : « حي لَقَاح » [7] يعنون بذلك أن الحي

– رسالة كتبها عن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أبو الفضل ابن طاهر ابن محشوة في سنة 576 بهذه المناسبة ، ولم يرد النص المنقول هنا في هذه الرسالة وإن كانت فيه عبارات تؤدي نفس معنى ما يشير إليه ابن القطان : « ... وأن الله وعد هذه الطائفة المنصورة – أي الموحدين – أن تملك العرب ، كما بشر به المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ... » (انظر الكتاب المذكور ، الرسالة السادسة والعشرين – ص 125) .

1) في الأصل : بشهادة .
2) في الأصل : ابن ظاهر .
3) في الأصل : لا أعرضت .
4) في الأصل : تجعل .
5) سورة الأنبياء ، آية رقم 105 .
6) سورة التوبة ، آية رقم 97 .
7) يقال « حي لقاح » بفتح اللام – أي لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في الجاهلية سباء ، –

لم يملكوا ولا ملك آباؤهم ، ولذلك لا يؤلف بين قلوبهم إلا بأمر إلهي ، كما قال الله عز وجل ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، » إنه عزيز حكيم ﴾ [2] [29 ب]

وأما إتيانك بالحديث الذي خرج أبو داود رحمه الله تعالى وذكر فيه قصة الركن والمقام توهمين وتغالطين أن الحديث فى المهدي – وهل ذكر النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم أن ذلك الرجل هو المهدي ؟ أو هل ذكر فيه عن ذلك الرجل ما ذكر فى المهدي من كونه من عترته أو « موافقة اسمه اسمى » مما يستدل به استدلالا بينا على أنه عنى به المهدي ؟ وإنما غَلَّطَكِ في ذلك أمران : أحدهما أن وافق لبثه للبث [3] المهدي ؛ والثانى أن أبا داود أدخله فى جملة أحاديث المهدي رضي الله تعالى عنه ؛ وهل نمنع نحن أن يقوم بالحق أقوام ؟ وأن النبى – صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم – بشر بهم ؟

فإن كنت مغالطة [4] بذلك ، أيتها الأمارة بالسوء ، فقد تبينت مغالطتك ؛ وإن كنت غلطت فإن هذا لمن الغلط القبيح . فلو مارست صناعة القياس بعض ممارسة [5] ، وزاولت ذلك أقل مزاولة ، لما قلت إن النبى صلى الله تعالي وملائكته الكرام عليه وسلم إنما أخبر بذلك الرجل عن المهدي لكونه صدقت عليه صفة واحدة من صفات المهدي . وهى اللبث على أنه إن كان ذلك عندك قياسا فبالحرى أن يكون قياسا يصدق عليه من صفات المهدي صفات جمة . أتتركين » الأقوى ، [30 أ] وتميلين إلى الأضعف الأوهى ؟ لقد خرجت من القوم « الذين يسمعون القول ،

= أنشد ابن الأعرابي :

أبوا دين الملوك فهم لقاح   إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا

وهذا اللفظ مشتق من لقاح الناقة لأنها إذا لقحت لم تطاوع الفحل وليس يقوى عليها .

2) سورة الأنفال ، آية رقم 63 .

3) في الأصل : لبثه للبث .

4) في الأصل : غالطة .

5) في الأصل : ممارست .

فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » [1] ﴿ من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ [2] .

وأما إلزام ذلك لكون إنسان ما أدخله في جملة أحاديث المهدي فهذا إلزام باللفظ لا بالمعنى ، ولسنا بمقاومة هذا الإلزام نُعْنى ، وبالجملة فكل حديث رووه في مصنف صحيح من قيام إنسان بالحق ووصفه بصفات لا تطابق صفات المهدي رضي الله تعالى عنه فإن ذلك القائم بالحق لم يقل فيه النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم إنه المهدي ولا وصفه بصفات المهدي . وأنا قد بحثت واستقصيت وفحصت ؛ ومن زعم أن المهدي ينزل بيت المقدس فقد زاد في الحديث ما لم يذكر في مصنف صحيح ، وكذلك من قال إنه يخرج من مكة لم يقع في مصنف صحيح .

وأما ما وقع في كتب الحدثان فإن جعلنا ذلك إقناعا فقد وقع بأيدي كثير من أهل هذه الجزيرة [3] – أصلحها الله تعالى وسددها ، ونظمها عجلا بسيرة المهدي رضي الله « تعالى عنه ومهدها – كتاب صغير [4] في جرمه يحتوي على | 10
عظائم في علمه ، يذكر أن المهدي يخرج بجبل درن ، فيفعل ويصنع ، وعدد أشياء كثيرة صدرت كلها من فعل المهدي رضي الله تعالى عنه ، ووجدت صنعه بالفعل بعد أن كانت موجودة بالقوة ، وذكر أن أتباعه وأنصاره وأشياعه مصمودة ، وذكر أنه سيسبي حتى يبلغ السبي في بلاد البربر أن تباع الجارية البربرية بخمسة دراهم ، وأنه سيجوز إلى الأندلس خليفته ، فيكون ويكون حتى يصل إلى مكة فيبايع بين الركن والمقام . ثم ذكر في ذلك ما جاء مما وردت به الأحاديث عن النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم قال : « وتكون بيعته بمكة بين الركن والمقام » ، سوى البيعة التي تكون في المغرب ، وقد تقدمت .

---

1) سورة الزمر ، آية رقم 18 .

2) سورة الكهف ، آية رقم 17 .

3) يعني بلاد الأندلس .

4) في الأصل : كتابا صغيرا .

فقلت :

لا فرق بينه وبين من قام بأمره بعده ، ولوضوح هذا الأمر وكثرة هذا المعنى قال من لم يثبت في قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما [1] ﴾ إنه أراد شريعته وسيرته ، وقد وردت [في هذا المعنى] [2] ....

....

[11 أ] • ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ [3] أيتها النفس المطمئنة ! نعم ، صدقت وأرشدت ، واستجدتك البيان فأجدت [4] ! ﴿ الآن حصحص الحق ﴾ [5] وأجتليت منه الغرر والاوضاح ، فأصحب [6] الأبي ، وخلص من شوائبه المكنون والمطوي . وتبين أن أبا عبد الله محمد بن عبد الله رضي الله تعالى عنه هو المهدي ، وانجلت عنه غيابة الامتراء والريب ، ذلك لتعلمي أني لم أخنك بالغيب ، فشأنك في الآن ، فقد أذعنت لمذهبك إيثاراً للحق حيث كان ، فأنا لك سامعة مطيعة ، منهمة لما قضى به الرأي الحق ، إذ قد تبين لي أن قولك هذا هو الصدق ، فأنادي بأعلى صوتي : المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفاطمي رضي الله تعالى عنه هو الذي بشر به جده صلوات الله تعالى عليه وسلامه ، وهو الإمام الأول والملك على الإطلاق الذي كان ينتظر ويؤمل !

فلما رجعت هذه النفس إلى الحق ، وتبين لها بفضل الله تعالى حقيقة القول والصدق ، قمت أنا فحمدت الله رب العالمين ، وصليت على نبيه وعبده

---

1) سورة العنكبوت ، آية رقم 14 .

2) جاءت هذه الالفاظ الموضوعة بين الحاصرتين في ذيل الصفحة إحالة على الورقة التي تليها ، وقد صادفت هذه الورقة في خرم يلي ذلك أشرنا إليه بالنقط المتتابعة ، رغم انتظام الترقيم .

3) سورة يوسف ، آية رقم 53 .

4) في الأصل : واستجرتك البيان فأجرت .

5) سورة يوسف ، آية رقم 51 .

6) أي ذل وانقاد .

خاتم النبيين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، إذ صرت بكلي في زمرة الموحدين ، دون أن ينازعني منازع مني ، يجيء على شأني ، وكلي موافق لكلي ، * وسرّي [31 ب] مساو لجهري .

العلم أرفع شيء اكتسبه الإنسان ، وبه على الحقيقة هو الإنسان إنسان . نبدأ أنه اجتمعت عليّ النفسان ، فقالتا :

– أليس القائم الآن بأمر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه أميراً للمؤمنين ، وإماما للموحدين ، أبو محمد عبد المؤمن بن علي أيده الله تعالى بالنصر والتمكين ؟ قام بالنصر قيام من استبد به وأظهره ، وجد في إذاعته حتى أشهره ، وحارب عن الحق فنصر ، وأبقى عليه فأظهر ، وله من المشاهد الكريمة ، والمآثر المشهورة المعلومة ، ما معرفة الناس [به] (1) تغنى عن الوصف والذكر ، وعسى أن السكوت عنه له أقرب إلى الآخرة ؛ وبالجملة إنه إذ رضيته للامر تلك الطائفة الفاضلة ، والأمة المنصورة العادلة ، وظهر منه الغاية في الاستبداد ، والنهاية في الاجتهاد ، فقطعنا – عقلا وشرعا – أن لا أمير سواه ، ولا والي إلا من ولاه .

قالتا لي :

– فما بالك لا تساعدنا فنتحرك إليه ، ونُعْمِلَ الورود سريعا عليه ؟

قالت المطمئنة :

– إذن أنا قد قضيت ، وبينت أن الحق عندهم والهدى ، وأن بهم يستضا .

قالت النزوعية :

[32 أ] – وأنا قد نزعت * إليهم ، وتشوقت إلى الورود عليهم !

---

1) زيادة يقتضيها السياق .

فما تركاني حتى أجبت لقولهما [1] ، فالأعمال بالنيات ، ومنتظر الصلاة في صلاة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

انتهت الرسالة ، وهي « الكافية في براهين الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عقلا ونقلا » ، والحمد لله رب العالمين كثيراً .

* * *

بيعة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه :

كانت إما في سنة أربع عشرة على قول ، وإما في سنة خمس عشرة على قول كما سيأتي عند الفراغ من هذه المقدمة إن شاء الله عز وجل .

وفاته رضي الله تعالى عنه :

كانت عام أربعة وعشرين وخمسمائة .

عمره رضي الله تعالى عنه :

كان نحواً من خمسين سنة .

مدة بقائه إماما بعد البيعة له رضي الله تعالى عنه :

كانت مدة إقامته رضي الله تعالى عنه إماما بنفسه تسع سنين : بإيجيليز [1] ثلاثا ، وبتينملل [2] ستا .

إخوته رضي الله تعالى عنه :

عيسى ، وعبد العزيز ، لأب [3] ؛ وأحمد الكفيف ، وأخته شقيقته [4] زينب ، وأخته الأخرى لأب .

---

1) في الأصل : الجبلين .

2) في الأصل : وبشتمس .

3) عيسى وعبد العزيز أخوا محمد بن تومرت المهدي هما اللذان قاما بالثورة ضد عبد المؤمن بن علي خليفة ابن تومرت ، وذلك حين بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة 549 ، وكان عبد المؤمن غائبا عن مراكش في سلا ، بينما توجه الأخوان من فاس سرا ، فاقتحما مراكش وقتلا عاملها أبا حفص ابن تفراجين ، فأسرع عبد المؤمن بالعودة إلى مراكش . وقضى على هذه الفتنة ، وقتل عبد العزيز وعيسى وصلبهما (انظر ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 195 ؛ والسلاوي : الاستقصا 119 - 120 ؛ وراجع كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 171/1 - 173) .

4) نعرف عن زينب شقيقة ابن تومرت أنه كان يعيش معها وكانت تنفق عليه من غزلها إبان صباه وأنها شهدت وفاته في سنة 524 (انظر أخبار المهدي للبيذق ص 81 والسلاوي : الاستقصا 92/2 ، وأويثي : تاريخ الدولة الموحدية 26/1 ، 86) .

ووزراؤه رضي الله تعالى عنه :

هم العشرة المؤثرون الذين يقال لهم « الجماعة » أعزهم الله تعالى .

أصحاب مشورته رضي الله تعالى عنه :

هم أهل الخمسين رحمهم الله تعالى ، وسيأتي ذكر جميعهم بعد إن شاء الله تعالى .

ولا ولد له رضي « الله تعالى عنه ولا زوجة ولا سُرِّيَّة ، لأنه كان رضي الله [12 ب]
تعالى عنه حصورا .

هذه هي المقدمة ، فلنرجع إلى الأصل المقصود وهو :

كيفية انعقاد البيعة له رضي الله تعالى عنه :

فنقول :

قال اليسع :

ولما استوثق الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من قبيلته ومنعة موضعه ، لأنه مكان لا يصل إليه أحد إلا من طريق لا يمشيها إلا راكب ، بعد راكب ، فيسد [1] خللها أقل عصبة من الناس ، ولما فيه من التوعر في نفسه – قصد إلى قرية إيجيليز [2] تحتها ركن يستظل تحته على الماء فعند اجتماع أصحابه إليه في ذلك الركن تحت إيجيليز [2] قام فيهم [3] خطيبا ، فقال :

« الحمد لله الفعال لما يريد ، القاضي بما يشاء ، لا رادَّ لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا ، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ،

---

1) في الأصل : فيصد .
2) في الأصل : الجبلين .
3) في الأصل : فيها .

مكانه المغرب الاقصى ، وزمنه آخر الزمان ، واسمه اسم للنبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم . » وقد ظهر جور الأمراء ، وامتلأت الأرض بالفساد ، وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم ، والنسب النسب ، والفعل الفعل ! » [1] .

قال اليسع :

سمعت أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن رضي الله تعالى عنه يقول : « لما فرغ الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من كلامه بادر إليه عشرة رجال منهم أنا ، فقلت له : هذه الصفة لا توجد إلا فيك ، فأنت المهدي ! فبايعناه على ذلك » .

والعشرة المذكورون : الونشريشي ، وعمر آصناج ، والخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه ، وأبو يحيى أبو بكر بن يجيت ، والاحسن بن علي ، وعمر الهنتاتي ، وفقيه من أهل إفريقية لم أذكر اسمه الآن [2] .

وسمى هؤلاء بالعشرة !

قلت :

ولم أجد في هذه النسخة من كتاب اليسع إلا سبعة ؛ والعشرة عند غير اليسع [1]

---

1) أشار ابن أبي زرع في إجمال إلى هذه الخطبة ، وحدد تاريخها بيوم السبت السادس عشر من رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة (روض القرطاس ص 176) وعنه نقل السلاوي (الاستقصا 90/2) .

2) هذا الفقيه هو الذي سيشير إليه ابن القطان فيما بعد عند حديثه عن إيقاع المهدي بأهل تينملل ، إذ أنه أنكر ذلك على المهدي فقتل وصلب « لأنه شك في عصمة الإمام المهدي » .

3) عن أسماء أهل العشرة من أصحاب المهدي انظر : كتاب الأنساب ص 29 ؛ الحلل الموشيه ص 108 ، روض القرطاس ص 176 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 420 - 422 ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم المغربي ص 208 - 209 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين (ط . تونس سنة 1289 هـ .) ص 4 ؛ ابن أبي دينار القيرواني : المؤنس (ط . تونس سنة 1286 هـ .) ص 108 ؛ النويري : نهاية الأرب (الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ط . جاسبار رميرو غرناطة سنة 1919) ص 193 - 194 ، والسلاوي 83/2 - 84 ، 90 وانظر مناقشة هذه الأسماء واختلاف المؤرخين فيها في كتاب أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 101/1 - 102

هم : سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو | محمد | [1] عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه ، أبو محمد البشير [2] ، أبو إبراهيم الهزرجي [3] ، أبو حفص عمر بن علي الصنهاجي [4] ، أبو الربيع سليمان بن الحضري [5] ،

---

1) زيادة تقتضيها صحة الاسم والكنية .

2) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوانشريشي المشهور بالبشير ، ذكر صاحب كتاب المقتبس من كتاب الأنساب نسبه كاملا وقال إن قرابة البشير كانوا ينتسبون إلى قيس ، ثم أورد اسمه بين أهل العشرة وتحدث عن تمييزه للموحدين (كتاب أخبار المهدي ص 27 ، 28 ، 33 ، 36) ، وقد زادنا البيذق تفصيلا عن بدء صلته بالمهدي منذ مرور هذا على ونشريس وبيعته له وتمييزه للمخالفين والمنافقين في سنة 523 واشتراكه في غزوات المهدي (نفس المرجع ص 59 ، 73 ، 78) . وقد فقد البشير في وقعة البحيرة التي هزم فيها الموحدون سنة 524 (انظر كذلك في ترجمته : الحلل الموشية ص 87 - 88 ، 93 ، 95 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 176 - 177 ، ؛ ابن خلدون : العبر 227/2 - 228 ؛ السلاوي : 86/2 - 87 ، 80 - 81 ، 86 - 87 ؛ ابن الأثير : الكامل 297/8 - 298 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 139/4 - 144 ؛ النويري : نهاية الأرب ص 191 - 193 ؛ وراجع كذلك ما كتبه عنه أويثي في تاريخ الدولة الموحدية 46/1 ، 79 ، 78 ، 80 ، 83 ، 84 ، 101 ، 595/2 - 600 ، 602) .

3) هو أبو إبرهيم اسماعيل بن يسلالى الهزرجي الذي يلقبه البيذق بإسماعيل إيجيج ، ويسميه عبد الواحد المراكشي أبا إبرهيم اسماعيل بن يحيى الهزرجي ، أما ابن أبي زرع فيسميه ابرهيم بن اسماعيل الهزرجي ، وكان من طلبة المهدي حينما كان في أغمات وريكة ثم عهد إليه المهدي بالقضاء وجعله قائداً على جيشه في غزوته الرابعة ، وكان أحد من عقدوا البيعة لعبد المؤمن بعد وفاة ابن تومرت ، وإليه يرجع فضل إخماد ثورة ضد عبد المؤمن في صفروى ، ويذكر عبد الواحد المراكشي من أخباره إنقاذه لابن تومرت من مؤامرة حيكت لاغتياله ، وكذلك فداءه لعبد المؤمن بمبيته في خبائه ومصرعه على يد بعض من الدهماء به (انظر في ترجمته وأخباره كتاب أخبار المهدي ص 33 . 70 - 75 ، 81 ، 83 ، 85 ، 92 ، 94 ، 99 ، 122 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس 176 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 303 - 305 ؛ الحلل الموشية ص 108 ؛ السلاوي : الاستقصا 90 ؛ وانظر كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 59/1 ، 100-101 ، 103 ، 126 ، 135 ، 172 ، 228 ؛ 592/2 ، 607 - 609) .

4) كذلك ورد اسمه أيضا لدى البيذق في كتاب أخبار المهدي ، ويسميه عبد الواحد المراكشي عمر بن عبد الله « المعروف عندهم بعمر أزناج » ، واسمه الحقيقي كما يقول البيذق يملوك ابن علي آصناج ، كان وزيرا لمحمد بن تومرت ثم كان أحد الثلاثة الذين اضطلعوا بمبايعة عبد المؤمن خلفا له فنحاه هذا عن الوزارة ونأى بقدره عنها إذ كان عندهم فوق ذلك ، وكان لأولاده مكانة عظيمة من عبد المؤمن حتى إن ذريته كانت أول من يعترض في العرض العام وكانت وفاته سنة 536 (انظر كتاب أخبار المهدي ص 33 ، 78 ، 80 ، 81 ، 85 ، =

أبو عمران موسى بن تمارا [1] ، أبو يحيى أبو بكر بن يجيت [2] ، أبو عبد الله محمد ابن سليمان [3] ، أبو حفص عمر ابن يحيى [4] ، وكان عاشرهم

— 92 ، 123 ؛ عبد الواحد : المعجب ص 262 ، 267 ، 308 ، 422 426 ؛ ابن أبي زرع ص 176 ؛ الحلل الموشية ص 88 ؛ ابن خلدون : العبر 228/6 ؛ وقد أشار ليفي بروفنسال في تقديمه لكتاب اخبار المهدي (المقدمة ص 10 - 11) إلى أن أبا بكر الصنهاجي البيذق ربما كان من قرابة عمر اصناج هذا . (وانظر كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 87/1 ، 101 ، 105 ، 110 ، 118 ، 125 ، 211) .

5) اسمه لدى البيذق : أبو الربيع سليمان بن مخلوف الهواري الحضرمي وأضاف إلى ذلك أنه شهر بابن البقال وابن تاعظيميت عند أهل اغمات وبسليمان آحضري عند الموحدين ، كان من طلبة ابن تومرت في آغمات وريكة ، وكان يكتب الرسائل عن إذن الإمام المهدي ، واستشهد في موقعة البحيرة سنة 524 . هذا ويسميه ابن ابي زرع والسلاوي : سليمان بن خلوف ، وأما صاحب الحلل الموشية فيسميه إسماعيل بن مخلوف (انظر كتاب أخبار المهدي ص 28 ، 33 ، 70 ؛ روض القرطاس 176 ؛ الحلل ص 108 ؛ أويثي : تاريخ 101/1 ، 599/2) .

1) أبو عمران موسى بن تمارا الجدميوي أمين الجماعة ، واستشهد يوم البحيرة سنة 524 ، وكان ثلاثة من اخوته من أهل الخمسين (انظر أخبار المهدي ص 33 ، ابن أبي زرع : روض القرطاس 176 الاستقصا 90/2 ؛ أويثي : تاريخ 101/1) .

2) استشهد في وقعة البحيرة سنة 524 ، وقد اختلف في اسمه المؤرخون ، ويتفق كتاب أخبار المهدي مع ما جاء هنا ، ويسميه ابن خلدون « أبا يحيى بن يكبت » وابن أبي زرع « أبا يحيى بن بخت » وصاحب الحلل « أبا يحيى أبا بكر بن تنجيت » ، أما عبد الواحد فقد ذكره من أهل الجماعة وقال إنه « رجل من تينملل يعرف عندهم بابن بيجيت — أنا شاك في اسمه — » ، وأضاف السلاوي إلى اسمه نسبة « الهنتاتي » (انظر اخبار المهدي ، ص 33 ؛ العبر 228/6 ؛ الحلل ص 108 ، روض القرطاس ص 176 ؛ المعجب ص 421 ؛ الاستقصا 90 ؛ أويثي : تاريخ 101/1) ، وكان لابي يحيى هذا ولد ولاه عبد المؤمن على قرطبة سنة 549 .

3) أبو عبد الله محمد بن سليمان ، كان من أهل آنسا ، وكان يؤم في الفريضة عن إذن المهدي ، واستشهد يوم البحيرة سنة 524 ، وسماه عبد الواحد « عبد الله بن سليمان » وقال إنه من أهل تينملل من قبيلة مسكالة (انظر أخبار المهدي ص 33 المعجب ص 262 ؛ العبر 228/6 ؛ الحلل ص 108 ؛ أويثي : تاريخ 102/1 ، 105) .

4) أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي المعروف بعمر ينتي ، ويسميه عبد الواحد عمر بن ومزال ، وكان اسمه فصكة فسماه المهدي عمر ، وكان من أقرب أعوان ابن تومرت إليه ، ثم كان من بين من عقدوا الأمر بعد —

| 11 ب | عبد الله بن ملوية [1] ، وسيأتي ذكره . » وهؤلاء العشره هم المسمون بأهل الجماعة .

قال اليسع :

وتابعهم على هذا المعتقد بأثرهم خمسون رجلا ، فسموا أهل خمسين ، ثم تابعهم سبعون رجلا ، فسموا أهل سبعين [2] ، واختص المذكورون بهذا الاختصاص ، وانعقد لهم من البر والتكرمة ما أنهضهم إلى أن تسمع بقية عوامهم منهم وتطيع . وكانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم ، فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين ، فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين رجلا ، وفي ما دون ذلك لا يتأخر أحد ممن دخل في أمره رضي الله تعالى عنه .

- ذلك لعبد المؤمن وهو الذي فتح للموحدين كثيرا من بلاد الأندلس مثل الجزيرة الخضراء ورندة وإشبيلية وقرطبة وغرناطة ، كما اشترك في أعمال حربية أخرى مهمة منها القضاء على ثورة محمد بن عبد الله بن هود الماسي ، وتوفي في الطاعون الذي أصاب الأندلس والمغرب في سنة 571 ، وهو جد الحفصيين الذين توطدت دولتهم بعد ذلك في إفريقية (انظر أخبار المهدي ص 33 ، 71 ، 75 ، 89 ، 93 ، 95 ، 97 ، 98 ، 104 ، 106 ، 108 ، 109 ، 117 ، 118 ، 121 ، 126 ؛ المعجب ص 262 ، 267 ، 282 ، 293 ، 337 ، 421 ؛ ابن خلدون : العبر 227/6 ، 270 ، 275 ، 276 ؛ روض القرطاس 176 ، 190 ، 193 ، 198 ، 201 ؛ الحلل الموشية ص 108 ، 146 ، 151 ، 158 ؛ الاستقصا 90 ، 108 ، 143 ، 146 ؛ أويثي : تاريخ 208/1 ، 219 ، 222 ، 230 ، 236 ، 238 ، 239 ، 241 ، 243 ، 249 ، 253 ، 260 ، 269 ، 274 ، 385 ؛ 391/2 ، 394) .

1) عبد الله بن يعلى أو يعلاتن الزناتي التازي المعروف بابن ملوية ، كان من كبار أعوان المهدي وقواده ، ثم ارتد عن دعوته بعد خروجه من تينملل وانضم إلى جيوش علي بن يوسف أمير المرابطين ، فظفر به وقتل وصلب سنة 527 (انظر أخبار المهدي ص 33 ، 75 ، 85 ، 122 ؛ الحلل ص 108 ؛ العبر 228/6 ؛ أويثي : تاريخ 84/1 ، 102 ، 106 ، 111) . وسوف يفصل ابن القطان الحديث عنه فيما يلي . انظر ص 162 .

2) سبق أن علق ابن القطان على ما ذكره اليسع من أمر أهل السبعين إذ قال إنه لا يرى ذلك صحيحا ، ولم يرد ذكر لأهل السبعين في كتاب المقتبس من الأنساب ، وإن كان قد قال بذلك بعض المؤرخين المغاربة مثل ابن الخطيب في كتاب رقم الحلل حسبما نقل عنه السلاوي (الاستقصا 93/2) وصاحب الحلل الموشية (ص 108) فضلا عن بعض المؤرخين المشارقة مثل ابن الأثير (الكامل 298/8) ، والنويري : نهاية الأرب ص 194 .

وأول ما دبرهم به أنه ألف لهم كتاب « التوحيد » باللسان البربري وهو سبعة أحزاب عدد أيام الجمعة [أيام] [1] كان الموحدون أعزهم الله تعالى مع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بتينملل .

....

« وهنا وقائع كانت في أول أمره رضي الله تعالى عنه :

منها وقعة علي بن تابشا اللمتوني ببني وارتانك [2] ، وجهه إليهم صاحب السوس أبو بكر ابن وربيل فى جملة من الأنجاد ، فأحاطوا ببني وارتانك [2] وهم غارُّون [3] ، فقبضوا على مائة رجل منهم أبو الحسن يوجوت بن واجاج [4] « من أهل خمسين ، فحملوا إلى تيونوين لصاحب السوس ، فسجنهم . (١٧ أ)

ثم مشت الحصة التي فعلت هذا من اللمتونيين [5] ليضربوا على الملت ان ورغن [6] حيث كان الإمام المهدي رضي الله تعالى [عنه] [7] قبل هذا ، فألفوهم وقد أخذوا حذرهم منهم ، وكمنوا لهم ، فخرجت كائن هرغة عليهم ، واشتد حربهم ، وأخذت أكثر خيلهم وسلاحهم ، وقتل أكثرهم ، وقتل من هرغة نحو

---

1) زيادة يتطلبها السياق .

2) في الأصل : وارتانك ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، فقد ورد الاسم على هذه الصورة في كتاب المقتبس من كتاب الأنساب ، وقد علق صاحب الكتاب على ذلك الاسم فقال إن هؤلاء فخذ من أهل تينملل (انظر أخبار المهدي ص 40) .

3) في الأصل : عارون ، والأصح ما ذكرنا أي غافلون .

4) في الأصل : يرجوت ، والصواب ما ذكرنا ، وقد أورد هذا الاسم صاحب كتاب المقتبس وأبو بكر البيذق الصنهاجي من بين أهل خمسين (انظر أخبار المهدي ص 34 ، 94) .

5) في الأصل : المتونيين .

6) في الأصل : الملت ان وزغن ، ولعل الصواب ما ذكرنا ، أي المنسوب إلى هرغة . ومن المعروف أن محمد بن تومرت ينتسب إلى قبيلة هرغة ، وقد ذكر عبد الواحد المراكشي أنه ولد في ضيعة تدعى « إيجلي أن وارغن » (المعجب ص 245) .

7) زيادة يتطلبها السياق .

خمسة وثلاثين رجلا وهي أول غزوة لهرغة ، فجمعوا غنائمهم ، وطلعوا بها إلى المهدي رضي الله تعالى عنه فكانت أول غنيمة للموحدين أعزهم الله تعالى فيها الخيل .

ومن الوقائع المأثورة في السنة سنة ست عشرة وخمسمائة ...

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى في هذه السنين الثلاث التي استقر فيها الإمام المهدي رضي الله تعالى بإيجيليز [1] من هرغة :

وجه علي بن يوسف جيشا أمر عليه ابراهيم بن تعيشت [2] ، فسلك

---

1) في الأصل : بالجبلين .

2) هو أبو إسحاق ابرهيم بن يوسف بن تاشفين أخو الأمير علي بن يوسف اللمتوني ، ويعرف بابن تعيشت أو تاعياشت ، وهو اسم أمه ، وهي على ما يذكر ابن عذارى أمة سوداء . كان قد ولي سبتة ثم مرسية قدمه عليها علي بن يوسف بعد عزل أخيهما ابن عائشة عنها بسبب اعتلال بصره بعد صدوره من وقعة البورت Congost de Martorell قرب برشلونة سنة 508 . وكان ابن تعيشت من أعاظم قواد المرابطين وله على نصارى الأندلس وقائع كثيرة . ويقول ابن عذاري إنه ولي بلنسية سنة 509 . تولاها مع مرسية ، ثم نقل إلى إشبيلية التي ظل عاملا عليها من شوال سنة 511 (فبراير 1118) حتى جمادي الأولى سنة 516 (يولية -- أغسطس 1122) إلا أن ابن الأبار يقول إن أمير المسلمين علي بن يوسف نكبه في سنة 515 واستصفى أمواله وقال انه يظن أن ذلك كان بسبب تقصيره الذي جر وقيعة كتندة Cutanda التي هزم فيها المسلمون سنة 514 . ثم انتقل إلى المغرب ، ويبدو أن علي بن يوسف رضي عنه بعد ذلك ، إذ أننا نراه مشتركا مع إخوته وأهل قرابته في الاجتماع الذي عقد علي بن يوسف فيه ولاية عهده لابنه سير في سنة 22 ، كما أننا نراه قبل ذلك -- في سنة 516 أو 517 -- على رأس جيوش المرابطين أثناء قتالهم مع الموحدين في السوس كما نرى من الخبر الذي يذكره هنا ابن القطان وغيره من المؤرخين . ويقول ابن الأبار انه لم يقع على خبر له بعد نكبته ، إلا أنه نقل عن ابن صاحب الصلاة في تاريخه أنه قتل وفل عسكره على طريق سجلماسة بجهة جبل هسكورة ، وذلك خلال الحرب الدائرة بين المرابطين والموحدين ، ويشير ابن خلدون إلى دوره في هذه الحرب ولا سيما في موقعة البحيرة التي هزم الموحدون فيها سنة 524 . وسيشير ابن القطان إلى مصرع ابن تعيشت في احدى المعارك الدائرة سنة 528 ، أما البيذق فإنه يذكر أن مقتله كان في الغزوة التي قاد الموحدين فيها عمر بن علي الصنهاجي (عمر آصناج) في مكان يدعى « تيزي آن الابيات » . وقد أثنى ابن الأبار على ابن تعيشت وعنايته بالعلم والرواية ، وهو الذي أهدي إليه الفتح بن خاقان كتاب « قلائد العقيان » ، كما أنه هو الذي مدحه ابن خفاجة الشقري بكثير مما هو مثبت في =

السوس الأقصى ، وقصد هرغة ، وقد حصن أهلها قلعة يقال لها إيجيليز . ومنعوها أضبط منع . فنزل العسكر عليها من جهة شرقها بمكان وعر . فخرج الإمام رضي الله تعالى عنه في جملة من الحصن بعد أيام من نزول العسكر عليهم ، فعقد لهم مجلسا وعظهم فيه ، ووجه بعضهم يقاتل ، « فكان إذا جاءه جريح من أصحابه ١٧/أ نشطه ورغبه في الشهادة ، ويقول لأصحابه : لا تنظروا إلى أعداء الله وأعدائكم ، فيعظموا في أعينكم !

فلم يكن إلا أن نزل بأصحابه من أعلى الجبل إلى أسفله يريدون مقاتلتهم والعسكر في جبل آخر يناوحه ، فانهزموا وتركوا خيلهم وأسلحتهم وأمتعتهم ، وأتى القوم على جميع أموالهم ، (1) واستحوذوا عليها ، وقد كانوا لا درع لهم ولا عدة .

ولما نالوا ما وعدهم به وصدق خبره على وفق مخبره عظم رضي الله تعالى عنه في أعين الموحدين أعزهم الله تعالى ، فكانوا يستحيون عن رفع رؤوسهم نحوه حتى يأمرهم . وشاع ذكر الهزيمة في جميع البلاد ، فهيب أمره ، وكثر المهاجرون (2) إليه ، ولم يبق قبيل من قبائل أهل جبل المصامدة إلا وقد هاجر إليه منه ، وأقاموا يفاتن بعضهم بعضا ، ومصامدة (3) الفحص » مع المجسمين وعلي بن يوسف ، (٨ وهم : دكالة ، وهسكورة ، وهزميرة ، وهزرجة ، ورجراجة ، وحاحة (4) ، وصودة .

— ديوانه ، وأشار ابن سعيد في كتاب المغرب إلى كثير ممن اتصل به من الشعراء والكتاب (انظر في ترجمته : البيان المغرب لابن عذاري - القسم المرابطي ص 106 ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصدفي ، ترجمة رقم 40 ؛ ابن خلدون : العبر 228/6 ؛ السلاوي : الاستقصا 87 ؛ البيذق : أخبار المهدي ص 84 : الحلل الموشية 110 ؛ ابن سعيد : المغرب 397/1 ، 253/2 - 254 ، 287 ؛ الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص 3 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان 24/4 ، 123/7 ؛ ديوان ابن خفاجة بتحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي في مواضع مختلفة من الديوان ؛ وانظر كذلك بحث فرانسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » ص 109 - 111 ؛ وأويثي : علي ابن يوسف ... ص 96 ، 105 ، 108 ، 113 - 114) .

1) في الأصل : أحوالهم .
2) في الأصل : المهاجرين .
3) في الأصل : أو مصامدة .
4) في الأصل : وحاجة .

وأمره رضي الله تعالى عنه في كل يوم بتزيد ، وكتب كتبه إلى جزولة ولمطة وهنكيسة وبني بيغز ودرعة وصنهاجة القبلة وهسكورة القبلة وجميع من جاوره يدعوهم إلى الطاعة وحرب المجسمين ، وقد تقدمت نسخة كتابه في السنة قبل هذه [1] .

وسماهم الزراجنة [2] ، شبههم بطائر أسود البطن أبيض الريش ، يقال له « الزرجان » لأنهم بيض الثياب سود القلوب . كما سماهم أيضا « المجسمين [3] » لانه ألزمهم في المذاكرة أنهم يقولون بالتجسيم والمكان ، تعالى الله عن ذلك وسبحانه عن صفات النقص علواً كبيرا ؛ ويسمون أيضا « الحشم » للثامهم كما يفعل النساء المتحشمات .

وأمر علي بن يوسف — في هذه المدة التي كان فيها الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بإيجيليز — الفلاكى الأندلسي ، [4] وكان فاتكا شهما تاب من قطع السبل ، فقدمه عليٌّ على العساكر ، وسد به ثغوره ، فصنع حصونا ضبط بها ثغوره ،

---

1) يبدو أن هذه الرسالة قد سقطت في بعض خروم الكتاب السابقة .

2) أشار كثير من المؤرخين أيضا إلى هذه التسمية ، ولكن ابن القطان هو الوحيد الذي يفسر لنا أصل هذا الاسم .

3) ذكر البيذق في أخبار المهدي (ص 77) مناسبة هذه التسمية ، فقال إن المهدي أطلقها على المرابطين أثناء غزوته التاسعة إلى آسدرم ان الغزى : « ... فقال (المهدي) للموحدين : ما يقولون — بعد أن سمع منهم كلاما من عندهم — ، قالوا له : لقبونا . قال : وكيف لقبوكم ؟ قالوا : يقولون « خوارج » . قال : سبقونا بالقبيح ، لو كان خيراً أحجموا عنه وما سبقونا إليه ، لقبوهم أنتم فإن الله ذكر في كتابه « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ... الآية » ، قولوا لهم أنتم أيضا « المجسمون » ففعلنا » . وفي اتهام المهدي للمرابطين بالتجسيم والرد عليهم في ذلك انظر كتابه « أعزما يطلب » ص 258 وما يليها ، وكذلك المقدمة الفرنسية التي كتبها جولد تسيهر لهذا الكتاب ص 65 وما يليها .

4) كان الفلاكي — على ما يذكر ابن القطان هنا — أحد قطاع الطرق في الأندلس ، ثم استنزله علي بن يوسف واتخذه من قواد عسكره ، واستخدمه أولا في إشبيلية ثم نقله إلى منطقة السوس لقتال الموحدين ، وقد اشترك مع بعض قواد المرابطين الآخرين مثل ميمون بن ياسين في بناء سلسلة من الحصون لحماية المناطق المحيطة بمدينة مراكش من ناحية السهول الجنوبية وحتى تتخذ قواعد تنفذ منها القوات =

ومنع الموحدين من النزول ، وولى أصحابه عليها ؛ وتمنع من أهل الجبل كل من أطاع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من أداء كل ما كانوا يؤدونه لعلي » بن يوسف . | 18

قال ابن الراعي :

ولما ارتقى الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه جبل إيجيليز [1] أقام فيه ثلاثة أعوام : من سنة خمس عشرة إلى سنة ثماني عشرة .

....

ومن أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى وقيعة هنتاتة :

وذلك أنه لما اتصل بأبي بكر بن وربيل ما صنعه هرغة – وفرهم الله تعالى وأعزهم – بعلي بن تابشا وأصحابه أخذ في الاستعداد والتأهب ، وحشد أهل السوس ، وأخذ الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في التأهب أيضا ، وحفر جبوب [2] الماء ، وكانت هرغة ومسكالة وسجتانة وقبائل أهل تينملل قد هداهم الله تعالى ، فهم متوازرون ، فوجه نمير بن تجلد بن يملوك مع جماعة وافرة إلى سوس ، فهبط إلى السوس وإلى جبل درن يدعو إلى الله تعالى ، وإلى الحق الذي جاء به الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فاستجاب له من أهل تلك الجبال جملة منهم جدميوة [3] الجبل وهزميرة الجبل وجنفيسة الجبل ومن وفقه الله من أهل جبل درن .

= المرابطية إلى السوس حيث كان يحتمي ابن تومرت وأصحابه ، وقد تحدث عن دور الفلاكي في ذلك كتاب الحلل الموشية (ص 113) . على أن الفلاكي لم يلبث أن اعتنق مبادئ « التوحيد » وانضم إلى عبد المؤمن هو وأصحابه على ما يذكر البيذق (أخبار المهدي ص 88) ، ثم عاد فرجع إلى صفوف المرابطين ، ولكنه لم يستمر معهم طويلا ، إذ عاد إلى خلافه عليهم ، وانضم مرة أخرى إلى الموحدين في إيجيليز هرغة ، ووفد على عبد المؤمن بن علي في تينملل سنة 535 (أخبار المهدي ص 129 ، وانظر كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 76/1 ، 107 ، 111) . هذا وسيعود ابن القطان إلى الحديث عنه فيما بعد .

1) في الأصل : الجبلين .

2) في الأصل : جيوب .

3) في الأصل : جدميرة .

ثم إن هنتاتة لما سمعوا بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه وبأخباره اجتمعوا

[١٧ أ] على أبي حفص عمر بن يحيى [1] ووانودين بن يحصيلت وتمير بن داود « وأبي ماغليف قطران بن تارساين وأبي يهدا ومحمد بن يزيمر وخلف بن والال وسائر أشياخ هنتاتة ، فتذاكروا خبر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه وما جاء به وما هو عليه من الخير والوعظ ، فأرادوا تحقيق ذلك ، فوجهوا أبا يعقوب إسحاق بن عمر [2] ليسبر أمره ، ويخبر رجاله وتواصوا هم وطالب لهم يقال له سكاتو بوصايا في كيفية لقائه له رأوا أنها تنفعهم ، فتوجه إسحاق بن عمر والموحدون أعزهم الله تعالى في ثلاثة آلاف راجل وثلاثمائة فارس يقدمهم البشير [3] .

[١٨ أ] « وتطلع ورأى ، وعمل جميع ما أوصوه به ، واجتمع بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، ثم انصرف إلى تيفنوت ، فاجتمع بالذين أرسلوه وعرفهم بما هو عليه الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه من رفع المظالم والمناكر والمغارم [4] ، وقال لهم باللسان الغربي [5] :

---

1) هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي المعروف بعمر ينتي (انظر تعليقنا السابق على اسمه وترجمة حياته في ص 127 - 128 حاشية رقم 4) .

2) إسحاق بن عمر الهنتاتي كان من أكابر قواد الموحدين ، وقد تحدث البيذق عن دوره في الغزاة السابعة لمحمد بن تومرت ، وهي الغزاة التي وجهها المهدي إلى هسكورة ، وقد جرح فيها ابن تومرت وقام بعمله إسحاق بن عمر هذا هو وأبو محمد وسنار (أخبار المهدي ص 76) . وذكر البيذق في موضع آخر من كتابه أن المهدي دفع إليه جريدة (أي كتيبة) إلى قبيلة دكالة ، فقتل منهم ستمائة « وكان شفيقا عليهم » (أخبار المهدي ص 112) .

3) هو أبو محمد عبد الله بن محسن الوانشريشي ، وقد سبق أن ترجمنا له (انظر ص 126 حاشية رقم 2) ، وهذا العدد الذي يذكره ابن القطان أقرب إلى المعقول من الأربعين ألفاً الذين ذكرهم ابن خلدون (العبر 228/6) ومن الأربعمائة الذين ذكرهم الزركشي (تاريخ الدولتين ص 4) .

4) في الأصل : والمغارب .

5) في الأصل العربي ، والصواب ما أثبتنا ، ويقصد باللسان الغربي اللغة البربرية ، ومن هذه الكلمة أخذت اللفظة الإسبانية Algaravia وهي تعني الضجيج الذي لا يفهم ، وقد كان بعض اللغويين يعدونها تحريفا لكلمة « العربية » أي اللغة العربية ولكن الصواب هو أنها مأخوذة من الاستعمال المغربي والأندلسي الشائع الذي يطلق كلمة « اللسان الغربي » على اللغة البربرية .

النور » النور في بلاد هرغة ، وأنتم في الظلمة ياهنْتة [1] ! [١٢]

فصنعوا طعاما واجتمعوا عليه ، وتعاهدوا وتوجهوا بأجمعهم ، وكانت عساكر السوس والحشم تحركوا إلى إيجيليز وضيقوا على هرغة بحومة وادى إينشو ، وقد كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه شرع في بناء مسجد إيجيليز ، فأخذ حجرا ليضعه في موضعه ، فسمع الصياح والهرير ، وهو الذي يقولون له « أما ولل [2] » ، فسأل عنه ، فقيل له : وفد هنتاتة ! فقال باللسان الغربي [3] ما معناه : فتجدد الأمر اليوم ! فوضعوا الفيسان من أيديهم ، وخرج إلى هنتاتة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام امير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه بأمر الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فاجتمع بهم ودعا لهم ، وقال لهم : استريحوا ! فقالوا : لا راحة لنا حتى نأخذ عزوى [4] هذا العدو ! فاستأذن الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في ذلك ، فقال لهم : هذا وقت الظهر ، فتوضأوا وصلوا ، فإذا قضيتم الصلاة فخذوهم على بركة الله تعالى !

فأصعدوا [5] الجبل حتى صاروا بحيث لا يفصل بينهم وبين مناهدهم من الموحدين « أعزهم الله تعالى إلا خندق كبير ، فاتفق رأيهم على أن يردموه ببرادع الدواب ليتأتى لهم جوازه ، فلم يمهلهم جماعة الموحدين أعزهم الله تعالى : هنتاتة ومن تقدم ذكرهم ، فقتلوهم وهزموهم وأخذوا خيلهم وأسلحتهم وأسلابهم ،

---

1) صحح ليفي بروفنسال هذه الكلمة عند نشر هذا النص بـ « هنتاتة » . ونظن أن هذا تصويب ليس له ما يبرره ، فقد ذكر ابن خلدون (العبر 227/6) أن هنتاتة يقال لهم بلسانهم « هنتى » ، فيكون ما ذكره ابن القطان على الصورة التي ضبطنا الكلمة بها صحيحا متفقا مع نطق الهنتاتيين لاسم قبيلتهم .

2) تطلق هذه الكلمة على مختلف ألوان الضجيج والصياح ؛ انظر تعليق ليفي بروفنسال عليها في القطعة التي نشرها من « نظم الجمان » (Mélanges.. p. 379,n.1 .) .

3) في الأصل : بلسان الغربي .

4) يراد بهذه الكلمة في الاستعمال المغربي الدارج حتى الآن معنى الثأر أو الانتقام .

5) في الأصل : قد صعدوا . والمقصود بضمير الجمع هنا عساكر المرابطين .

وفتح الله للموحدين أعزهم الله تعالى فتحا عظيما ولم يرجع عن عسكر الحشم إلا من تأخر أجله .

وإن أبا الحسن يوجوت بن واجاج [1] مع الجماعة المسجونين معه من بني وارتانك [2] بتيونوين قاعدة السوس حينئذ كما قد مر ذكره من سجنهم عند اشتغال السوسي أبي بكر بن ورييل والحشم بهذه الحروب فروا من السجن ، ولحقوا بالإمام المهدي رضي الله تعالى عنه .

ومنها وقيعة أبي ما غليف [3] وهنتاتة بهم في بلاد هنتاتة :

وذلك أنه لما اتصلت هزيمة الملثمين بإيجيليز [4] من هرغة بعلي بن وسف اغتم غما شديدا ، وجَيَّش عسكراً مختارا ، وقدم عليهم سير بن فودي وأبا مسعود والريتسيغ بن بقور ومهدي بن توالي مع حشد حاحة وجميع أنحاء إذفرجال ، وقال لهم علي بن يوسف : اقصدوا إلى تيفنوت وأحرقوها بالنار ! فاجتمعت العساكر ، وأخذوا على طريق لجاغة ، وشقوا واد نفيس ووسط الجبل يريدون تيفنوت ؛ واتصل الخبر بالإمام رضي الله تعالى عنه ، * فجمع هنتاتة ، وقال لهم : [٤٥ ب]
تداركوا بلادكم فإن الكفرة قد قصدت إليكم ، فخذوهم على بركة الله ! فودعوه ودعا لهم ، وانصرفوا إلى بلادهم .

فلما أشرفوا همز أبو ما غليف فرسه وكبر وقال : ابتدأت سواقي جرى الماء بالخير والبركات إلى بلادنا ! ، ثم قال لهم : يا هنتاتة ، أنا أرغب إليكم أن

---

1) سبقت الإشارة إلى أبي الحسن يوجوت بن واجاج هذا وخبر وقوعه هو ومائة من أصحابه من بني وارتانك في قبضة عامل السوس المرابطي أبي بكر بن ورييل وسجنهم في تيونوين (انظر ص 129 ، حاشية 4) .

2) في الأصل : وارتارك .

3) في الأصل : مغاليف .

4) في الأصل : بالجبلين .

تقدموني للرأي في هذا النهار لا غير ، ولا يشركني [1] معي أحد ، فقالوا له : نعم ، لك ذلك ، لأنك شيخ عارف بالأمور . فقدموه في ذلك اليوم ، فتخير [2] أنجاد فرسانهم ورجالهم ، وقد كان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه أعطاهم حصتهم [3] من غنيمة وقعة إيجيليز [4] المتقدم ذكرها من الخيل والسلاح والسلب ، فتقووا بذلك . وأخذ بهم أبو ما غليف طريقا سلكه خرج منها أمام أعدائهم ، فقتلهم أجمعين ، واحتووا على سلبهم ، حتى لتحصل لأحد هنتاتة صاع [5] ممسوح مملوء من دنانير ، وقتل سير ابن فودي [6] وأبو مسعود وريتسيغ بن بقور وغيرهم [7]

....

« أعزهم الله تعالى وغنموا أموالهم .

واتصلت الأنباء بالموحدين أعزهم الله تعالى أن الحشم فيمن انضاف إليهم من بني واوزجيت [8] وغيرهم يتبعونهم ، فتربصوا بتادرارت [9] حتى اجتمعوا بهم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة فتح الله تعالى فيها لأوليائه الموحدين أعزهم الله تعالى ،

---

1) في الأصل : يشركه .

2) في الأصل : فتحير .

3) في الأصل : خصتهم .

4) في الأصل : الجبلين .

5) في الأصل : صاغ .

6) في الأصل : فولى .

7) عن هذه الوقعة انظر أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 80/1 .

8) بنو واوزجيت المذكورون من أفخاذ أهل تينملل على ما يذكر صاحب كتاب المقتبس من كتاب الأنساب (أخبار المهدي ص 41) ، وكانوا من أول من استجابوا للمهدي واعتنقوا دعوته قبل وصوله إلى تينملل (أخبار المهدي ص 72) ، ولكنهم ثاروا عليه بعد ذلك ، فأوقع بهم ابن تومرت وعبد المؤمن عدة وقائع . ويسمي ابن خلدون هذه القبيلة « بني واسكيت » (العبر 228/6) .

9) تادرارت إحدى مدن السوس تقع إلى شرق تينملل ، وقد ذكر البيذق أن المهدي بنى فيها مسجدا (أخبار المهدي ص 71 - 72 ، وكذلك أويثي : تاريخ 60/1) .

وهزموهم وقتلوا جميعهم ، [1] ومات في تلك الوقعة العمران ، [2] وعمر بن ديان [3]

ووصل الموحدين أعزهم الله تعالى إلى آنسا ، [4] والتقوا مع الحشم هنالك ، واستشهد من الموحدين أعزهم الله تعالى من كتبت عليه الشهادة ، وجاز الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى جبل درن ، فاحتوى على تلك البلاد كلها من بلد تاصبوت إلى بلد ماغوصه [5] إلى بلد جنفيسة حتى وصل إلى واد يسان ، ومكث هنالك مدة حتى غزا تلك البلاد كلها ، ورجع حتى وصل تاصبوت ، [6] وجاز إلى تادرارت أيضا ، فأغار الموحدون أعزهم الله تعالى عليها ، وقتلوهم قتلا ذريعا . وجاز إلى حصن أوصليم [7] فحصره الموحدون أعزهم الله تعالى مدة ، ثم رحل عنه الإمام رضي الله تعالى عنه إلى بلد إنسوال [8] .

ونهض إلى بلد غجدامة [9] إثر غدرهم للشيخ أبي محمد عطية [10] رحمه الله

1) عن هذه الغزوة وغزوة آنسا التي تليها انظر البيذق أخبار المهدي ص 76 ؛ وابن خلدون : العبر 226/6 ؛ وأويثي : تاريخ 70/1 - 71 ، وقد حدد هذا الباحث الأخير تلك الأحداث بسنة 517 .

2) لم نهتد إلى من يقصده ابن القطان بذكر هذين « العمرين » ولعلهما كانا بعض القواد المرابطين .

3) في الأصل : عمر بن ديار – والتصويب عن البيذق الذي نفهم من حديثه عنه أنه كان من قواد المرابطين معتصما بحصن آنسا ، وقد أشار البيذق إلى هزيمته المشار إليها هنا في الكلام عن الغزاة الخامسة لابن تومرت (انظر أخبار المهدي ص 76 ، 128 ؛ وكذلك أويثي : تاريخ 70/1 - 73) .

4) هو الحصن الذي يسميه البيذق « آنسا بني إماديدن » (أخبار المهدي ص 128) .

5) يسميها صاحب كتاب المقتبس ماغوسة (أخبار المهدي ص 42) وجاءت في موضع آخر باسم « موغوصة » (نفس المرجع ص 43) ، وهم فخذ من جدميوة كان يطلق عليهم اسم « جدميوة الجبل » ، وقد ذكر البيذق أن المهدي غزاهم وفتح بلادهم في سنة 518 ، ولعله يعني نفس هذه الغزوة (أخبار المهدي ص 132) .

6) في الأصل : ياصبوت ، وقد وردت قبل ذلك بقليل كما أثبتنا .

7) لعل هذا الحصن هو المذكور في كتاب البيذق (أخبار المهدي ص 132) باسم « آوصليم بني واوم عي » ، وسيشير إليه ابن القطان مرة أخرى قائلا إنه يقع في بلاد جلاوة .

8) ربما كانت إنسوال هذه هي التي ذكرها صاحب كتاب المقتبس باسم « سوالة » ، وقال إنها أحد أفخاذ صنهاجة الظل (أخبار المهدي ص 46) .

9) في الأصل : عجرامة ، وقد أثبتنا ما جاء في كتاب المقتبس من كتاب الأنساب (ص 44) وقد ذكر في هذا الموضع أنها من أفخاذ هسكورة الظل . وسماها ابن خلدون « غجرامة » (العبر 228/6) .

10) أشار البيذق إلى هذه الغزوة في أحداث سنة 522 ، إذ قال إن المهدي أرسل طلبة الموحدين إلى =

تعالى ، وكان غدرهم له وهو في مصلاه ، فاستباح الموحدون أعزهم الله تعالى بذلك دماءهم وأموالهم .

وقفل الإمام المهدي « رضي الله تعالى عنه راجعا إلى تينملل كرمها الله | 46
تعالى ، واستوطنها .

وقال اليسع بن أبي اليسع في استيطان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه لتينملل :

إن أهل مدينة تينملل بعثوا رسلهم إلى الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه يعلمونه بطاعة هزميرة الجبل ، وأن مجيئه [1] وسكناه عندهم أصلح له وأقرب من تسامع الناس به ؛ فرحل إليهم رضي الله تعالى عنه بجميع من أطاعه . وحصل بتينملل ، وأكرمه أهلها وأنزلوه في المدينة وأضافوه وأطاعوه وبايعوه ، فرأى من كثرتهم ومنعة موضعهم وحسن بلدهم ماراقه .

فكان يخرج إلى الشريعة [2] من خارجها . ويجلس على حجر مربع أمام محراب الشريعة ، فيعظ الناس ، وكانت قبيلة هزميرة يمسكون العدة فقال لهم الإمام يوما : مالكم تمسكون العدة . وأصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله تعالى لا يمسكونها ؟ فأقاموا على ترك عدتهم زمانا ، وقد كان الإمام رضي الله تعالى عنه خاف من جهتهم لكثرتهم ومنعتهم ، وكوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيق النظر في أمرهم ، فوصلوا في بعض الأيام إلى الوعظ دون عدة ، فما شعروا إلا وأصحابه الموحدون أعزهم الله تعالى ورضي عنهم معهم العدة قد أحاطوا بهم ، فقتل منهم في ذلك « اليوم نحو من خمسة عشر ألفا [3] ، وقتل من ذلك | 47

= قبائلهم ، وكان من هؤلاء أبو محمد ابن عطية المنجصي : أرسل إلى غجرامة ، فتوفي شهيدا في هذه السنة (انظر ص 132) ، وراجع كذلك ابن خلدون : العبر 228/6 .

1) في الأصل : مجنه .

2) ذكر دوزي في « ملحق القواميس العربية » تحت هذه المادة (748/1) أن لفظ « الشريعه » كان يطلق في الاستعمال المغربي على القاعة المخصصة لإلقاء الدروس والمواعظ في المساجد .

3) بياض في الأصل بقدر كلمة .

القبيل كل من حضر فى ذلك اليوم بتينملل ، وسبى حرمهم ، وغنمت أموالهم ، فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه ، وأصفى ديارها جوائز جوائز : لكل جائزة قبيلة [1] .

ثم أدار على المدينة سوراً أحاط بوهدتها ، وبنى على رأس الجبل سورا ، وأفرد فى قنته حصنا يكشف ما وراء الجبل [2] .

قال اليسع :

ولا أعلم مدينة أحصن [ولا أمنع] [3] منها ، إذ أنها بين جبلين لا يدخلها الفارس إلا من شرقيها وغربيها . فأما غربيها فطريق أوسع ما به ما يمشى عليه الفارس وحده . وأضيقه ما ينزل عن فرسه خوفا من سقوطه ، لأن الطريق مصنوعة فى نفس الجبل ، تحت راكبها حافات ، وفيها مواضع مصنوعة بالخشب ، إذا أزيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد ، ومسافاتها على هذه الصفة نحو من مسيرة يوم ؛ وكذلك من شرقيها ، وهي طريق مراكش ، على صفة الغربية . [4]

وقد اتفق لهم فيها أنهم تركوا فى أول الحال عسكراً دخل إليه الطريق الشرقية مع « الربرتير » [5] وكان من أقماط [6] الروم فأسلم ، وكان * [7] | و 147 |

---

1) كذا ، وهو يعني : لكل قبيلة جائزة . هذا وقد نقل خبر هذه الوقعة عن اليسع – فيما يبدو – ابن الأثير (الكامل 296/8 - 297) والنويري (نهاية الأرب – ط . جاسبار رميرو – ص 190 - 191) . كذلك أشار إليها صاحب الحلل الموشية إشارة عابرة (ص 112) . وانظر أويثي : تاريخ 71/1 - 73 .

2) في وصف تينملل ومدي ما هي عليه من حصانة انظر **H. Terrasse & Basset :** Sanctuaires et Fortresses almohades , p . 37 ss . (المشاهد والقلاع الموحدية) ؛ وكذلك **Ferriol** : Les Ruines de Tinmel, Hésperis , 1922 , pp . 162 - 164 (أطلال تينملل) وكتاب أويثي : تاريخ 73/1 - 74 .

3) كلمتان مطموستان لا تستبين منهما إلا بعض الحروف .

4) فى وصف الطريق المؤدي إلى تينملل انظر الإدريسي : نزهة المشتاق ص 64 ، وكذلك بحث تيراس وباسيه : المشاهد والقلاع الموحدية ص 35 .

5) في الأصل : الزبرتين ، وهو تحريف أصلحناه بما أثبتنا ، وكان قائداً مسيحيا أندلسيا من =

وما يريدونه من النزول إلى البسائط ، (1)   (2) العسكر الطريق هـ.ملوا من أعلى الجبل عليهم ، فلم يفلت منهم إلا من كان في بطن الوادي .

ولما قتل الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه أهل تينملل آخى بين أصحابه (3) ، وكان يبعث بعوثه إلى المواضع التي تليه من ناحية سوس ، وهي قبيلة (4) تينملل ، فيغيرون عليها ، فيسبون ويقتلون ويغنمون ، وفي كل يوم يتزيدون ويصلون أفواجاً إلى دين الله تعالى فيدخلون .

فواد أمير برشلونة Barcelona وأرغن Aragon ومن كبار رجالات دولته ، ثم وقع في أسر قائد البحر المرابطي علي بن ميمون ، فوجهه هذا إلى مراكش حيث اعتنق الإسلام ولزم خدمة الأمير علي بن يوسف ، فولاه سلطان المرابطين قيادة الجيش المسيحي المرتزق الذي خدم تحت لواء المرابطين في محاولاتهم لإخماد ثورة الموحدين : وكان اسم هذا المنصب « قائد الروم » ؛ وقد أبلى « الربرتير » في قتال الموحدين بمنطقة السوس بلاء حسنا حتى قتل في إحدى المعارك التي خاضها ضد الموحدين في سنة 539 . أما اسمه فهو اسم إسباني تعرفه المراجع الإسبانية على هذه الصورة : Reverter ؛ وقد كان للربرتير هذا ولد اسمه علي اعتنق فيما بعد دعوة الموحدين وأصبح من أكابر رجال دولتهم ، وإليه يرجع الفضل في انتزاع جزيرة ميورقة Mallorca من أيدي بني غانية ، وقد قتل علي هذا في إحدى المعارك سنة 583 (انظر عن أخبار الربرتير وحياته ابن خلدون : العبر 2/230 - 231 ؛ البيذق : أخبار المهدي ص 86 - 88 ، 95 - 96 ؛ وتعليقات ليفي بروفنسال في ترجمته الفرنسية لهذا الكتاب ص 139 ، 155 ؛ ورينهارت دوزي : Recherches..., II, pp. 437 - 442 ومقال الدكتور حسين مؤنس : نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد سنة 1955 ، ص 102) . هذا ونلاحظ أن ابن خلدون يسميه « الروبرتير » بينما يسميه البيذق « الابرتير » .

6) جمع « قمط » وتكتب أيضا « قومس » Comes (بالإسبانية Conde ، وبالفرنسية Comte) ، وهو اللقب المعروف « الكونت » .

7) في الأصل موضع ثلاث كلمات مطموسة طمسا كاملا ، والمقصود كما يتبين من السياق : « وكان يحول بين الموحدين وما يريدونه .. الخ » .

1) في الأصل : البساط ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

2) في الأصل موضع كلمتين مطموستين ، ولعلهما « فلما سد العسكر الطريق ... الخ » أو شيء في معناها .

3) أورد صاحب كتاب المقتبس فصلا طويلا عن هذه « المؤاخيات » التي قام بها المهدي بين أصحابه وأنصاره (انظر أخبار المهدي ص 37 وما بعدها) .

4) كذا ، والمعروف أن أهل تينملل لم يكونوا قبيلة واحدة ، وإنما كانوا قبائل شتى يجمعهم -

وكان رضى الله تعالى عنه أثبت فى العشرة الفقيه الإفريقي ، [1] فلما قتل أهل تينملل أنكر ذلك ، فقتل وصلب ، لأنه شك فى عصمة الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه .

وكان مبتدأ هذه المحاولات [2] فى سنة ثماني عشرة . وكأنها كلها كانت فيها أو فى التي بعدها ، لم يبينوا ذلك ، وكأن الأول أظهر الأمرين .

* * *

--- اسم هذا الموضع كما قال عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 323) ؛ ولهذا فربما كانت هذه الكلمة تعريفا للفظ « قبلة » أي الواقعة إلى جنوب تينملل .

1) هو الفقيه الإفريقي الذي سبق أن نبه إليه ابن القطان عند حديثه عن أهل العشرة قائلا إنه « لا يدري اسمه الآن » (انظر ص 125 ، حاشية 2) ، ولم يورد اسمه صاحب كتاب « المقتبس » عند إيراده لأسماء هؤلاء العشرة .

2) قد تحتمل أيضا أن تكون « المحاولات » .

أخبار غير الموحدين أعزهم الله تعالى :

من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى .

في هذه السنة توفي أبو الحسن موسى « بن عبد الصمد (1) ، والفقيه أبو بكر ابن عطية الغرناطي (2) ، وقاضي قبرة أبو عبد الله الموروري (3) ، والمشرف أبو محمد ابن مالك (4) . [٤٨ أ]

ومن ذلك قتل الأفضل صاحب الآمر ، فقد قيل إنه كان في هذه السنة ، وقد قدمناه في سنة أربع عشرة (5) مع ما ذكره ابن حَمَادُه (6) .

---

1) هو أبو الحسن موسى بن عبد الصمد بن موسى البكري القرطبي ، ولد سنة 466 وروى عن أبيه وعن أبي مروان ابن سراج وغيرهما ، وتقلد أحكام القضاء بقرطبة مع الشورى ثم صرف عن ذلك ، وله رحلة حج فيها وكتب كتبا رواها ، وقد سمع منه في المشرق ، وتوفي سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1440 . ط . مدريد ، وانظر ص 577 ، الهامش من طبعة القاهرة) .

2) أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي ، ولد سنة 441 ، وروى عن ابيه وغيره ، ورحل إلى المشرق سنة 469 فسمع صحيح مسلم وسمع بالمهدية صحيح البخاري ، وكان حافظا للحديث وطرق علله وأسماء رجاله وكان شاعرا لغويا ، توفي سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 981 ؛ والفتح بن خاقان : قلائد العقيان ص 205 - 206) .

3) هو أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي الخير بن علي الأنصاري ، وأصله من سرقسطة ، سكن قرطبة ، وله رواية عن الباجي وأبي محمد ابن فورتش والعذرى وغيرهم ، عني بالقراءات وجودها ، وحدث عنه أبو عبد الله بن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة ، وتوفي بقرطبة سنة 518 (ابن بشكوال : الصلة ، رقم 1265 ؛ وابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصدفي ، رقم 89) .

4) ذكره ابن خاقان في قلائد العقيان (ص 169 - 170) ، وسماه « الوزير المشرف » وقال إن أمير المسلمين (أبي علي بن يوسف) ولاه شرق الأندلس عند ما كثر فساده ، فاستقل بعمله أحسن استقلال .

5) سبق أن علقنا على ما ذكره ابن القطان حول مصرع الأفضل (انظر ص 79 ، حاشية رقم 2) ، وقد جعله المؤرخ في سنة 514 وإن كان قد أورد الخبر في ذكر أحداث سنة 515 ، والواقع أن مقتل الأفضل كان في سنة 515 المذكورة لا في 514 ولا في 518 كما نرى من اضطراب ابن القطان بين التاريخين ، ولعل المؤرخ خلط بين الأفضل والذي خلفه على الوزارة وإمارة الجيوش بمصر وهو أبو عبد الله المأمون بن البطائحي ، إذ أن الآمر لم يلبث أن قبض عليه وقتله هو وأخاه المؤتمن بعد أن استصفى أموالهما ، وحتى ذلك إنما وقع في سنة 519 لا في السنة السابقة (انظر ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة 229/5) . —

قال الوراق [1] :

وظهر الآمر بعد قتل الأفضل ، بعد أن لم يكن يظهر إلا مرتين في السنة وكان الآمر سيئ السيرة . زين له بطانته أنه يملك الدنيا بأجمعها ، ورأى أن ذلك لا يكون إلا بالرجال ، والرجال لا يملكون إلا بالمال ، فنظر في صرف أموال جميع الأمراء إليه وجميع الناس فكان لا يرث بديار مصر والد ولده ، ولا ولد أباه ، وإنما يصير ما يتركه الناس من الأموال إذا ماتوا للسلطان . وأمر بأخذ أموال التجار الغرباء وسائر الناس من السوقة [2] تسبب إليهم الأسباب لأخذ أموالهم ، فيؤتى إلى التاجر العطار ، فيقال له : وجد في زمن مولانا عليك كذا وكذا ! — ما يستغرق جميع ماله وأضعافه [3] — : فينكر الرجل ذلك ويقول : ما اشتريت قط بنسيئة من سلطان ولا غيره ! فلا يسمع قوله ، ويعذب حتى يقر أن جميع

- 6) هو أبو الحسن علي بن حماده الصنهاجي المتوفى سنة 628 مؤلف كتاب « النبذ المحتاجة ، في أخبار صنهاجة » ، وكتاب « أخبار ملوك بني عبيد (أي الفاطميين) وسيرتهم » الذي نشره فوندرهايدن في الجزائر سنة 1927 مع ترجمة فرنسية (وإن كان الناشر قد أخطأ في اسم المؤلف إذ جعله « ابن حماد ») ؛ وهو غير أبي عبد الله محمد بن حمادوه البرنسي السبتي صاحب كتاب « المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس » (انظر عن علي بن حماده كتاب « مفاخر البربر » ص 65 ؛ وليفي بروفنسال : نص جديد عن فتح العرب للمغرب صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1954 ص 205 ، حاشية رقم 1 ؛ وكذلك **Robert Brunschvig** : Un aspect de la littérature historico -géographique del'Islam, Mélanges Gaudfroy - Demombynes, Le Caire, 1936, 1945, (p.156) .

1) هو أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق صاحب كتاب « المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس » ، وهو من مؤرخي القرن السادس الهجري ، وكان كتابه من أهم مراجع ابن عذارى في البيان المغرب (انظر البيان 2/1 ، 228/3 ، 249 ، 258 ، 272) وابن الخطيب (الإحاطة – ط . محب الدين الخطيب 278/1 ، 288 ؛ و ط . محمد عبد الله عنان 446/1 - 447) والسلاوي (الاستقصا 166/1 ، 169) و « مفاخر البربر » (ص 37 ، 64) ، وانظر كذلك عنه ليفي بروفنسال : تاريخ إسبانيا الإسلامية 259/2 ، 264 ، 272 ؛ 81/3 .

2) في الأصل : السرقة .

3) في الأصل : وأضعفه .

دلك من شراء فلفل أو لاك [1] أو غير ذلك من العطر . فإذا استصفى ماله طولب بما بقى عليه فإذا لم يوجد عنده شيء قيل له : أحلّ على من تعرف أنه ذو مال وكثُر وتنصرف ، فيقول الرجل : فلان عنده دين ترتب لي عليه ، وهو كذا - ويذكر عدداً يستغرق مال ذلك الرجل - ، فيترك الأول ، ويؤخذ الثاني فيفعل مثل ما فعل بالأول : فكانت أيامه على هذه الوتيرة [2] !

واستخلص لنفسه فتيين من الفتيان الوضاء الوجوه الحسان الخلقة ، كان أعدهما للفاحشة ، وكان رزق كل واحد منهما فى كل يوم ألف دينار [3] . اسم أحدهما حرز الملوك [4] . اسم الأخر العادل ؛ وأحدث فى بلاد مصر أشياء لم يستحل [5] مثلها الفراعنة ولا الجبابرة ، ولا سائر الأمم الماضية .

والعباسي فى هذه السنة هو المسترشد فى هذه السنة قبل ؛ وأمير إفريقية الحسن بن علي بن يحيى ؛ وبمصر الآمر .

---

1) كذا ، وربما كانت هذه الكلمة تحريفا للفظ « لك » (بضم اللام وتشديد الكاف) ، وهو صبغ يستخرج من بعض الأعشاب (انظر لسان العرب تحت هذه المادة) .

2) لخص ابن عذارى هذه الفقرة في « البيان المغرب » (287/1) ناسبا إياها إلى ابن القطان ، فقال : « وكان [الآمر بحكم الله] جبارا عنيدا ظالما جائرا ، وكثر في زمانه دعوى الباطل ، ونصر الظالم على المظلوم وإعانته على ظلمه » .

3) نقل هذا النص أيضا ابن عذارى (بيان 287/1) وأضاف إليه : « وكان يعمل النزاهة (كذا ، ولعلها النزه) ويبيح للناس فيها المحظورات ، فلا يشاء مؤمن أن يعاين منكراً مباحاً إلا عاينه »

4) في الأصل : هدار ملك ، وسيأتي الاسم فيما بعد في هذا الكتاب هكذا « حرز الملوك » ، وهو ما أثبتناه هنا ، وإنما يعني هذين المملوكين اللذين أشار إليهما المقريزي فى الخطط (172/2) وابن تغري بردي (النجوم 240/5) واسم أولهما عند المقريزي « هزار الملوك برغوارد » وعند ابن تغرى بردي « هزبر الملوك جوامرد » ، وأما الثاني فهو برغش الملقب بالعادل. هذا ويبدو من هذا النص تحامل ابن القطان على الفاطميين ومبالغته في التشهير بهم ، إذ لا يشير المقريزي ولا ابن تغرى بردي إلى ما يزعم مؤلفنا هنا أنه كان الغرض من استخدامهما ، فكلا المؤرخين يقول إنهما كانا من خدام الآمر ، وإليهما يرجع الفضل في تولية الخليفة الحافظ بعده .

5) فى الأصل : يستحر ، ولعلها كما أثبتنا ، وقد تكون أيضا « يستجز » .

ومات [1] في هذه السنة العزيز بالله صاحب بجاية . وولي ابنه يحيى وكان لبني الناصر [بن علاء الناس بن حماد ببجاية والقلعة وتلك البلاد] [2] وزراء يعرفون ببني حمدون [توارثوا وزارتهم . منهم ميمون بن حمدون [2]] عند يحيى هذا ، فنشأ ليحيى ولد ، فولاه الأمر بعده ، وفوض الأمر إليه في حياته ، فجعل الولد يستنقص [الوزير] [2] ميمونا ويقبح أفعاله ويسميه « الشيخ الكذاب » ، فخاف
[40 أ] منه ميمون على نفسه ، فجعل يخاطب الإمام « أمير المؤمنين أبا محمد عبد المؤمن ابن علي رضي الله تعالى عنه .

باب أخبار سنة تسع عشرة وخمسمائة :

في أخبار الموحدين :

فمن ذلك ظهور أبي محمد البشير :

قال اليسع :

لما كان عام تسعة عشر وخمسمائة خرج الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إلى الناس ، فقال له : تعلمون هذا الشيخ البشير ؟ فقالوا له : ومن البشير ؟ قال لهم : هو الونشريشي . تعلمون [3] أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وتعرفون أنه لا يثبت على آية ، وقد جعله الله مبشراً لكم مطلعا على أسراركم ، وهو من آية الله تعالى في هذا الأمر !

فأول كراماته أنه حفظه الله القرآن ، وعلمه الركوب ، ثم استعرضه أمامهم فحفظ ، فعرضه عليهم في أربعة أيام : في كل يوم ربع ، وأجرى أمامهم حصانا أتقن ركوبه غاية الإتقان ، فاستغربوا أمره وأعجبهم وصدقوا ذلك تصديقا قويا [4] .

---

1) نقل هذا النص حتى آخر الفقرة ابن عذارى في البيان المغرب (1/309 - 310) دون أن ينسبه إلى ابن القطان .

2) إضافات يقتضيها السياق ، من البيان المغرب (الموضع المذكور في الحاشية السابقة) .

3) في الأصل : يعلمون .

4) أورد هذه القصة مع كثير من التفاصيل التي هي أشبه بحوك الأساطير منها بسرد التاريخ : ابن الأثير في الكامل (8/297) والنويري في نهاية الأرب . (ط . جاسبار ريميرو سنة 1919) ص 192 - 192) =

ثم قام الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه خطيبا فيهم ، فقال لهم :

« قال الله تعالى : ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب [1] ﴾ ، وقال سبحانه | 40 ر
وتعالى : ﴿ منهم المؤمنون وأكثرهم « الفاسقون [2] ﴾ ؛ وهذا البشير مطلع على الأنفس مُحدّث ، والنبى صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول « إن فى أمتى محدثين ، وإن عمر منهم [3] » ؛ وقد صحبنا أقوام أطلعه الله تعالى على ما في نفوسهم من النفاق ، ولابد من النظر فى أمورهم حتى يتم المراد من العدل في أحكام هذه البلاد » .

فقالوا له :

– ما أمرت يمتثل !

فنودى في الناس في جبل المصامدة المطيعين : من كان مطيعا لله تعالى ولرسوله ﷺ وللإمام المهدي رضى الله تعالى [عنه] [4] فليقبل !

فكانوا يأتون قبائل قبائل [5] ، فيعرضون على البشير ، فيخرج قوما عن يمينه وقوما [6] عن يساره ، فكل من أخرجه عن يمينه يزعم أنه من أهل الجنة ، وما خرج عن يساره ، إلا شاكٌ [7] فى الأمر وفى الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه .

= وانظر كذلك أويثى : الخرافة والتاريخ فيما كتب عن نشأة الدولة الموحدية (وهو الملحق الأول من ملاحق كتابه « تاريخ الدولة الموحدية ») 2/595 - 596 .

1) سورة الأنفال ، آية رقم 37 .

2) سورة آل عمران ، آية رقم 110 .

3) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم في باب فضائل عمر (رضه) (8/115) على هذه الصورة : « قد كان يكون فى الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم » ؛ وفسر ابن وهب لفظ « المحدث » هنا بأنه الملهم ، وقال القسطلاني إن المحدث هو الذي يلقي في روعه الشيء قبل الإعلام به أو يجرى الصواب على لسانه من غير قصد .

4) زيادة يقتضيها السياق .

5) في الأصل : قبائلا قبائلا .

6) في الأصل : قوم .... وقوم .

7) في الأصل : شاكا .

واتفقت له فيهم عجائب : منها أنه يؤتى برجل ، فيقول : ردوا هذا على اليمين ، فإنه تائب ، وقد كان قبل كافراً بهذا الأمر ، ثم أحدث البارحة أو اليوم توبة ! فيقول الرجل : كل ما حدث به الإمام فهو حق ! ويطلق أهل اليسار ، وهم يعلمون أنه ليس لهم إلا القتال ، فلا يفر منهم أحد . وكان إذا اجتمع منه كثير قتلهم « قراباتهم : يقتل الأب ابنه والابن أباه والأخ أخاه [1] . [50 أ]

....

أخبار سنة (522)

[11 ب] .... « وفيها استرعي علي بن يوسف البيعة لابنه سير [2] ، فعقدت له البيعة بقرطبة .

---

(1) عن هذا « التمييز » أو التطهير الذي اضطلع به البشير انظر ابن الأثير والنويرى (في الموضعين اللذين سلفت الإشارة إليهما من قبل) ؛ والبيذق : أخبار المهدي ص 78 ؛ وابن خلدون : العبر 228/6 ؛ والسلاوي : الاستقصا 86/2 - 87 .

(2) سير بن علي بن يوسف بن تاشفين ، من أبناء السلطان المرابطي علي بن يوسف ، وقد عقد له أبوه بولاية العهد في يوم الجمعة 14 جمادى الأولى سنة 522 (15 يونيه 1128) كما نص على ذلك ابن عذاري في البيان المغرب (القسم المرابطي ص 78 - 79 وعبد الملك بن موسى الوراق في كتاب المقباس حسبما نقل عنه ابن الخطيب في الإحاطة (ط . عنان) 446/1 - 447 ، وعهد علي بن يوسف في نفس الوقت إلى ابنه تاشفين بحكم الأندلس ، فكبر ذلك على سير وفاوض أباه في عزله لما اشتعل في نفسه من حسد لأخيه تاشفين بسبب ثناء الناس عليه ، فلم يسع أباه إلا أن عزل تاشفين عن الأندلس وأمره بالوصول إلى حضرته ، فرحل هذا إلى مراكش في أواسط سنة 531 ، وصار في جملة من يتصرف بأمر أخيه سير ويقف ببابه كأحد حجابه . وقد بقي سير ولياً للعهد منذ سنة 522 حتى وفاته سنة 533 « على الصورة القبيحة » كما يقول ابن الخطيب ، وهي الصورة التي سوف يصفها ابن القطان عند الحديث عن موته في أخبار سنة 533 ، ويتفق مع هذا ما يذكره فرانسيسكو كوديرا في بحثه عن « بني تاشفين » في كتاب « أبحاث نقدية حول التاريخ الأندلسي » (المجلد التاسع – سرقسطة سنة 1899) ص 119 - 120 حيث يصف مجموعة من النقود المرابطية ضربت في مراكش والمرية وإشبيلية منصوصا فيها على « سير ولي العهد » (وانظر عن سير بن علي مقالنا « وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين » ص 132 - 133 والمراجع المذكورة في هذا الموضع) .

وفيها عزل علي ولده أبا بكر [1] عن إشبلية [2] ، وغربه مكبولا إلى الصحراء لأمر نسب إليه ، لأنه لم يرض بيعة أخيه ، وولى مكانه بإشبيلية أجداى [3] ،

---

1) أبو بكر بن علي بن يوسف ، هو أكبر أبناء السلطان المرابطي ، ولد سنة 493 (1099 1100) ، و كان يلقب بيكور (صيغة تصغير « أبي بكر ») وكذلك بكو ، ونشأ بالأندلس كما جرت عادة علي بن يوسف في تنشئة أبنائه ، فدرج في إشبيلية وقام على رعايته وتأديبه الطبيب الأندلسي المشهور أبو مروان ابن زهر ، ولكنه لم يكن منصرفا إلى التحصيل بل كان كثير التشغيب والتضريب كما نستدل من رسالة من أبيه إليه (نشر هذه الرسالة الدكتور حسين مؤنس : سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، سنة 1954 ص 68 - 70) ، ويبدو أن أول منصب رسمي عهد به إليه كان حكم إشبيلية في ذي الحجة سنة 517 (يناير - فبراير 1124) ، وإن كان لم يضطلع به بالفعل إلا في شهر المحرم سنة 518 (فبراير مارس 1124) ؛ وكان مما قام به أثناء حكومته لإشبيلية تعقبه لألفونسو المحارب حينما قاد حملته الطويلة التي اخترق فيها بلاد الأندلس في سنة 519 (1125 - 1126) ، وقد أسند إليه أبوه بعد ذلك قيادة جيوش الأندلس في 27 صفر سنة 520 (24 مارس 1126) ؛ ويذكر ابن الأبار من غرواته حملته إلى كوليه في جمادى الأخرة سنة 522 (التكملة ط . كوديرا ص 87 ، الترجمة رقم 289) ، أما عزله عن إشبيلية الذي يشير إليه ابن القطان في هذا النص فإنه كان في رجب سنة 522 (يوليه 1128) بسبب تصريحه بالتذمر والضيق من تعيين أخيه سير وليا للعهد ، ولعله كان يرى نفسه أحق بذلك لأنه أكبر إخوته . فنفي إلى الصحراء (صحراء المغرب) كما يذكر ابن القطان ، ويبدو أن أباه رضي بعد ذلك عنه إذ نرى أنه قد عهد إليه بقيادة بعض جيوش المرابطين في قتال الموحدين ، وفي سنة 533 يتوفى سير بن علي ولي العهد فيعهد علي بن يوسف بالأمر إلى تاشفين ، ويعود أبو بكر إلى الاحتجاج والسخط . حتى إذا ضاق به أبوه أمر بإخراجه من مراكش وحمله إلى الجزيرة الخضراء ليسجن بها ، ويقول ابن عذارى إنه وصل إلى الجزيرة مريضا فلم تطل مدة محبسه هنا إلى أن هلك (انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 130 - 139 ؛ وأويثي : علي بن يوسف وأعماله بالأندلس ص 102 ، 108 ؛ وانظر كذلك ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الموحدي - ط . بيروت ص 30) .

2) كذا ، ويكتب هذا الاسم عادة « إشبيلية » ، على أن كتابة هذا الاسم بغير ياء - كما جاء في الأصل - كان شائعا فى عامية الأندلس كما ينص على ذلك ابن هشام اللخمي في « لحن العامة » : « ويقولون ببعض بلاد الأندلس إشبلية ، والصواب إشبيلية ، وكذلك عربتها العرب ، وكان اسمها قبل ذلك أشبانية » (انظر هذا النص و تعليق الدكتور عبد العزيز الأهواني عليه في مقاله « ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة » مجلة معهد المخطوطات العربية مايو سنة 1957 ص 143) .

3) لسنا نعرف على وجه التحقيق من هو « أجداي » هذا ، وقد ذكر أويثي في مقاله عن « علي بن يوسف ... » أنه هو المسمى بعبد الله بن أبي بكر سير اللمتوني (ص 102 - 103 ، 112) ، ثم ذكر -

فنهض من قرطبة إلى إشبيلية ، واستخلف على قرطبة أبا زيد تيكلمت [1]

| 34 أ | وفيها ولى [قضاء] قرطبة [أبو] عبد الله محمد * بن أصبغ [2] ؛ وقدم أبو الوليد بن رشد [3] إلى مراكش على عليّ بن يوسف ، وأشار عليه ببناء سور

— مرة أخرى في نفس المقال أنه عبد الله بن عمر بن سير اللمتوني (ص 107 - 108 ، 111) ؛ هذا والذي نعرفه من القائمة التي أوردها ابن عذارى لولاة إشبيلية في « البيان المغرب » (القسم المرابطي) (ص 106) أن الذي خلف أبا بكر بن علي بن يوسف على حكم إشبيلية هو عمر بن سير وظل عليها ما بين شعبان وذي القعدة سنة 522 (أغسطس ديسمبر 1128) . انظر مقال أويثي السالف الذكر ص 108 ؛ ويرى هذا الباحث أن حكم أجداي للمدينة ربما كان بصفة مؤقتة قبل ولاية عمر بن سير المذكور .

1) ذكر أويثي في مقاله المشار إليه (ص 111) أن أبا زيد هذا قتل في سنة 524 (1129 - 1130) في خلال معركة مع النصارى على الأرجح ، وأن حكمه لقرطبة كان لفترة قصيرة على أية حال ، إذ أن ابن القطان هو المؤرخ الوحيد الذي يشير إلى ولايته .

2) فى الأصل : « وفيها ولى قرطبة عبد الله بن محمد بن أصبغ » ، والنص على هذه الصورة يوقع فى الخطأ مما حملنا على إصلاحه على ما أثبتنا ، فالذي نعرفه من سائر المراجع التاريخية أنه لم يل ولاية قرطبة أحد يحمل هذا الاسم فى السنة المذكورة ، وإنما نعرف أن من بين من ولوا قضاء الجماعة بقرطبة أبا عبد الله محمد بن أصبغ الأزدى القرطبي المعروف باسم ابن المناصف ، ولد سنة 474 ، وولى خطة المظالم بقرطبة مع شيخه أبى الوليد ابن رشد ، وكان هذا يستحضره فى مشايخ أهل الشورى ، ثم ولى قضاء الجماعة مدة طويلة ، وصرف بعد ذلك عنه ، ففرغ إلى التدريس وولى الصلاة بالمسجد الجامع ، وتوفى سنة 536 وقد جاوز الستين (انظر فى ترجمة : الضبي : بغية الملتمس ترجمة 51 ؛ ابن الأبار : معجم أصحاب أبى على الصدفي ، ترجمة 118 ؛ ابن سعيد : المغرب 163/1 ؛ ابن بشكوال : الصلة رقم 1288) .

هذا ويدلنا على صواب ما رجحنا أن ابن القطان نفسه سيذكر فى أخبار سنة 528 أن فيها عزل علي ابن يوسف « أبا عبد الله بن أصبغ » عن القضاء بقرطبة ؛ وقد انخدع بنص ابن القطان الأستاذ أويثى فعده من ولاة قرطبة فى هذه السنة (انظر مقاله عن على بن يوسف ... ص 111) .

3) هو الفقيه المشهور أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، ولد بقرطبة فى سنة 450 ، وولى قضاء الجماعة فى قرطبة سنة 511 وبقى فى هذا المنصب حتى سنة 513 أو 515 إذ استعفى من القضاء لكى يتفرغ لتأليف كتابه الكبير « البيان والتحصيل » . وكانت وفاته فى الحادي عشر من ذي القعدة سنة 520 . (انظر في ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 1270 ؛ الضبي : بغية الملتمس ، ترجمة 24 ؛ ابن فرحون : الديباج المذهب ص 278 - 279 ؛ النباهي : المرقبة العليا ص 98 - 99 ؛ وانظر كذلك بروكلمان : تاريخ الأدب العربي 384/1 . والذيل 662/1 .

مراكش ، وقال له : لا يحل لك سكنى هذه المدينة دون سور ، فبناه وأنفق في بنائه نحو سبعين ألف دينار [1] .

وفيها مات ابن الوراق السرقسطي [2] ، وابن يربوع المحدث [3] ، وأبو بكر ابن ناصر [4] .

والعباسي في هذه السنة المسترشد كما كان ، وبإفريقية حسن بن علي ، وبمصر الآمر .

* * *

1) من الواضح أن ابن القطان قد وهم هنا إذ جعل رحلة ابن رشد إلى مراكش في سنة 522 بينما نعرف أنه توفي قبل ذلك بسنتين ، ويبدو أن ابن القطان قد اعتمد في هذا التاريخ على أبي مروان الوراق في كتاب « المقباس » إذ أن هذا المؤرخ هو الذي أوحي في كلامه عن بناء سور مراكش بأن رحلة ابن رشد كانت في سنة 522 ولو أنه لا ينص على ذلك صراحة (انظر ما نقله عن الوراق في ذلك صاحب كتاب « مفاخر البربر » ص 53) ، وقد تابع ابن القطان على ذلك ابن عذري في البيان المغرب (310/1) ولو أنه لا ينص على نقله عنه والصحيح أن رحلة ابن رشد إلى مراكش ونصحه لعلي بن يوسف ببناء سورها إنما كانا في أواخر سنة 519 على أثر الغزوة التي قام بها ابن رذمير (ألفونسو المحارب ملك أرغن) واخترق فيها الأندلس من شمالها إلى جنوبها . وقد نص على هذا التاريخ صاحب الحلل الموشية (ص 97) ، وقد كانت وفاة ابن رشد بعد رجوعه إلى قرطبة من تلك الرحلة بنحو خمسة شهور (انظر ترجمة أويثي الإسبانية لنص « الحلل » ص 116 ، وكذلك مقالنا « وثائق تاريخية جديدة ... » ص 124 - 126) .

2) في الأصل : « ابن الوراق والسرقسطي » مما يوحي بأنهما شخصيتان مختلفتان والواقع أن الإشارة هنا إلى أبي المطرف عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمي السرقسطي المعروف بابن الوراق ، أقرأ الناس بالمسجد الجامع بقرطبة وتولى الصلاة فيه ، وكانت وفاته في الخامس من صفر سنة 522 ، وكان مولده في سنة 442 (انظر ترجمته في ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 750) .

3) هو المحدث المشهور أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يربوع ، أصله من شنترين ، ويعتبر في عداد أهل إشبيلية ، وسكن قرطبة ، وكان بصيراً بالحديث والرجال والتعديل والتجريح ، وتوفي في التاسع من صفر سنة 522 ، وولد في سنة 444 (انظر ترجمته في الصلة ، رقم 644 ، وابن الأبار : معجم أصحاب أبي علي الصدفي ، رقم 191) .

4) لم نهتد إلى شخصية ابن ناصر هذا .

باب
أخبار سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

كان الموحدون أعزهم الله تعالى بتينملل .

وفي هذه السنة وصل إلى علي بن يوسف خبر من مدينة بلنسية أن ابن رذمير [1] عازم على الخروج إلى بلاد المسلمين ، فخشي أن تكون حركته كالتي كانت في سنة عشرين [2] ، فقسط على الرعية سودانا يغزون في العساكر ، وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم ، يخرجون ذلك من أموالهم ، ففعلوا .

ونهضت الحشود إلى مرسية ، وقائدها يدر بن ورقاء [3] ، وقائد العساكر

---

1) يعني به ألفونسو الأول ملك أرغن Aragon المعروف بالمحارب Alfonso el Batallador ، حكم أرغون ونبرة ما بين سنتي 499 و 529 هـ . (1104 - 1134) وهو الذي استولى على سرقسطة سنة 512 (1118) من أيدي المسلمين واتخذها عاصمة لملكه ، وكان قد قام في سنة 519 - 520 بحملة جريئة على بلاد المسلمين من سرقسطة حتى وصل إلى السواحل الجنوبية الشرقية دون أن يتعرض لمقاومة تذكر .

2) يعني الحملة التي أشرنا إليها في الحاشية السابقة ، وقد فصل الحديث عنها صاحب الحلل الموشية ص 91 - 97 (والترجمة الإسبانية ص 109 - 110) وابن الخطيب : الإحاطة (ط. محب الدين الخطيب) 20/1 - 24 ؛ والإحاطة (ط. عنان) 108/1 - 114 ؛ وانظر كذلك : Dozy: Recherches..., 1 , pp. 348 - 361 ؛ وكوديرا : اضمحلال دولة المرابطين ص 13 - 16 ؛ وبوسك بيلا : المربطون ص 233 - 236 ؛ ويوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان) ص 146 - 150 ؛ ومقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 123 - 126 .

3) في الأصل : بدر بن ورقاء ، والصواب ما أثبتنا ، وهو القائد أبو عبد الله يدر بن ورقاء ، كان واليا على بلنسية في سنة 519 (1125) حينما مرت بالقرب منها جيوش ابن رذمير (ألفونسو المحارب) خلال حملته على الأندلس ، ويبدو أن عمل مرسية أضيف إليه بعد ذلك ، ويذكر ابن عذارى (الذي يسميه محمد بن يوسف يدر) أنه توفي سنة 524 وهو على عمل بلنسية (انظر مقال أويثي عن « علي بن يوسف ... » ص 113 - 114) ، وقد نص صاحب « مفاخر البربر » عليه في القائمتين اللتين أوردهما لعمال بلنسية ومرسية للمرابطين (ص 82) ، ومن بين « النصوص السياسية » التي نشرها الدكتور حسين مؤنس عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد =

كلها ابن محوز [1] ، وابن رذمير بالقُلَيْعة [2] بمقربة من جزيرة شقر ، فالتقى

— سنة 1955 ص 120 - 122) رسالة موجهة من ابن ورقاء هذا إلى القاضي ابن عبد العزيز ببلنسية يعلمه فيها باستخلاص حصن كوالية من أعمال بلنسية من أيدي النصارى ، وتاريخ الرسالة 14 من جمادي الأخرة سنة 522 ، وهذه الغزوة هي التي اشترك فيها - باعتباره قائداً عاما للجيوش المرابطية أبو بكر بن علي بن يوسف كما يفهم من نص لابن الأبار (التكملة ط. كوديرا ص 87 ، ترجمة 289) ؛ ولعل هذه الحملة هي نفسها التي يتحدث ابن القطان عنها في هذا الموضع ، وانظر كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 77/1 .

1) يرى أويثي أن ابن محوز هذا هو الذي تسميه بعض المراجع الأخرى أبا زكريا يحيى بن علي بن الحاج وأن اسم « محوز » و « مكور » و « مقوز » ليست إلا صيغا بربرية لكلمة « حاج » العربية ، وهو من عائلة بني الحاج المشهورة التي أنجبت عددا من أعظم القواد المرابطين ، وأول أفراد هذه الأسرة أبو عبد الله محمد بن سموين بن محمد بن ترجوت الذي كان ابن عم يوسف بن تاشفين وواحدا من خيرة قواده وهو الذي هزم ألفونسو السادس ملك قشتالة في معركة كنشرة Consuegra سنة 490 انظر حول هذه الواقعة تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ، مدريد 1971 ص 108 ؛ وأخوه أبو الحسن علي بن الحاج هو الذي عهد إليه بحكم غرناطة سنة 496 ، وفي سنة 497 يستشهد في ميدان القتال ضد النصارى قرب بلنسية ، ويخلفه في هذه السنة أخوه محمد على حكم غرناطة ، وفي سنة 498 يعزل عن غرناطة ويظل بعيدا عن مناصب الحكم حتى يعتلي علي بن يوسف العرش ، فيعهد إليه بولاية فاس سنة 501 ، ثم بلنسية سنة 503 ، ثم يشترك في القتال الدائر بين المرابطين وألفونسو المحارب قرب سرقسطه ، ويستشهد هناك في سنة 503 ابنه يحيى وعن هذه الوقعة تحدث ابن الأبار عرضا في ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن حيوة الأنصاري ، إذ قال إنه توفي شهيداً بسرقسطه في « الكائنة على أبي عبد الله ابن الحاج اللمتوني بها سنة 503 » وتسمى سنة المرج . (انظر التكملة لابن الأبار ، ط . كوديرا ، الترجمة 1572 ص 554) ، وفي سنة 508 يشترك في معركة البورت Congost de Martorell التي هزم فيها المسلمون ، ويتوفى في السنة التالية في معركة ضد القشتاليين .

أما أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج المذكور في هذا الموضع من النص فقد أسند إليه حكم إشبيلية سنة 523 ، وفي هذه السنة يشترك في الوقعة التي انتهت بهزيمة قليبيرة Cullera التي يتحدث ابن القطان عنها هنا ، وقد كان من نتائج هذه الهزيمة أن عزل عن حكم إشبيلية ، وخلفه على ولايتها أخوه عمر في سنة 524 ، ولكنه لم يلبث أن استشهد أيضا في سنة 526 في الوقعة التي هزم فيها المسلمون أمام جيوش ألفونسو السابع ملك قشتالة . وقد أشار إلى هذه الوقعة ابن عبد الملك المراكشي في ترجمة سليمان بن جعفر الحضرمي الإشبيلي (الذيل والتكملة ، المجلد الرابع ، الترجمة 147 ص 61) إذ قال إن سليمان بن جعفر المذكور هو الذي خاطب علي بن يوسف بن تاشفين عن أهل إشبيلية يعلن باستشهاد أميرها عمر بن مقور بقتال الروم إياه في رجب سنة 526 . (انظر أويثي : علي بن يوسف ص 106 - 107) .

2) هذه الوقعة هي المعروفة باسم « قليبيرة » Cullera ، وهي قرية تقع على ساحل البحر المتوسط على مسافة بضعة كيلو مترات إلى شرق جزيرة شقر Alcira .

الجمعان هنالك ، وانهزم المسلمون ، وتبعهم العدو ، وذهب أكثر الرجالة قتلا وأسرا ، وحاز [العدو] [1] الأسلاب والأثاث والدواب ، وذهب من المسلمين ما يزيد » على اثني عشر ألفا بين قتيل وأسير ؛ وبلغ ذلك علي بن يوسف ، فغاظه [2] ، [14 ب] وأمر بالكتب إلى لمتونة [3] بالخزى ، فكتب ابنا أبي الخصال [4] عنه إليهم بكل تنكيل وخزى ؛ وكل هذا مما مهد الله تعالى به أمر الموحدين أعزهم الله تعالى .

وأغارت [5] النصارى على غَلِيرة [6] ، واكتسحت ما وجدت ، ورصد النصارى أجداي [7] صاحب قرطبة في بعض مخارجه ، فالتقوا به ، فنكب المسلمون وأصيب منهم جملة ، وعزل أجداي عن إشبيلية ، ووليها يحيى بن بكون [8] ؛ وعزل تميم [9]

---

1) زيادة يقتضيها السياق .

2) في الأصل : فغاصه .

3) في الأصل : لمتون .

4) في الأصل : أبناء أبي الخصال ، وإنما المقصودان هما أبو عبد الله محمد وأبو مروان عبد الملك ابنا مسعود الغافقيان الشقوريان وكانا من أعظم كتاب الدولة المرابطية حتى وقع منهما أو من أحدهما ما أوجب غضب علي بن يوسف عليهما وإقصاءهما بسبب تلك الرسالة التي يشير إليها ابن القطان هنا ، وتوفي أبو مروان بمراكش سنة 539 ، وأما أبو عبد الله فكانت وفاته بقرطبة في السنة التالية (انظر مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 118 - 119) . هذا وقد نشر الدكتور حسين مؤنس نص الرسالة التي كتبها أحد هذين الأخوين على لسان علي بن يوسف إلى جند بلنسية من المرابطين حينما أوقع بهم ابن رذمير تلك الهزيمة ، وفيها يعيرهم بتخاذلهم وتقاعدهم ، وقد أفحش الكاتب الأندلسي في رسالته هذه على المرابطين وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة على ما يقول عبد الواحد المراكشي في « المعجب » (ص 240 - 241) ؛ انظر « نصوص سياسية ... » ص 114 - 118 .

5) في الأصل : وغارت .

6) بالإسبانية Galera . انظر أويثي : تاريخ .. 77/1 .

7) في الأصل : أجد .

8) كذا ، ولعلها مكوز (مجوز) ، ويرى أويثي أنه أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج ، وأنه هو المذكور باسم « ابن مجوز » (انظر ما سبق أن أوردناه في الحاشية رقم 1 ص 153) .

9) هو تميم بن علي بن يوسف بن تاشفين ، ذكره ابن عذارى في حديثه عن أبناء الأمير علي بن يوسف ، وقال إنه حضر مبايعة أخيه سير بولاية العهد في قرطبة في 14 جمادى الآخرة سنة 522 ، =

عن فاس [1] ووليها عمر بن علي بن يوسف [2] .

وضرب السليطين [3] بالنصارى على جريدة [4] من الخيل تحمل الميرة إلى بعض الثغور ، فرموا الأطعمة وفروا أمامه .

وبعث علي بن يوسف ألفي دينار لإصلاح سور [5] سبتة .

وكان العباسي في هذه السنة المسترشد على ما كان عليه قبل . وكان بمصر أيضا في هذه السنة [الآمر [6]] ، وفي المهدية وبجاية الولاة الذين كانوا عليها في السنين التي قبلها حسبما تكرر ذكره .

* * *

= ولسنا نعرف عنه بعد ذلك إلا ما يذكره ابن القطان هنا من ولايته على فاس ثم عزله عنها ، ثم اشتراكه في قتال الموحدين (انظر أويثي : علي بن يوسف ... ص 105) .

1) في الأصل : قابس ، والصواب ما أثبتنا .

2) لا نعرف الكثير عن أبي حفص عمر بن علي بن يوسف المذكور هنا ، وقد ذكر ابن عذارى أنه ولي حكم غرناطة خلفا لابن عمه أبي عمر يناله ، وكان أول ما قام به هو إطلاق سراح فقهاء جيان الذين قبض عليهم سلفه عامل غرناطة ، وكان من أهم ما قام به أثناء عمله هو الاشتراك مع أخيه الأكبر أبي بكر بن علي بن يوسف في مهاجمة النصارى الذين كانوا قد استولوا على أحد حصون المسلمين ، فاستنقذ الأموات الحصن واستعرضا معا جنودهما في غرناطة ، ولكن حكمه لهذه المدينة لم يستمر إلا أربعة أشهر (من جمادى الأولى حتى رمضان سنة 522) وبعدها عزل عن غرناطة وانتقل إلى المغرب فيما يبدو (انظر البيان المغرب — القسم المرابطي — ص 75 - 77 ، 97 ، 99) ونعرف من نص ابن القطان هنا أنه عهد إليه بحكم فاس في سنة 523 ؛ كذلك نعرف من نص آخر في آخر هذا الكتاب أنه هو الذي ألحق بأخيه سير ولي العهد جراحة خطيرة إثر تسوره على داره يريد زوجته ، وذلك في آخر صفر سنة 533 ، فتوفي سير من أثر هذه الجروح .

3) في الأصل : السلطين ، وإنما المراد بالسليطين (تصغير السلطان) هو ألفونسو السابع الذي ولي عرش قشتالة في سنة 1126 بعد وفاة أمه « أراكة Urraca » بنت ألفونسو السادس وظل يحكم حتى سنة 1137 (520 - 534 هـ) ، وكان قد نصب على عرش بلاده وهو بعد صغير السن ، وربما كان هذا هو السبب في استخدام ابن القطان عند الإشارة إليه لفظ « السليطين » بالتصغير .

4) في الأصل : جليدة .

5) في الأصل : رسول .

6) إضافة يقتضيها السياق .

فوصلوا يوم الاثنين إلى أمجدار بقبلة أغمات وريكة . فوجدوا عسكر يطى وعمر بن تورجير بن يوسف زوج ابنته مريم في عساكر ، فبشر المسيح [1] بهزيمتهم فانهزموا .

ولما رأى يطى بن إسماعيل الهزيمة وثب من صهوة فرسه إلى الأرض وجلس على درقته ليرجع الناس إليه ، فأدركته الدفعة وقتل وهو على درقته .

وكانت الهزيمة من أمجدار [2] إلى فحص مراكش حرسها الله تعالى .

الهزيمة على أغمات :

[40 أ] « وخرج يوم الأربعاء جميع أهل أغمات حتى التجار ، فتنادب [3] الموحدون أعزهم الله على القتال ، وكان المدبرون لأمر الموحدين أعزهم الله تعالى ثلاثة رجال : سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين [4] ، وأبو حفص عمر بن علي أصناج [5] ، وأبو عمران موسى بن تمارا الجدميوي [6] ، رتبوا الصفوف . فكانت الهزيمة وأخذت جميع المحلات ، وقتل من أهل أغمات مقتلة عظيمة ، ومات فيها من جناوة [7] ثلاثة آلاف أسود ، ومشت الهزيمة إلى أن وصل الموحدون أعزهم الله تعالى أفراج يوسف بن وغواد ، فباتوا هنالك ليلة الخميس .

---

1) من الغريب إطلاق تسمية « المسيح » ، فلسنا نعلم أن المهدي أو أحد رجاله قد أطلق عليه هذا الاسم ، وربما كانت سهوا من الناسخ أراد به البشير المذكور قبل ذلك .

2) في الأصل : محدار ، وقد سبقت قبل ذلك بسطور على الصورة التي صححناها بها ، وذكر ابن القطان أنها تقع بقبلة أغمات وريكة أي في جنوبها ، ونظن أن هذا الموضع هو نفسه الذي ذكره البيذق باسم « مكداز » في الحديث عن الأحداث التي سبقت وقعة البحيرة (أخبار المهدي ص 78 من النص و 127 من الترجمة الفرنسية) .

3) في الأصل : فتناسبوا ، ولعل الصحيح ما أثبتنا .

4) يعني المؤمن بن علي .

5) عن عمر أصناج انظر ما سبق أن جاء في ص 126 ، حاشية رقم 4 .

6) عن موسى بن تمارا راجع ص 127 ، حاشية 1 .

7) لم يرد هذا الاسم في المصادر التاريخية أو الجغرافية الأخرى التي بين أيدينا . ومن الواضح أن المؤلف يستخدمه في الدلالة على قبيلة أو شعب من شعوب إفريقيا الغربية السوداء في المنطقة التي كان العرب يعرفونها بغانة ، ولعله يقصد به ما يدعى اليوم بـ« غينيا » .

هزيمة علي بن يوسف :

وأصبح الموحدون أعزهم الله تعالى يوم الخميس على باب الشريعة ، فخرجت إليهم العامة أجمعون بنشاط وعزم بغير سلاح ، وبرز علي بن يوسف بعساكره .

فلما رأى السوقة بغير سلاح نودي فيهم أن ارجعوا ليأخذوا السلاح ، فكان رجوعهم شبها بالهزيمة ، فخرج الموحدون أعزهم الله تعالى على بقية ذلك من دارة لهم كانوا صنعوها - تلك الدارة - بحمى [1] ، ودفع الموحدون أعزهم الله تعالى في أثر العامة دفعة واحدة ، فكانت الهزيمة إلى باب الشريعة [2] ، وتضايق الناس في الباب ، فمات أكثر الناس في الزحام وكثر القتل فيهم ، فدهش علي بن يوسف وحار حتى لقال له بعض الناس ممن [كان معه] [3] : يا مرابط ، سر من هنا ! - إلى أحد الأبواب حيث لا زحام - ، ولم يرد أن يسميه لئلا يعلم به ، ففر ودخل على باب المخزن [4] .

| 40 وكان يوما عظيما ، فمشى الموحدون أعزهم * الله تعالى إلى بحيرة الرقائق أمام باب الدباغين [5] وباب أيلان [6] ، فأخذوا مروسهم [7] فيها .

---

1) كذا ، ولعله يعنى أنهم للتحصن والاحتماء بها .

2) هو الباب الذي يعرف اليوم باسم « باب الخميس » .

3) إضافة يقتضيها السياق .

4) هو المعروف اليوم باسم « باب الأحمر » .

5) في الأصل : الزناعين ، والصواب ما أثبتنا ، وقد أشار إليه البيذق (أخبار المهدي ص 104) ، ويسمى اليوم « باب الدباغ » .

6) احتفظ هذا الباب باسمه القديم حتى اليوم : باب أيلان (أي أغمات أيلان) .

7) كـذا .

أربعون هزيمة على مراكش
وذكر يوم البحيرة

وتمادى الحصار على مراكش حرسها الله تعالى مدة من أربعين يوما يقاتلونهم في كل يوم منها أشد قتال ، يحمل الواحد من الموحدين أعزهم الله تعالى على العشرة من الملثمين فيهزمهم ، وسيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه في هذه الأيام يتقدم أمامهم لبسالته ، ويهزم الأبطال لحماسته ، والسعد يقدمه ، والنصر يخدمه ، وعلي بن يوسف يحشر عساكره من جميع الأقطار ، ويستوفد من بالأندلس منهم وفي جزائر البحار ، والعساكر تصل إليه كل يوم ، إلى أن وصله وانودين بن سير [1] بعسكر سجلماسة ، فانكسر إلى باب الدباغين ، ووصل عسكر القبلة ، فلم يدخلوا مراكش ، وباتوا في أخبيتهم بخارج باب أغمات ، فعرض عليهم الدخول ، فامتنعوا إلا معالجة الحرب ، فغلس الفريقان مبكرين على سروجهم وتعبيتهم .

فكانت المدافعات بينهم على رؤوس العيون من سواقي الرقائق فاستشهد من استشهد « من الموحدين ، وانحاز باقيهم إلى التمنع بداخل البحيرة . [41 أ]

وإن حفيرا من تلك السواقي خندقا عظيما مغاره في السعة ثلاثون ذراعا اعترض لسيدنا الخليفة الأول رضي الله تعالى عنه في طريقه ، فوثب به فرسه — وكان فرسا أخضر — فعجب الموحدون أعزهم الله تعالى لسعة الخندق وقوة الوثبة وثبات سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه على السرج ، وقيل إنه أعاد ذلك ثانية كذلك .

---

1) في الأصل : وايدين ... ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وربما كان وانودين بن سير هذا هو نفسه الذي ذكره ابن عذارى في البيان المغرب (الجزء الرابع - ط. تطوان 1960) ص 215 وطبعة بيروت الأخيرة - قسم الموحدين ص 239 ؛ وقد قال ابن عذارى عنه إنه كان أول وال على جزيرة ميورقة بعد استنقاذها من أيدي القراصنة البيزيين والجنويين والقطلانيين سنة 509 ، إلا أنه لم يبق بها إلا ثلاثة أشهر (انظر كذلك مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 161) .

وكانت الحرب في البحيرة إلى أن جمع الناس بين صلاة الظهر والعصر ، وصلوا صلاة الخوف ، فقال علي بن يوسف لما رأى الموحدين أعزهم الله تعالى يصلون صلاة العصر بعد الهزيمة في البحيرة : إن هذا لعجب : غلِبُوا فصلوا ، وغلبْناهُمْ فعطلناها ! ما أظن هؤلاء إلا على الحق ! . وقد كان الموحدون أعزهم الله محافظين على الصلوات في أوقاتها وعلى شروطها .

وكانت هذه الكائنة على الموحدين أعزهم الله تعالى يوم السبت الثاني من جمادى الأولى عام أربعة وعشرين وخمسمائة [1] في قول المؤرخين كلهم إلا اليسع ، فقد تقدم قوله [2] ، وما أراه إلا وهما .

وفقد البشير وجماعة من أهل الجماعة ، وحمل أبو حفص عمر بن يحيى [3] جريحا على الأعناق ، فلما جن الليل تداول الناس جرحاهم ودفنوا من أمكنهم دفنه ، وأردف الناس بعضهم بعضا ، وتعاونوا ورحلوا .

وكان من لطف الله تعالى أن جاءت [4] السماء بمطر وابل فى عشى ذلك اليوم فانكفأ له « المجسمون إلى ديارهم ليعاودوا [5] القتال بعد ذهاب كللهم ، | [41 ظ] وتخلص أمير المؤمنين رضي الله عنه مع الصابرين الباقين من أصحابه ، وأمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه يتقدمهم ، ودفعوا على من كان وثب عليهم من الملثمين ، فانهزموا أمامهم ، وخلوا لهم عن الطريق .

---

1) يقابل هذا التاريخ 13 أبريل سنة 1130 م. ، على أن الباحث الأستاذ أويثى يرى أن هذا التاريخ لا يطابق ما ذكره أبو بكر البيذق فى كتاب أخبار المهدي حول هذه الموقعة ، ورأى البيذق له قيمته الكبرى إذ أنه قد اشترك فى المعركة بنفسه ، وقد ساق أويثى حججه على رأيه ، وانتهى إلى أنه يمكن التوفيق بين ما ذكره المؤرخان إذا صحح ما يقول ابن القطان على أساس جعل تاريخه « الثاني عشر من جمادي الأخرة ، لا الأولى أي 13 مايو سنة 1130 ، وقد كان يوم السبت أيضا (انظر تاريخ الدولة الموحدية 83/1 84) .

2) لم يتقدم هذا القول فيما بين يدينا من المخطوط ، ولعله ذهب فى أحد الخروم الكثيرة التي ذهبت ببعض أوراقه .

3) هو عمر إينتى (الهنتاني) الذي تكرر ذكره غير مرة .

4) قد تكون أيضا : جادت .

5) فى الأصل : ليعادوا ، وقد تكون أيضا : ليغادوا .

ولقد حكى السيد الأجل أبو علي الحسن بن أمير المؤمنين [1] رضي الله تعالى عنه قال :

سمعت أبي رضي الله تعالى عنه يقول :

كان يوم البحيرة فارس من فرسان الموحدين ، يحمل على الملثمين فيرمونه بالنبال ، فيحميه الله تعالى من السهام ، فتصيب الرمح الذي بيده حتى يرجع رمحه مثل القنفذ من السهام .

قال :

وكان يفهمنا أنه رضي الله تعالى عنه ذلك الرجل .

وقعة بجهة أغمات :

وساروا حتى إذا كانوا بحومة أغمات لحقهم الطلب ؛ فروى عن سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه أنه قال :

لما ضيقوا علينا واضطررنا إلى الدفاع كان معي عبد الله بن يعلى بن ملوية ، فانقسمنا قسمين : أنا في قسم ، وهو في قسم ، والملثمون قد ألحوا [2] في اتباعنا ، فقال لى عبد الله بن يعلى : كن أنت واصحابك في اليمين واضرب فيهم ! ففعلنا ذلك ، فانهزم الملثمون في الحين إلى باب مراكش فكان عاقبة عبد الله ما اختاره لنفسه أنه من أصحاب الشمال ! [3]

---

1) سنورد ترجمة الحسن بن عبد المؤمن هذا عند الحديث عن أبناء هذا الخليفة الموحدي .

2) في الأصل : لقد لحوا .

3) يعني بذلك خروج ابن ملوية – وكان أحد أهل الجماعة العشرة – على دعوة الموحدين أو « ارتداده » عند إعلان خلافة عبد المؤمن بن علي ، وكان قد انضم إلى صفوف المرابطين حينئذ ونهض إلى تينملل ليهدمها ، فقام عليه بعض زعماء جنفيسة وقتلوه وصلبوه بتينملل سنة 527 (انظر ما سبق أن كتبناه عنه في الحاشية رقم 1 ص 128) .

ولما وصل الموحدون أعزهم الله تعالى إلى جبل هزرجة وهي بلاد 1
الشيخ أبي ابرهيم [1] عين سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه خمسين رجلا محتسبا ، وأمرهم أن يسبقوا إلى الفج ، وكان هزرجة هموا بالغدر ، وخاف أن يسبقوا إليه ، فسبق المحتسبون إليه ، وسلموا من عدوهم ، فلقوا به عسكرا من الغزاة قد بعثهم الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فساروا معهم إلى تينملل .

وكان قتل هيلانة يوم البحيرة ذريعا : مات منهم زهاء اثنى عشر [2] ألفا ، لأنهم كانوا قد حشدهم الموحدون أعزهم الله تعالى ، وأوعبوا في الحشد ، فعملوا الهزيمة يومئذ . وكانوا أول منهزم لأبي عمروس من بلادهم ، فتبعهم المجسمون ، فأوعبوا قتلهم .

واستشهد يوم البحيرة نصف أهل الجماعة ، وسلم نصفهم . فالذين سلموا : منهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه . وأبو حفص عمر بن علي ، وأبو إبرهيم ، وأبو حفص بن يحيى ، وعبد الله بن ملوية .

وكان سيدنا الخليفة قد وجه رقاصا [3] للإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما بالخبر . فوصل إليه . فاستجلاه ، وأعلمه بالحقيقة . فقال له : عاش أبو محمد عبد المؤمن ؟ قال : نعم ، قال له : كأنه لم يمت أحد [4] ! والبركة في بقائه . وكأنكم بالفتح !

وصادف الموحدون أعزهم الله تعالى الامام المهدي رضي الله تعالى عنه عند
وصولهم إليه مريضا . فلم يعش بعدها إلا أياما قلائل . 12

1) يعني أبا ابرهيم اسماعيل بن يسلاتي الهزرجي أحد أهل الجماعة العشرة (انظر ص 126 حاشية 3) .

2) في الأصل : أثنا عشر .

3) الرقاص في الاصطلاح الأندلسي والمغربي هو حامل البريد ؛ وقد ذكر البيذق في كتابه (أخبار المهدي ص 79) إنه هو نفسه كان الذي أبلغ خبر هزيمة البحيرة إلى ابن تومرت (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 547/1) .

4) في الأصل : أحدا .

وقيعة انهزم فيها الملثمون :

ذكر البيذق أنها كانت بعد البحيرة وقيعة مع لمتونة ، وهم في أربعة جيوش يقدمها أربعة من صناديدهم [1] ، فاقتتلوا بموضع يقال له « أيجران بني توكريت » [2] ، فلما رأوا ما لا يطيقون رجعوا إلى مراكش ، ورجع الموحدون أعزهم الله تعالى إلى تينملل ، وهذا في حياة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، وميزهم الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، وكتب اسم عمر أصناج بعد اسمه ، وجعل رسمه عقيب رسمه .

....

[90 أ] « قال اليسع :

.... [فقال ابن هَمُشْك :] [3] تأمرني أن أجمع ثلاثمائة فارس وأخرج إليهم ؟ قال [علي بن يوسف :] نعم !

فصعد ابن هَمُشْك [4] على باب أيلان ، وأخرج جملة من أصحابه يقاتلون أمامه لينظر أحوالهم في قتالهم ، فرآهم بخفتهم يدخلون تحت ظل الفناء ،

---

1) الخبر بالتفصيل في كتاب البيذق (أخبار المهدي ص 79 - 80) ، وقد ذكر أسماء قواد هذه الجيوش المرابطية الأربعة ، وهم سير بن واربيل ومسعود بن ورتيغ ويحيى بن مير ويحيى بن كانجان .

2) يسمي البيذق هذا الموضع « إيجر متاع بني كوريت » .

3) لم يترك الناسخ هنا فراغا إلا أنه من الواضح ان عدة سطور قد سقطت من هذا الموضع مما حملنا على إضافة ما وضعناه بين حاصرتين ، على أن هذا النص كان من بين ما نقله عن اليسع صاحب « الحلل الموشية » دون أن يشير إلى مصدره ، ومؤدي النص هنالك (الحلل الموشية ص 114 - 115) أن الموحدين سيروا الحصار قبل معركة البحيرة أربعين يوما على مراكش كان يتوالى خلالها القتال ، وكان في جيش علي ابن يوسف رجل من أهل ثغور الأندلس يدعى عبد الله بن همشك ، فلما اشتد الأمر على علي بن يوسف من أجل الحصار طلب إليه ابن همشك أن يأذن له في الخروج إلى الموحدين بثلاثمائة فارس من أصحابه ... الخ .

4) ضبط الأستاذ أويثي هذا اللفظ « همشك » بفتح الهاء والشين وسكون الميم (انظر تاريخ الدولة الموحدية 81/1 ، وترجمته للحلل الموشية ص 118 ، حاشية رقم 1 حيث يذكر أن ضبطه لهذا الاسم على هذه الصورة إنما نوجاه وقصد إليه بعد أن رآه مضبوطا هكذا في مخطوطة « نظم الجمان ») ، =

فنزل وأمر الخارجين معه إليهم أن يردوا أرماحهم من ستة أذر ع ، وبرز أول النهار إليهم ، فما انصرف حتى أدخل المدينة نحوا من ثلاثمائة رأس ، ففر الناس .

وأمر علي بن يوسف بالخروج إليهم ، فالتقوا ، وانهزم الموحدون أعزهم الله تعالى ، وقتل منهم نحو من أربعين ألفا ، ولم يسلم منهم إلا أربعمائة بين فارس وراجل . فظهر أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن رضي الله تعالى عنه في هذا اليوم ظهوراً عظيماً ، وأغنى غناء بينا ، وذب عن المنهزمين ، وحمى المفلولين إلى أن جن الليل ، وكان الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في هذه الأحوال لا يسافر إلا أن يبعث البعوث .

ولما جن الليل انصرف الموحدون أعزهم الله تعالى ، ولحقوا بالجبل فلما سمع الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه بهزيمتهم قال : إذا عاش عبد المؤمن بقي الأمر وظهر .

وفى * « البحيرة » فقد البشير ، ولم يجده الموحدون ولا الملثمون حيا ولا ميتا ، | ٦١١ ب
فيقول الغلاة في أمره إنه رفع ! [1]

= وقد تبع أويثي على ذلك الأستاذ بوسك بيلا في كتابه عن « المرابطين » (ص 218 - 219) ؛ وإنما الصواب في ضبط الاسم هو فتح الهاء وضم الميم وسكون الشين ، أما مخطوطة « نظم الجمان » فلا يعتد بضبط ناسخها ، إذ أنه دائما حافل بالأخطاء مما لا يجعل لنا معولا عليه بأية صورة ، ويدل على صواب ما ذكرنا فى ضبط هذا الاسم ذلك البيت الذي رواه ابن الأبار للشاعر أبي بكر اليعمري الوبذي فى هجاء ابراهيم بن همشك (المقتضب من تحفة القادم بتحقيق الأستاذ ابراهيم الابياري ص 77) :

هَمُشْكٌ ضم من حرفيـ ـن : من هم ومن شك

إذ لا يستقيم ضبط أويثي مع سلامة وزن البيت . أما عبد الله بن همشك فلم توافنا عنه المراجع بما يشفي الغلة ، وكل ما نعلمه هو أنه ينبغي أن يكون من هذه العائلة الأندلسية المسيحية الأصل والتي كان من أبرز رجالها ابراهيم بن همشك صهر أمير مرسية محمد بن سعد بن مردنيش (انظر عنه ابن الأبار فى الموضع المذكور قبل ذلك ، وابن الخطيب : أعمال الاعلام ص 260 - 263 ، والإحاطة (ط. عنان) 296/1 - 303 . وابن عذارى : البيان المغرب — القسم الموحدي (طبعة بيروت) ص 67 ، 69 ، 73 - 78 ، 108 - 112 .

1) عن معركة البحيرة انظر كذلك : البيذق : أخبار المهدي ص 78 - 79 ؛ الحلل الموشية ص 114 - 116 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 14 - 15 ؛ ابن الأثير : الكامل 289/8 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان 53/5 ؛ نهاية الأرب (ط . جاسبار رميرو) ص 192 - 193 ؛ ابن خلدون : العبر 228/6 - 229 ؛ السلاوي : الاستقصا 86/2 - 88 .

فلما انصرفوا إلى تينملل بعد الهزيمة اشتدت عليهم الأحوال .

وقال ابن الراعي :

خرج الموحدون أعزهم الله تعالى عام البحيرة حتى نزلوا بظاهر أغمات بالموضع المسمى « أمجدار » [1] ، وأقاموا هنالك أربعين يوما ، واتصل بهم بكور بن علي بن يوسف [2] بشرذمته وشوكته ؛ ففتح الله تعالى لأوليائه الموحدين وهزموهم واتبعوهم بالسيف والسلب إلى مراكش .

وقال غيره :

هزم بكو ويطي بن إسماعيل ، فخرج علي بن يوسف بشرذمته وشوكته ، ففتح الله تعالى لأوليائه الموحدين إلى باب المدينة ؛ ودخل علي بن يوسف على باب دكالة ، ورجع بقية المنهزمين من واد أم ربيع فحلق علي بن يوسف لحاهم .

وكان يوم البحيرة بعد شهر ونصف من وصولهم ؛ وبني الجامع ، وأنفق في بنائه نحو ستين ألفا ، وبنى صومعته نحو الثلث ، وتركها تتقعد ، ثم أتم بناءها سنة سبعة وعشرين .

والعباسي فى هذه السنة هو المسترشد ، وبإفريقية حسن بن علي وبمصر الآمر .

---

1) في الأصل : إيجدار ، وقد سلف ذكر هذا الموضع على الصورة التي أثبتناها ، وأشرنا إلى أن الأرجح هو أن يكون هذا الموضع هو الذي يسميه البيذق (ص 78) « مجدار » .

2) كذا ورد الاسم هنا ، وقد سبق أن جاء « بكو » ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن هاتين صيغتان في اسم « أبي بكر » .

« موادعة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه للناس وإشعاره إياهم بوفاته [42 ب]

وذلك أنه لما تمادى مرضه خرج راكبا على بغلته ، وجمع الناس ليسمعهم كلامه ووداعه ، وأمر أن يكون الرجال أمامه ، والنساء خلفه ليسمع كلهم كلامه ، فقال لهم رضي الله تعالى عنه : إن المهدي مرتحل عنكم ! فبكى الناس واستوحشوا ، فقالت له أخته زينب : وإلى أين تغيب عنا ؟ ألم يكفك أن غبت عنا خمسة عشر عاما ؟ وقالوا له : إن كنت تسير إلى الشرق ونسير معك ؟ ؛ فقال إنما أسافر وحدي !

وكان وعظه رضي الله تعالى عنه ووداعه للناس من بعد العصر » إلى أن كاد [43 أ]
الشفق أن يغيب ؛ ثم التفت إلى الوقت وهو راكب ، فكبح البغلة باللجام ، ورجع إلى موضعه وصرف الناس ، وقال لهم : صلوا الصلاة في أوقاتها ، وإياكم أن تقولوا إن المهدي أخر الصلاة عن وقتها من أجل أنه قد فاتته المغرب أو كادت لاشتغاله بالوعظ ! واتصل به الألم .

وفاة الإمام المهدي رضى الله تعالى [عنه] :

توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رمضان المعظم من عام أربعة وعشرين وخمسمائة [1] ، ودفن رضي الله تعالى عنه بمدينة تينملل حرسها الله تعالى .

خاتمة لذكر دولته رضي الله تعالى عنه بذكر ما لم ينضبط بالتاريخ من أمره :

كان رضي الله تعالى عنه يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى ، ويخبرهم أن الله سبحانه فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، وفرض عليهم زكاة تؤخذ

1) يتفق معظم المؤرخين على هذا التاريخ (14/13 رمضان سنة 524 وهو يوافق أوائل أغسطس سنة 1130 م.) . وانظر حول ذلك أويثي : تاريخ 87/1 .

من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، ويأمرهم بقراءة القرآن وحفظه ولزوم الحزب [1] بعد صلاة الصبح وبعد المغرب ، وأمر المؤذنين إذا طلع الفجر أن ينادوا « أصبح والحمد لله ! » [2] إشعارا بأن الفجر قد طلع ، لإلزام الطاعة ، ولحضور الجماعة وللغدو لكل [3] ما يؤمرون به ؛ وأمر بغزو من خالف أمره ؛ وعلم الناس الحركة
| 41 ب | كيف تكون ، فأمرهم إذا عزموا على الركوب « أن ينادي مناد : الاستخارة بالله والتوكل عليه ! ، وإذا تحركوا أن يقدموا أمامهم لواء أبيض مع عدد من الرجالة يكون بينه وبين الأمير مقدار ربع ميل ، ويكون الأمير متقدما على الناس خلف اللواء المذكور في جملة من يختص به يحفون به ، ثم تتبعهم الرايات الكبار والطبول والعسكر المعروفون بالساقة ، ثم كل قبيل على ترتيب وحسن هيئة معه علاماته .

فأما رايته [4] المنصورة المتقدمة بين يديه ففي أحد وجهيها مكتوبا « الواحد الله ، محمد رسول الله ، المهدي خليفة الله » ، وفي الوجه الثاني « وما من إله إلا الله ، وما توفيقي إلا بالله ، وأفوض أمري إلى الله » .

وأما رايات الموحدين أعزهم الله تعالى وأنجدهم فإنما تفنن أمرها حين تواصلت فتوحهم بعده كما سيأتي وصفها إن شاء الله تعالى ، فأما في أيامه فإنه لما ملأت عليهم رايات لمتونة الفحوص مختلفة الألوان قال لهم : لا تهولنكم هذه الخرق ، وارفعوا أنتم ما لديكم من الثياب ، فعن قريب تصير هذه العلامات كلهم لكم ! فرفعوا أزرهم وأكسيتهم وأرديتهم ونحو ذلك ، ثم أفاء الله تعالى عليهم علامات أعدائهم .

---

1) في الأصل : الحرب .

2) أورد ذلك أيضا السلاوي في الاستقصا (94/2) ، وقد أصبح هذا النداء شعاراً للموحدين بدليل ما يذكره ابن عذارى في البيان المغرب (القسم الموحدي – ط . بيروت ص 20) في أثناء الكلام عن حصار الموحدين لوهران : « فاجتمعوا ذات يوم في الجبل المطل على وهران ، فصاحوا صيحة واحدة بلسان واحد : أصبح والحمد لله ! ولم يكن اللمتونيون يصيحون بذلك ، فلما سمعه أهل عسكر تاشفين (بن علي بن يوسف) وقعت رجفة عظيمة ، فأمر ألا يخرج إليهم خيفة الكمين » .

3) هذه الكلمة مكررة في الأصل .

4) في الأصل : رأيته .

وأوصاهم في سفرهم إذا مروا على طريق متصل « بها زرع نكبوا عنه ودرأوا أهل الفساد عنه ، وإذا سمع صياح متظلم [1] وعى قوله وأشكى من ظالمه .

وقال رضي الله تعالى عنه :

شروط العلم تسعة ، وهي : الفراغ التام ، والبصيرة النيرة ، والسريرة الحسنة ، والهمة العالية ، والصبر الحديدي ، والاقتداء بالإمام الناصح ، واتباع السبيل الواضح ، والتأدب بأدب أهله ، وألا يبتغي به ماسوى وجه الله تعالى .

وينبغي لطالب العلم أن يقدم أربعة أشياء : أن يرغب إلى الله تعالى في الهداية إلى الحق ، وأن يكون له سريرة حسنة ، وأن يقنع بما علمه الله ، وأن يعلم أن الباب مفتوح لسائر العباد .

والأعمال لا تصلح إلا بتقديم أربعة أشياء : الحذر ، والاحتياط ، والإشفاق ، والإخلاص .

والقواطع عن العلم أربعة : الحوادث الصارفة ، واشتغال النفس ، وعدم الكفاف ، ومخالطة الناس .

آداب الصحبة ثمانية : المسالمة ، والمسامحة ، والمساعدة ، والمناصحة ، والمؤازرة ، والمواصلة ، والمحافظة ، والمكارمة .

وكان دعاؤه رضي الله تعالى عنه :

اللهم أعنا على طاعتك ، وأتمم علينا نعمتك ، وزدنا من فضلك وإحسانك ، وثبتنا على دينك ، حتى نلقاك وأنت راض عنا برحمتك يا أرحم الراحمين [2] .

---

1) في الأصل : متكلم .

2) نقل هذه الفقرة من دعاء المهدي صاحب الحلل الموشية ص 118 - 119 ، وانظر كذلك ترجمة أوبثي الإسبانية ص 142 - 143 .

اللهم وفقنا ولا تخذلنا ، واهدنا إلى الخير ولا تخيبنا ، ووفقنا لما تحب وترضى

[٤٠ ب] حيثما كنا ، وأعنا على القيام بحقك ، وحفظ أماناتك ، « ورعاية عهدك ، بفضلك يارب العالمين .

اللهم تعلم ذنوبنا كلها فاغفرها ، وتعلم عيوبنا كلها فاسترها ، وتعلم حوائجنا كلها فاقضها ، وتعلم أعداءنا فاكفنا إياهم ، كفى بك وليا ، وكفى بك نصيراً .

اللهم إن نواصينا بيدك لم تملكنا منها شيئا ، فكما فعلت ذلك بنا فكن أنت ولينا ومولانا ، واهدنا إلى سواء السبيل ، إنك نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين .

ذكر الفترة التي تلت وفاته بكتمان موته رضي الله تعالى عنه عن الجمهور ، والبيعة الخاصة لسيدنا ومولانا الخليفة الأول أمير المؤمنين رضي الله عنه

وذلك أنه لما توفي رضي الله تعالى عنه كتم أصحابه وفاته ، وما كان يعلمها إلا أهل الدار المسمون قبل ، وهم خدمته وأخته شقيقته ، ولقد كتمت ذلك عن زوجها ، وأكابر أصحابه فبايعوا سيدنا ومولانا الخليفة الأول الإمام أمير المؤمنين فى

[٤١ أ] الحين بيعة » السر رضي الله تعالى عنه [1] .

.... [2] وقال له : سيركبك الخيل !

---

1) ذكر البيذق أنه لم يحضر وفاة المهدي إلا خمسة أشخاص : خليفته عبد المؤمن بن علي ، وأبو إبرهيم إسماعيل بن يسلان الهزرجي ، وأبو محمد وسنار ، وعمر أصناج ، وأخت المهدي أم عبد العزيز بن عيسى (انظر أخبار المهدي ص 81) .

2) لم يترك الناسخ فراغا هنا ، ويبدو أن كلمات سقطت من النص فيها تتمة لهذه الجملة التي ينبأ فيها ابن تومرت لعبد المؤمن بعلو كلمته واتساع سلطانه ، ويشبه ذلك ما أورده ابن خلكان فى وفيات الأعيان (١ ، ٢٤٩) إذ يقول إن ابن تومرت كان كثيراً ما يقول لأصحابه : **صاحبكم هذا** =

وقال الإمام رضي الله تعالى عنه عام البحيرة لما أصيب الموحدون : أسلم عبد المؤمن ؟ قالوا : نعم . قال : فالأمر باق إلى قيام الساعة !

فهذا وأمثاله من أقوال الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه يدل على ما صدقه الوجود من أن الخلافة في عقبه رضي الله تعالى عنهم أجمعين إلى قيام الساعة بحول الله تعالى كما قال النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم في حديث البزار [1] الذي ذكرناه ، وكما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا اختلف الناس فالعدل في مُضَر » ؛ وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يزال أهل الغرب [2] ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة » [3] . وقد جودنا الكلام على هذا الحديث في « الإحكام » [4] والحمد لله .

كرمه رضي الله تعالى عنه :

كان يخرج للمواساة مرتين وثلاثا في الشهر الواحد بحسب حضور المال [5]

= غلاب الدول ! (يعني عبد المؤمن) ، ويتبع ذلك ابن خلكان بقوله : ولم يصح عنه أنه استخلفه ، بل راعى أصحابه في تقديمه إشارته ، فتم له الأمر وكمل .

1) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار حافظ عالم بالحديث ، توفي بالرملة (**فلسطين**) سنة 905/292 . له مسند كبير في الحديث سماه « البحر الزاخر » ، ويوجد السفر الأول منه في خزانة الرباط برقم 243 ق (الأوقاف) ويوجد منه السفران الثاني والثالث في مكتبة الأزهر . انظر في ترجمة البزار : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 334/4 ؛ وتذكرة الحفاظ للذهبي 204/2 ؛ وشذرات الذهب لابن العماد 209/2 ؛ وميزان الاعتدال للذهبي 59/1 . ولم يتيسر لنا مقابلة الحديث المذكور على أصول مسند البزار .

2) هذه الكلمات مطموسة في الأصل .

3) ورد هذا الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الإمارة 4/6 ؛ والمالكي : رياض النفوس 3/1 ؛ والحميدي : جذوة المقتبس ص 7 ؛ وابن عذاري : البيان المغرب 6/1 ؛ وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص 14 - 15 .

4) يشير ابن القطان بذلك إلى كتابه الذي ألفه للخليفة الموحدي المرتضى « **الإحكام من أنباء خيرة الأنام** » في **معجزات** رسول الله (ﷺ) وآياته . راجع دراستنا لابن القطان **ولآثاره في تقديمنا لهذا** الكتاب ص 10 .

5) في الأصل : المال .

لديه ، وكان رضي الله تعالى عنه يتفقد من يرتب ببابه الكريم بأن يغلق الباب على غفلة من الناس ويحصى من حضر ، فيعطوا على السوية عشرة دنانير عشرة دنانير ، يفعل هذا في العام مراراً كثيرة ، وربما والى [1] ذلك فى كل شهر .

تواضعه رضي الله تعالى عنه :

قال ابن صاحب الصلاة :

إنه ما لبس قط إلا ثياب الصوف عن قميص وعن سراويل وعن جبة تواضعا لله تعالى وزهداً .

تأديبه لبنيه الكرام رضي الله تعالى عنه وعنهم :

كان رضي الله تعالى عنه يطعمهم الطعام الحسن ويلبسهم مثل ما يلبس من الثياب ، وكان يدربهم فى الدين ويشتد عليهم فيه ويعلمهم الأذان ، ويأخذهم بالرمي والعوم وركوب الخيل والتدرب عليها مع الموحدين أعزهم الله تعالى [2] ، وكان يأخذهم بحضور الصلوات الخمس فى الجماعات ، وبقراءة الحزب من القرآن إثر الصلاة ، ويحضرون مع المؤذنين فى الأسحار على ارتقاب الفجر والمنازل ، وربما يمشون على أقدامهم ، وإذا ولاهم البلاد بعث معهم من أشياخ الموحدين أعزهم الله تعالي ورجالهم العقلاء الخيار الفضلاء وزراء وأشياخا فى الأحكام ، والحمد لله رب العالمين .

---

1) فى الأصل : إلى .

2) ما ذكره ابن القطان هنا حول تأديب عبد المؤمن بن علي لبنيه سواء من الناحية العلمية أو العسكرية كان متبعا بصفة عامة فى تربية الحفاظ – أي صغار الطلبة – الذين كان عددهم يبلغ ثلاثة آلاف ، وقد تحدث عن ذلك بالتفصيل صاحب الحلل الموشية (ص 150) . وانظر تعليق الدكتور أحمد مختار العبادي على هذا النص فى مقاله « دراسة حول كتاب الحلل الموشية وأهميته فى تاريخ المرابطين والموحدين » (مجلة تطوان العدد الخامس سنة 1960 ص 107) .

الإلناء الإمامي المهدي عليه رضي الله تعالى عنه والتصريح بخلافته بعده رضي الله تعالى عنهما وبقاء الأمر العلي في عقبه الكريم إلى قيام الساعة بحول الله تعالى

قال : ....

.... [1] » مشاورين ، ويأمرهم بالتزام أشياخ البلاد من الفقهاء والطلبة والكتاب والشعراء ، ومذاكرتهم وملازمة الخير وقراءة القرآن وعقائد الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه وحفظها ، وحفظ التوحيد العربي والغربي ، [2] والعدل [3] والإحسان وإماتة الباطل .

علمه وحلمه وانبساطه رضي الله تعالى عنه :

أما علمه رضي الله تعالى عنه فسيأتي قطعه لزمانه بإملاء علوم المهدي رضي الله عنهما ، وقراءة العقائد [4] والموطأ ، [5] ومجالسته للطلبة ، حتى

---

1) سقط أول هذا النص ، ولو أن بقيته تبدو هي التي أوردها صاحب الحلل الموشية في ص 150 - 151 والتي تحدث فيها عن تأديب الحفاظ وتعليمهم .

2) يقصد باللغتين العربية والبربرية .

3) في الأصل : والأعدل .

4) ربما كان يعني بكلمة « العقائد » مجموع تعاليم المهدي ابن تومرت لا كتابا بعينه ، وفي هذه الحالة يكون الأرجح أنه يعني كتاب « أعز ما يطلب » الذي يتضمن بيانا لعقيدة المهدي وجملة الآراء التي كانت عماد ثورته الدينية السياسية ، وربما كان هذا اللفظ تحريفا لكلمة « القواعد » إذ أننا نعرف أن ابن تومرت ألف كتابا بهذا العنوان ، ولو أنه فقد لسوء الحظ . (انظر مقال الدكتور مختار العبادي حول كتاب الحلل الموشية ص 157) .

5) كتاب الموطأ الذي صنفه ابن تومرت إنما هو مجموعة الأحاديث النبوية التي وردت في موطأ الإمام مالك بن أنس برواية تلميذه يحيى بن عبد الله بن بكير ، وذلك بعد حذف الأسانيد ، وقد نشرت هذا الكتاب مطبعة فونتانة الشرقية بالجزائر سنة 1907 ، وبالخزانة العامة بالرباط منه نسختان تحت رقمي 840 ج و 1222 ج (انظر مقال الدكتور العبادي المشار إليه قبل ذلك ص 157 ، حاشية 72 - 73) .

يقول ابن حبوس [1] يمدحه :

بخليفة المهدّي سيدنا اغتدي [2]   نهج العلوم مُعبّداً ومذلّلا
وتفجرت عين النباهة بعدما   [قد] [3] كان خاطرها أَكَلَّ وأجبلا [4]
قد صير المعقول قلبا ماثلا [5]   فمتى رميناه أصبنا المقتلا
ورعى جميم العلم فى أوطانه   من كان يبدي الضعف أن يتنقلا
وافيت حضرته المقدس تربها   فإذا الذي أبصرت لن يتخيلا
ووقفت وسط سماطه فوجدته   سوقا تقام على المعارف والعلا
لم ألــق إلا عالما وإزاءه   متعلمــا متــكثرا متقلــلا
ومدارسا تسع الرياضة لو رأى   سقراط سيرتها لذم الهيكلا
وسمعت كل مذاهب الحق التي   ما إن ترى عن مقتضاها معدلا

---

1) هو أبو عبد الله محمد بن حبوس الفاسي ، ولد سنة 500 ، وتوفي سنة 570 ، وكان أول من هنأ عبد المؤمن بن علي لدى جبل الفتح (جبل طارق) عند عبوره إلى الأندلس ، وقال عبد الواحد المراكشي عنه إن طريقته في الشعر كانت على نحو طريقة ابن هانئ ، وقد أورد المراكشي وصفوان بن إدريس في « زاد المسافر » من شعره بيتين من بحر الأبيات المثبتة هنا ورويها وقافيتها ، هما :

بلغ الزمان بهديكم ما أملا   وتعلمت أيامه أن تعدلا
وبحسبه أن كان شيئا قابلا   وجد الهداية صورة فتشكلا

ولا نكاد نشك في أن هذين البيتين هما مستهل القصيدة التي اقتطف منها ابن القطان تلك الأبيات . هذا وقد كان ابن حبوس حظيا لدى عبد المؤمن ولدى ابنه يوسف أبي يعقوب (انظر في ترجمته وأخباره : المعجب ص 282 - 283 ؛ ابن الأبار : التكملة ، ترجمة 1055 ؛ صفوان بن إدريس : زاد المسافر ص 1 - 6 ؛ ابن حماده : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص 9 - 10 ؛ ابن دحية : المطرب ص 109 ، 199 - 201 ؛ وراجع مقال الأستاذ هنري بيريس عن « الشعر في فاس على عصر المرابطين والموحدين » ، مجلة إسبريس ، المجلد الثامن عشر سنة 1934 ، ص 17 - 33) .

2) في الأصل : اعتدى .

3) زيادة تقتضيها استقامة الوزن .

4) أي انقطع .

5) في الأصل : ما تلا .

وبصرت بالطوسي [1] يفهق حوله   وأبي المعالي [2] مجملا ومفصلا
لم آلف إلا مصقعا أو مفلقا   ومجادلا عن دينه ومرسّلا
والآلي في علم الإمام مقصر   حسب المبرز منهم أن لبّلا
فابرك عكاظها والوفود بسوقها   حزقاً [3] وسحبان الخطيب ودغفلا [4]
يعشو لها الأعشى بنار مُحلّق [5]   ويضم علقمة [6] إليها جرْولا [7]

---

1) يعني بالطوسي الإمام أبا حامد الغزالي .

2) يعني الإمام أبا المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري المعروف بإمام الحرمين ، ولد سنة 419 وتوفي سنة 478 (انظر في ترجمته ابن خلكان : وفيات الأعيان : 167/2 - 170 ، والسبكي : طبقات الشافعية 165/5 - 222 والمادة التي كتبها عنه بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية 1100/1) ؛ أما إشارة الشاعر هنا إلى الغزالي وإمام الحرمين فلأن كليهما يعتبر من أكبر أئمة الأشعرية التي كانت مبادئها من أهم الأسس التي أقام عليها ابن تومرت ثورته الدينية السياسية ، وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي : « وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها » (المعجب ص 255) .

3) في الأصل : خرقا . ويعني بالحزق الجماعات .

4) يشير في هذا الشطر إلى سحبان وائل الخطيب المشهور ، وإلى النسابة دغفل بن حنظلة السدوسي أو الذهلي ، وكان قد أدرك النبي (صلعم) ولكنه لم يسمع منه شيئا ، وقتله الخوارج الأزارقة (انظر مجمع الأمثال للميداني - ط. القاهرة سنة 1352 هـ 308/2 ؛ وابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ط. القاهرة 1252 - 464/1 - 465 ؛ وابن عبد البر : الاستيعاب في أسماء الأصحاب على هامش الإصابة - 467/1 - 468) .

5) ورد هذا الشطر في الأصل : « يعيشوا لها الأعشى بنار محلق » ، والصواب ما أثبتنا ، ويعني بالأعشى أعشى قيس الشاعر الجاهلي المعروف وبالمحلق سيدا من سادات الجاهلية في مكة ، كان فقيراً خاملا ذا بنات ، فسبق إلى إكرام الأعشى عند نزوله بمكة واحتفى به كثيرا ، فمدحه الأعشى بقصيدة جعلت أشراف العرب يتهافتون على الزواج من بناته (انظر القصة في ابن رشيق القيرواني : العمدة 24/1 - 25) وهو يشير هنا إلى قول الأعشى من قصيدته في مدح المحلق :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة   إلى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقروريسن يصطليـــانها   وبات على النار الندى والمحلق

6) يعني الشاعر الجاهلي المعروف علقمة بن عبدة الفحل .

7) هو الشاعر المخضرم الحطيئة جرول بن أوس العبسي .

والحق بحضرته السنية واستمع للقول واحذر ويك أن تتقولا
فيها كمال الدين والدنيا معا وسعادة الأرواح فى أن تكملا

وأما انبساطه رضي الله تعالى عنه فإنه كان يحدث جلساءه ويفاوضهم [1] ، كما روى عن بعضهم أنه قال :

كنت بتلمسان أقرأ كتب أصول الدين ، وكان لى صاحب يقرأ كتب الفقه ، فرحل عنى من تلمسان يريد المشرق ، فوصل إلى بجاية ، فخاطبنى منها يعرفني ويقول لى : قد وصل إلى هذه المدينة فقيه عالم بالعلم الذي تطلبه ، فلتصل إليه ، فعند وصول كتابه إليّ رحلت إلى بجاية ، فلقيت بها الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه [2] .

ومن مكارمه وحسن عهده رضي الله تعالى عنه ما حكى بعضهم أنه رضي الله تعالى عنه لما توجه إلى فتح بجاية وتوسط بقرية كبيرة ، فاستوقف [3] الجند وخب السير منفرداً على فرسه ، حتى وقف على باب دار من ديار القرية ساعة
| ٦٢ أ | يسائل أهلها ، ثم انصرف ، فلما نزل في قبته المعظمة الميمونة * أمر بإحضار أهل الدار المذكورة ، فسألهم عن أبيهم ، فقالوا إنه توفى منذ أعوام وتركهم أربعة بنين ، فأسلمهم [4] أرضا واسعة للحرث ، وأعطى كل واحد منهم ألف رأس من الغنم ومثلها من البقر ، وأربعة آلاف دينار ، وكتب لهم ظهيرا بالعز والأمان والإحسان

1) في الأصل : ويعاوضهم .

2) عن ابتداء صلة عبد المؤمن بن علي بالمهدي انظر : أخبار المهدي ص 52 - 57 ؛ الحلل الموشية ص 106 - 107 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 247 - 248 ؛ روض القرطاس ص 173 ؛ الاستقصا 79/2 - 80 ؛ ابن عذارى : البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 80 ؛ صلاح الدين الصفدى : الوافى بالوفيات 324/3 ؛ وانظر مناقشة أويثي للقاء التاريخي بين رجلى الدولة الموحدية وما أحاط به من أساطير (تاريخ الدولة الموحدية 43/1 - 46) ؛ وانظر ما سبق أن ساقه ابن القطان فى ص 77 .

3) في الأصل : فاستوقد .

4) في الأصل : فأسهم .

ونقديمهم حكاما على قومهم رضي الله تعالى عنه [1] .

ومنها أنه كان ساكنا بتينملل أيام الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فآب [2] من سفرة سافرها ، فأهدت له جارة كانت له من نساء الموحدين عنزا ، فقبلها بفضله ، فلما ملكه الله تعالى أعطى المرأة ثوبا وألف دينار [3] .

ومنها أنه رضي الله تعالى عنه أحس بضعف طلبة مجلسه المكرم من طلبة الحضرة منهم أبو محمد المالقي [4] وغيره ، فقال لأشياخ [5] الموحدين أعزهم الله تعالى : هؤلاء طلبة غرباء ضعفاء ، والإقلال عليهم ظاهر ، فنرى أن ندفع إليهم مالا نقارضهم فيه ، ويتجرون به ويردون السلف لنا ؛ فقالوا ، نعم ، فأسلفهم من مال المخزن ألف دينار لكل واحد منهم ، فاكتسبوا منها ، وكانت أصل غناهم ، ولم يأخذها منهم أبداً .

ومنها أنه رضي الله تعالى عنه تذاكر يوماً حال الأندلس مع الروم المفاتنين ، فجرى [ذكر] [6] وقعة أقليش [7] التي هزم فيها الطاغية وقتل ولده أذفونش ؛

---

1) ذكر هذه القصة بتفاصيل أخرى تختلف عما جاء هنا عبد الواحد في المعجب ص 101 ؛ وكذلك ابن عذارى في البيان المغرب (القسم الموحدي) ص 80 - 81 .

2) في الأصل : فباب .

3) أورد هذه القصة أيضا ابن عذارى في البيان المغرب ص 81 .

4) لعله أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن المالقي ، وهو الذي ولي القضاء لعبد المؤمن بعد وفاة أبي محمد عبد الله بن جبل الوهراني ، وظل على هذا المنصب طوال حكم عبد المؤمن ثم صدر خلافة ابنه يوسف أبي يعقوب (انظر المعجب ص 269 ، 318) ؛ وقد وردت هذه القصة أيضا في البيان المغرب لابن عذارى ص 81 .

5) في الأصل : الأشياخ .

6) إضافة يقتضيها السياق .

7) في الأصل : افليس ، وقد سبق للمؤلف أن فصل الحديث عن هذه الوقعة التي أحرز المرابطون فيها انتصارا عظيما على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة (انظر ص 63 حاشية رقم 1) .

| ١٧ ب | فقال رضي » الله تعالى عنه لوزيره أبي جعفر ابن عطية [1] : اخرج إلى أشياخ الجند وسلهم هل بقى أحد ممن حضر وقعة أقليش [2] ؛ ففعل ، فألفى شيخا يقال له عبد الله بن زيدون قال إنه حضرها ، وعمر بن تورزجين من أشياخ لمتونة أيضا حضرها : فعرف ابن عطية بذلك أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، فسر بأن بقي من يحدثه بصفة تلك الحروب ، وأمر بإدخالهما إلى مجلسه العالي ، وأمر بأن يحضر معهما أشياخ الجند ، فكان ذلك ؛ وسألهما عما شاهداه من تلك الحروب ، فحكياها [3] من أولها إلى آخرها ؛ وعند تمام حكايتها أعطى لابن زيدون خمسمائة دينار ، ولابن تورزجين مثل ذلك ، وأعطى لأشياخ [4] الحاضرين فى المجلس لكل واحد مائة دينار ، وكانت هذه الحكاية سببا لنظره لجزيرة الأندلس وتجهيزه العساكر إليها .

ومن مكارمه العظيمة رضي الله تعالى عنه حضه [5] الناس على العلم ، وإرادته لهم ولبنيهم ما يريده لنفسه ولبنيه ، واستدعاؤه الصبيان الصغار الأسنان من

---

1) هو أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعى المراكشي ، أصله من قرية بناحية دانية Tortosa بالأندلس ، ولد بمراكش وتولى الكتابة لعلي بن يوسف ولابنه تاشفين سلطاني المرابطين ثم لما انقطعت دولتهم أخفى نفسه مدة حتى استكتبه الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي بمناسبة قضائه على ثورة الدعى الماسي ببلاد السوس فلما وصلت الرسالة التى كتبها ابن عطية إلى عبد المؤمن استحسنها وأمر بتقريب أبي جعفر ثم استوزره ، وجرت له بعد ذلك محنة قتل فيها في أواخر سنة 553 (انظر فى ترجمته عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 266 - 272 ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء 194/2 ، 225 - 226 ، 237 - 238 ؛ ابن الخطيب : الإحاطة (ط. محب الدين الخطيب) 263/1 - 271 ؛ الإحاطة (ط. عنان) 271/1 - 279 : ابن عذارى : البيان المغرب ص 31 - 32 ، 57 - 60 ؛ المقري : نفح الطيب 183/5 - 187 ؛ السلاوي : الاستقصا 126/2 - 130 ؛ ابن الأبار : إعتاب الكتاب ص 225 - 229) .

2) فى الأصل : افليش .

3) فى الأصل : فحكاها .

4) فى الأصل : الأشياخ .

5) فى الأصل : وحضه .

أبناء إشبيلية [1] وقرطبة وفاس وتلمسان إلى حضرته العلية ليعلمهم ويحفظهم القرآن وحديث النبي ﷺ ، فانتخب الأولاد النجباء « الحفاظ من كل بلد ، ووجّهوا | ٦٦ مخشياً إليهم مزودين ، فكان عدد الذين توجهوا من إشبيلية [1] خمسين صبيا ، فسافروا نحو الحضرة العلية مع الأستاذ أبي الحسن نجبة منجبهم والأستاذ أبي بكر الحصار ، نهضوا في كفالتهما حتى وصلوا حضرة مراكش حرسها الله تعالى ، فأنزلوا أكرم إنزال ، وتلقاهم الوزير أبو جعفر ابن عطية مأموراً بذلك ، وقد قبلوا بما أحسنهم من الإحسان والإنعام وإجراء الطرف والتحف ثلاثة أيام ، ثم أمروا بكتب التوحيد وحفظه ، وكتب موطأ الإمام رضي الله تعالى عنه وحفظه ، ومسلم [2] وحفظه ، وأقاموا كذلك تحت جراية واسعة ، وجباية بالغة ، وأستاذاهم المذكوران معهم ستة أشهر ، حتى بدا عليهم نور الإمامة ، وتميزوا بالحفظ وامتازوا بالكرامة .

ثم ولى سيدنا ومولانا الخليفة أبا يعقوب [3] رضي الله تعالى عنه إشبيلية وقرطبة ، فوجه معه الوزير أبا جعفر [4] ابن عطية ، وبعث الصبيان الحفاظ معه إلى آبائهم ، وقد نالوا من الخير ما نالوا وانصرف الأستاذ أبو بكر « الحصار معهم . | ٦٦ ب

---

1) انظر تعليقنا المتقدم على ص 149 ، حاشية 2 .

2) يعني صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري .

3) في الأصل : أبي يعقوب ، وهو يعني يوسف بن عبد المؤمن الذي ولي الخلافة بعد موت أبيه سنة 558 وكانت وفاته سنة 580 ؛ أما ولايته على إشبيلية وقرطبة فقد كانت سنة 551 ويقول ابن عذارى في ذلك : « لما وصل أشياخ إشبيلية إلى الحضرة العلية في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة رغبوا في سيد يرجع معهم إليها ويستندون إليه في مصالحها وصرح ابن الجد بطلب السيد أبي يعقوب ، فقال لهم عبد المؤمن إنه صغير السن (كان يبلغ حينئذ ثمانية عشر عاما إذ أنه ولد سنة 533) ، فقالوا : بل هو كبير ، فأسعفهم في ذلك وبعثه معهم أميرا » (البيان المغرب – القسم الموحدي ص 56) .

4) في الأصل : أبي جعفر .

كراماته رضى الله تعالى عنه :

ومنها ذكره رضى الله تعالى عنه قبل وجوده ، وأعلى ما في ذلك ما ذكره أبو القاسم المؤمن [1] في كتابه الذي ألفه في « فضائل الإمام المهدي رضى الله تعالى عنه » ، فإنه قال : إن في كتاب أبي عبد الله الملقب بالباقر بن علي زين العابدين [2] بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم مرفوعا إلى النبي ﷺ – الحض على الإيمان بالمهدي وبطائفته التي تقاتل معه وبعده وهم أنجال الخليفة الآخذ عنه ما وعد الله الخليفة المؤيد بالنصر الذي ينصره ويفتح به وعلى يديه ، المسمى فى الخطبة الجامعة عن رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم – عبد المؤمن بن علي القيسي رضي الله تعالى عنه [3] .

قال أبو القاسم المذكور :

وهذا أيضا موجود فى كتاب يحيى بن زيد [4] ، وفى كتاب القاسم الأكبر [5] ؛ وجميع ما ذكر أيضا من فضائل الإمام رضي الله تعالى عنه وعلاماته ومواضعه ورجاله وخدمته والخليفة الآخذ عنه المشار إليه فى خبر وجود الخلق
[١٠ أ] وقسمة الطوائف [6] * فى الأديان وعبدة الهوى « والناصر والمنصور بأمره المسمى

---

1) راجع عن هذا المؤلف ما سبق أن كتبناه فى ص 62 ، حاشية رقم 4 .

2) فى الأصل : علي بن زين العابدين .

3) من الواضح أن هذا لا أساس له من الصحة ، وإنما هي أقاويل نسجها المؤرخون الذين كانوا فى خدمة الموحدين تقوية لمركزهم .

4) هو يحيى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي إمام فرقة الشيعة الزيدية ، وهو الذي خرج على الوليد بن يزيد المرواني فى خراسان ، فتمكن منه يوسف بن عمر والي خراسان وقتله وصلبه ، ثم أحرقه بالنار ، وذلك في سنة 125 . انظر تاريخ الطبري 7/228 - 230 .

5) لعله القاسم بن إبرهيم العلوي الرسى إمام الزيدية ، وتوفى سنة 246 ، وينسب إليه كتاب « الرد على ابن المقفع » و « رسائل فى الإمامة » . (انظر الأعلام للزركلى 5/171) .

6) فى الأصل : الطوائق .

بالرجل المؤمن عبد المؤمن بن علي رضي الله تعالى عنه في خطبة رسول الله صلى الله ﷺ يوم الكشف عن ضمم النفوس » .

وإيضاح البيان في ذلك كله في كتاب « النصر » لإدريس بن إدريس [1] بسند جميعه إلى رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم .

وقال :

وسمعت أيضا أبا عبد الله اللخمي يقول :

رأيت في الخبر عن خير البشر رسول الله ﷺ أنه قال : خير القرون الذي أنا فيه ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، والآخر أشق ، ولا يقوم بالحق بعد الفترة التي تحدث في الخلق بعد هذه القرون إلا المهدي ، والرجل القائم بأمره ، ومن يليه من الخلفاء بعده رضي الله تعالى عنهم [2] .

ومن ذلك تبشير الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما قبل الاجتماع به ودعاؤه بلقائه ، وقد كتبنا ذلك قبل هذا في هذه المقدمة [3] .

---

1) هو إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأبوه إدريس ابن عبد الله هو الذي فر من وقعة فخ بالمشرق والذي أسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ، أما إدريس الثاني هذا فقد ولد سنة 177 بعد أن توفي أبوه وأمه حامل به فبايعه أهل المغرب ، وهو الذي بنى مدينة فاس ، وكانت وفاته سنة 213 (انظر السلاوي : الاستقصا 160/1 - 171) ؛ ولسنا نعلم لإدريس هذا كتابا يسمى « النصر » كما يذكر المؤلف هنا .

2) الذي ورد في صحيح البخاري (91/1) : « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم – قال عمران : فما أدري قال النبي (صلعم) بعد قوله مرتين أو ثلاثا – ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن » ، وكذلك حديث آخر قريب من هذا : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم وأيمانهم شهادتهم » . ولم نر الحديث على الصورة التي جاء بها في النص في واحد من كتب الصحاح .

3) حول تبشير المهدي بلقاء عبد المؤمن وتنبئه به انظر القصص الواردة في ذلك في « أخبار المهدي » للبيذق ص 53 - 57 و « المعجب » لعبد الواحد ص 247 - 248 ، وقد جمع كل هذه الأقوال وناقشها الأستاذ أوبثي في بحثه « الأسطورة والتاريخ في نشأة الدولة الموحدية » ، وهو الذيل الأول من ذيول كتابه « تاريخ الدولة الموحدية » (انظر 587/2 - 588) .

ومن ذلك ذكر ابن عبد ربه القرطبي صاحب « العقد » (1) له في أرجوزة
نظمها يقول فيها بعد ذكر المهدي رضي الله تعالى عنه * إلى وفاته : | ٩٤ ب |

ويرجع الأمر إلى عدنان … لماجد قد خص من عيلان
رَبِّ الفتوح صاحب الملاحم … وقامع الأعراب والأعاجم

وجرى في وصف فتوحه طلقا مديداً .

وذكره ابن الحناط (2) في أرجوزة له .

---

1) يعني كتاب « العقد الفريد » للأديب الأندلسي المشهور أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي المتوفى سنة 328 ، ولم نر في كتاب العقد أية أرجوزة يتحدث فيها عما يذكره المؤلف هنا ، وكل ما جاء في العقد الفريد أرجوزته التي يتحدث فيها عن غزوات عبد الرحمن الناصر والتي انتهى فيها إلى سنة 322 هـ . (انظر العقد – ط القاهرة سنة 1944 - 4/501 - 527) ، هذا ولو أن هناك أرجوزة تنسب لابن عبد ربه سرد فيها تاريخ الإسلام والخلفاء الراشدين ، على أن ابن الأبار يذكر بمناسبة هذه الأرجوزة خبرا عن القاضي منذر ابن سعيد البلوطي يقول فيه إنه كتب بيتي هجاء في ابن عبد ربه لأنه أسقط ذكر علي بن أبي طالب (رضه) من الخلفاء الراشدين (انظر عن ذلك مقالنا « التشيع في الأندلس » – صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1954 ص 110 - 111) ، وإذا صح ذلك فما كان أبعد ابن عبد ربه – وكان معروفا ببغضه للشيعة ومن شابههم – عن أن يتنبأ بظهور خليفة لمهدي غير مقطوع بصحة نسبته إلى علي بن أبي طالب (رضه) ، هذا وقد ردد المؤرخ الموحدي صاحب كتاب المقتبس من كتاب الأنساب ما ذكره ابن القطان هنا عن تنبؤ ابن عبد ربه في أرجوزته بظهور عبد المؤمن ، وأورد البيتين المذكورين هنا وأضاف إليهما خمسة أبيات أخرى (أخبار المهدي ص 26) ، وهي أبيات ينم ضعف نسجها وركاكة ألفاظها عن الوضع والاختلاق ، كما أنه زعم أن الفقيه الأندلسي المعروف غازي ابن قيس تلميذ مالك بن أنس قد ردد النبوءة في أبيات أخرى من بحر الرجز ، وهي أبيات مثل سابقتها لاشك في أنها موضوعة .

2) هو محمد بن سليمان بن الحناط الرعيني القرطبي ، توفي سنة 437 وكان شاعراً أديبا واسع الاطلاع على العلوم القديمة والحديثة ، وكان متهما بفساد الدين والخلق ، وهو من الشعراء المعروفين بالتشيع (انظر في ترجمته : جذوة المقتبس للحميدي ، رقم 60 ؛ الصلة لابن بشكوال ، رقم 1435 ؛ البغية للضبي ، رقم 124 ؛ التكملة لابن الأبار ، رقم 429 ؛ المغرب لابن سعيد 1/121 124 ؛ الذخيرة لابن بسام ، القسم الأول 427 - 453 ؛ وكذلك مقالنا « التشيع في الأندلس » ص 142 - 143) ؛ وعلى أية حال فلسنا نعرف لابن الحناط هذا أرجوزة فيها إشارة لمثل ذلك .

وذكره عبد الملك بن حبيب [1] فقال :

صاحب المهدي يأتي بعده　　خيرة الأعراب طرا والعجمْ
أقبل الملك به من نعته　　أشيب اللحية ليس بالهرم

وذكره الطُّبْني [2] في أرجوزة له .

---

1) هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب الإلبيري الفقيه المؤرخ الأديب ، ولد سنة 174 وتوفي 238 ، ولقد بقي لنا من كتبه مختصر كتابه الكبير في التاريخ ، ومنه نسخة وحيدة مخطوطة محفوظة في المكتبة البودليانية بأوكسفورد تحت رقم 127 ، وقد قمنا بدراسة هذا الكتاب وبيان قيمته التاريخية في مقالنا عن « مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي » (بحث بالإسبانية في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد) سنة 1957 ص 189 - 200 ، كما قمنا بنشر النص العربي للفصول الخاصة بفتح الأندلس وأخبارها والتنبؤات عن الحوادث المستقبلة (ص 221 - 243) ، وليس في كل ذلك ذكر للبيتين المنسوبين هنا لابن حبيب ، ولكن في الكتاب نصا قد يمكن تأويله بأنه يشير إلى المهدي بن تومرت ، وقد رأينا من المستحسن أن ننقل هنا هذا النص (ص 240 من المقال المذكور) : « وسمعت عبد الملك بن حبيب يقول : إذا خرجت دولة بني أمية ووليها رجل من الموالي أو البربر تكون في دولته الصيحة ، وفي دولة أخرى من بني أمية تكون القرمونية ، ثم تخرب قرطبة حتى لا يسكنها إلا الغربان ، وينتقل الملك إلى إشبيلية ، وتخرج الخلافة من ولد العباس ، ويصير الأمر إلى بني أبي طالب حتى يخرج الدجال ، ويدخل الداخل من قريش من ولد فاطمة ، فتبرأ إليه أهل الأندلس بالأمر ، ففي زمان هذا الفاطمي تفتتح القسطنطينية ، وعلى يدي الفاطمي يقتل النصارى بقرطبة وكورها ، فلا يبقى نصراني ، ويقع السبي في ذراريهم حتى توجد الخادم بمهماز والأمرد بسوط . وأخبرني ابن أبي شمر أنه سمع حسانا يحدث بهذا » على أننا بينا في هذا المقال (ص 193 - 194) أن كل هذه الفصول زيادات أقحمت في الكتاب من بعد ، وربما كان بعض مؤرخي البلاط الموحدي هم الذين أقحموها في النص تأييداً لرأيهم في ظهور المهدي ؛ ومهما يكن من أمر فإننا لم نجد في الكتاب ولا زيادته أي إشارة إلى عبد المؤمن .

2) بيت بني الطبني من الأسر المشهورة في الأندلس ، وأصلهم من طبنة عاصمة الزاب بأفريقية ، وأشهر من عرف منهم زيادة الله بن علي بن حسين الذي توفي سنة 415 ، وكان من جلساء المنصور بن أبي عامر ، وقد اختص ابن سعيد بالذكر بعض أفراد هذه العائلة (المغرب 92/2 والمراجع الأخرى المذكورة في حواشي هذا الموضع) ، ولسنا ندري من هو الطبني المقصود هنا ، ولعله هو نفسه الذي ألف كتابه في أخبار إفريقية والقيروان ، وهو كتاب أشار إليه عبد الواحد المراكشي (المعجب ص 441) .

وذكره حبيب بن هبيرة [1] ؛ إلى غير ذلك من ذكره رضي الله تعالى عنه في أراجيز قديمة غير منسوخة لصفاته وأفعاله وفتوحاته .

وبعضهم يأثر ذكره رضي الله تعالى عنه عن دنيال عليه السلام وعن سطيح [2] . وبالجملة قد كان قبل وجوده السعيد منتظرا زمانه ، ومتشوفا كيانه ، إلى أن حقق الله تعالى منه ما كان يذكر ، وأبرز للوجود ما كان ينتظر فجاءت للأمة سعادتها ، ولانت نحو الحق مقادتها ، والحمد لله رب العالمين .

ومنها مما يلحق بذكره رضي الله تعالى [عنه] قبل وجوده وجود [3] اسمه الأعز منقوشا * في لوح رخام . | ٦٦ أ |

قال أبو القاسم المؤمن :

دخلت [4] في أرض القدس رباطا يعمره رهبان الروم مفروشا بالرخام المجزع ، وفيه رخامة بيضاء قد نقش في سطحها الظاهر منها أحد عشر سطرا على كل سطر منها اسمان إلا السطر الأوسط فعليه اسم واحد .

قال :

وعلى السطر الأوسط السادس [5] اسم الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه

---

1) لم نهتد إلى شخصية حبيب بن هبيرة هذا .

2) سطيح بن ربيعة هو الكاهن الجاهلي المشهور (انظر عنه المقال الذي كتبه عنه ليفي دلافيدا فى دائرة المعارف الإسلامية 4/189 - 190) ، ويبدو أن هناك أسطورة مغربية قديمة كانت تدور حول كونه مدفونا بأرض مدينة سطيف ، فقد ذكر البيذق فى أخبار المهدي (ص 114) أن عبد المؤمن بن علي حينما مر بسطيف فى طريقه لفتح بجاية دفع جواده ومعه أصحابه الموحدون حتى وصل إلى قبر سطيح وحك عليه جواده ، ثم قال لأصحابه : أتعرفون ما قال صاحب هذا القبر ؟ قالوا له : أنت العارف بذلك . فقال لهم الخليفة : « أزيلونى عن هذا القبر لئلا تدوسني خيل عبد المؤمن بن علي الكومي القيسى ! » ؛ وربما كان المؤلف يشير إلى نفس هذه القصة .

3) في الأصل : ووجود .

4) في الأصل : دخلة .

5) في الأصل : السابع ، والصواب ما أثبتنا .

وحده ، وعلى السطر السابع اسم الخليفة بعد الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما الاحا. ..ه في حياته المسمى عبد المؤمن بن علي القيسي . واسم شيث عليه السلام .
قال :

وعرضت ذلك على الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فأمرني بحفظه وأن [1] أكتم ذلك حتى يعين الوقت الذي يكون فيه ظهوره رضي الله تعالى عنه .

ومن كراماته رضي الله تعالى عنه إنجاز [2] الوعود النبوية للطائفة المهدية بفتح الأرض ، وتدويخ الطول منها والعرض ، فما أم بلدا إلا فتحه ولا سعى سعيا إلا أحمده واستنجحه [3] ، تنجزا لصادق الوعود ، وكرامة بمصاحبة السعود ، حتى إنه رضي الله تعالى عنه يشير إلى ذلك مهما كتب كتابا بفتح من فتوحه ، ويفصح بأنه كرامة من كرامات الله تعالى للدعوة المهدية بفصيح » اللفظ | ١٩
وصريحه [4] .

ومن كراماته رضي الله تعالى عن نضوب وادي سلا الذي هو بحر ترفأ فيه السفن الكبار ، فنضب لجوازه رضي الله تعالى عنه بعسكره ، حتى لم يحتج فيه إلى قنطرة ولا قارب ، كما سيأتي بعد إن شاء الله تعالى ، وذلك خرق عادة [5] .

---

1) في الأصل : وأنا .

2) في الأصل : إيجاز .

3) في الأصل : واستنجه .

4) انظر أمثلة لذلك في الرسائل التي كتب بها عبد المؤمن بن علي (مجموع رسائل موحدية ص 11 ، 80 - 81 ، 99 ... الخ) .

5) يبدو أن المؤلف يشير بهذا إلى ما حدث في أثناء توجه عبد المؤمن بن علي إلى فتح بجاية في سنة 546 ، فقد تجمعت جيوشه في سلا ، ومنها خرج إلى شبربط ثم « الوادي متاع ورغة » ثم إلى مسون ؛ ولا ينص البيذق في حديثه عن خط سير عبد المؤمن هذا على ما يذكره ابن القطان هنا من جفاف النهر حتى عبر عبد المؤمن وعسكره ، ولكنه يوحي بذلك إذ يقول : « وخرجنا من مسون ، ولم يعلم أحد أي طريق سلكنا ، وسلك بنا الخليفة على طريق لم تسلك » (انظر أخبار المهدي ص 113 ؛ وانظر عن هذه الحملة روض القرطاس 192 - 193 ؛ وأويثي : تاريخ 160/1 - 167) .

ومنها نماء دراهمه رضي الله تعالى عنه ، كما حكى بعض الموحدين من كومية قال :

كان سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه أيام طلبه قد سافر من تلمسان إلى فاس فى طلب العلم ولقاء المشايخ بها ، فصحب فى طريقه تاجرا مليا [1] من أهل الإسكندرية ، فرافقه إلى فاس ، فطلب المكرى من التاجر كراء دوابه ، فأعوزته منه خمسة عشر درهما ، فاستسلفها التاجر من سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه : ثم إن التاجر طلبه بفاس ليقضيه إياها . فلم يجده ، فكتب اسمه فى زمامه [2] ، ثم رحل إلى الإسكندرية ؛ ثم توغل فى المشرق ، وجال [3] نحو ثلاثين سنة ؛ وكان جعل تلك الخمسة عشر درهما رأس مال على حدة [4] ، فوضع الله تعالى فيها البركة ونمت نماء عظيما إلى أن صارت ألف دينار ؛ ثم رجع التاجر إلى بجاية بعد غيبته تلك السنين الطويلة ، * [٦٠ أ] فوجد أبا محمد عبد الله بن سليمان صاحب إمارة البحر [5] ، فثقف ماله حتى يعلم حاله ، فاستعجل التاجر الوصول إلى الحضرة

---

1) أي غنيا .

2) فى الأصل : زمانة .

3) فى الأصل : وبحال .

4) فى الأصل : جدة .

5) أبو محمد عبد الله بن سليمان التينمللي المسكالى من أهل خمسين المستدركين بعد التميز ، وكان هو وأخوه يوسف من كبار قواد عبد المؤمن وخيرة رجال دولته ، وقد ولى عبد المؤمن عبد الله هذا على سبتة بعد إخضاع الثورة التي قام بها القاضي عياض سنة 543 ، واضطلع بأمر الفرقة التي سارت إلى قبيلة غمارة وقضت على نوار تيطاوين (تطوان) ، ويبدو أن عبد المؤمن وكل إليه قيادة أسطوله البحرى فى سنة 546 ، وكان عبد الله ابن سليمان هو الذي تولى إخماد ثورة يصلاسن بن المعز ، كما كان له فضل القضاء على ابن قسى الثائر فى جبل شلير وأركش ووادي آش بالأندلس (انظر أخبار المهدي ص 35 ، 108 ، 111 ، 115 ، 125 ؛ والمعجب ص 262 ، 281 ؛ وابن عذاري : البيان المغرب (القسم الموحدي) ص 54 - 55 ؛ ومجموع الرسائل الموحدية ص 11 وهي رسالة كتب بها عبد المؤمن إلى طلبة سبتة ويشير فيها إلى قيادة عبد الله الأساطيل الموحدية ، وقد جاء فى نفس هذه الرسالة (ص 13) أمر من الخليفة بتثقيف التجار الذين يحملون المرافق إلى مالقة ، مما يؤكد ما يذكره المؤلف هنا من كون عبد الله بن سليمان هو المكلف بذلك .

العلية ، وقصد لقاء أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه فلقيه في طريق البحيرة ، فسلم عليه ، فقال له : من الرجل ؟ فذكر مسألته وتعرف له ، وأحضر زمامه والادم مكتوبا على الخمسة عشر درهما وأنها قد نمت حتى بلغت ألف دينار ، فجزاه على أمانته خيرا وكتب له ظهيرا بالأمان فى أهله وماله ونفسه ، وأمر بصرف كل ما تقف له عليه .

أمره رضي الله تعالى عنه بالمعروف ونهيه عن المنكر وعدله ، ونهجه مناهج الحق وفضله :

بذلك قطع أيامه ، ورفع أعلامه ، وأحيا الحق وأعلى مراسمه ، وأقام أسواق العدل ومواسمه ، [1] وخضد [2] الباطل وقطعه ، وقمع شرذمته وشيعه ، حتى علا منار الهدى وارتفع ، وبهر نوره وسطع ، وانقشعت حناديس الظلم وغياهبه [3] ، واتسعت مقاصد الفضل ومذاهبه ، فكل حركاته وسكناته أمر بمعروف ونهى عن منكر ، وفضل وعدل لا تزال آثاره تحمد وتشكر ، والتعرض للإحصاء ، لآحاد [4] ذلك العلاء ، ليس بممكن ، فلا ينزف البحر بالدلاء .

لكن له رسالة جامعة لأنواع من الأوامر ، الباقية فخرا لمن تفاخر . « خلدت من مآثره [5] السنية ، وأوامره السنية ، ووصاياه الحكمية ، وآدابه العلمية ، ما يقر معه بفضله كل سامع لها وآثر ، ويعلم أن فضله وعدله [6] وهي من إنشاء الكاتب أبي جعفر ابن عطية ، فرأيت تدوينها هنا فى جملة ما أثبته أنموذج [7] معاليه ،

---

1) فى الأصل : ومن اسمه .

2) فى الأصل : وحضره .

3) فى الأصل : وعوابية .

4) فى الأصل : آحاد .

5) فى الأصل : مآثر .

6) يبدو أنه سقطت هنا عبارة تتم بها السجعة .

7) فى الأصل : الموذج .

التي هي إحدى فرائد [1] هذا الكتاب ولآليه .

وهي بعد البسملة والصلاة [2]

من أمير المؤمنين أيده الله تعالى بنصره ، وأمده بمعونته ، إلى جميع الطلبة الذين بالأندلس ومن صحبهم من المشيخة والأعيان والكافة ، وفقهم الله تعالى واستعملهم بما يرضاه .

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد :

فالحمد لله ، وهو اللطيف الكريم ، الرؤوف الرحيم ، الذي بعدله قامت السموات والأرض وبه تقوم ، وعلى محمد نبيه المصطفى الصلاة المباركة والتسليم ، ولأمته المخلصة فى عليين كتابها المرقوم ، والرضا عن الإمام المعصوم ، المهدي المعلوم ، الذي بعثه رحمة للمؤمنين ، ينيلهم [3] به الرَّوْحَ والنعيم ، ويريهم رحيقها المختوم .

وكتابنا هذا — كتب الله تعالى لكم كل رأفة ورحمة ، وسوغكم من اليمن والأمن أنعم نعمة ، وجعلنا وإياكم فيمن قدم لدار قراره ونعمه — ، من الحضرة العلية بتينملل حرسها الله تعالى — فى سادس عشر من شهر ربيع الأول سنة

---

1) فى الأصل : فوائد .

2) هناك رسائل من هذا القبيل وصلت إلينا فى بعض المراجع الأخرى مثل الرسالة التي وجهها عبد المؤمن إلى طلبة سبتة (مجموع رسائل موحدية ص 1 - 3) ، ورسالته إلى جماعة المشيخة بقرطبة (نفس المرجع ص 13 17) ، وإلى طلبة سبتة (ص 61 - 67) ، ورسالة الفصول إلى أهل بجاية (ص 126 - 138 ، وأخبار المهدي ص 13 - 17 و 134 - 145) ؛ وجميع هذه الرسائل — مثل هذه التي يوردها ابن القطان بجملتها هنا مما كتبه عن الخليفة كاتبه ووزيره أبو جعفر ابن عطية .

3) فى الأصل : ينيلهم .

ثلاث وأربعين وخمسمائة [1] : وقد وصلناها — والحمد لله وجناح الرحمة مقصوص [2] ، وطرف المكاره « مغضوض [3] ، وفيض العدل والبذل [4] منتشر مستفيض ، وشأن الظلم بإذن الله تعالى مكفوف مقبوض ، والحق أبلج لا كناية ولا تعريض [5] .

وكان مقصودنا من هذه الوجهة المباركة زيارة قبر المكرم المهدي رضى الله

---

1) لعبد المؤمن كتاب وجهه إلى طلبة صنهاجة تاسغرت بتاريخ 27 من ربيع الأول سنة 543 ، أي بعد تاريخ الرسالة المذكورة هنا بعشرة أيام (انظر مجموع الرسائل الموحدية ص 5 - 6) ، وقد جاء في تلك الرسالة الموجهة من مراكش أنها كتبت بعد صدور الخليفة من الحضرة بتينملل حيث كان عبد المؤمن يؤدى واجب الزيارة لقبر المهدي محمد بن تومرت ، وهذا يتفق مع ما جاء في تاريخ الرسالة التي يوردها ابن القطان هنا وتحديد مكان إرسالها ، إذ أن هذه الرسالة كما يتبين إنما كتبت في أثناء زيارة عبد المؤمن لتينملل وبمناسبتها ، وننوه هنا بما ذكره عبد المؤمن في رسالته إلى طلبة صنهاجة تاسغرت حيث يقول : « ونصلكم طي كتابنا هذا نسخة كتاب خاطبنا بمثلها كل جهة من جهات الموحدين — وفقهم الله — فيما قرب وبعد ، وحملناها من الوصايا ما نرجو أن يعين على أمر الله ويعضد ، ورأينا إنفاذها إليكم لتنالوا من بركاتها ما تجدون أثره قريبا » (انظر ص 6) ، ونكاد نقطع بأن النسخة التي أرسلها عبد المؤمن طي كتابه المذكور إنما هي نفس تلك الرسالة التي أوردها ابن القطان هنا بنصها . وقد كان لهذه الرسالة شهرة عظيمة وانتشار واسع وأصبحت مثلا يقتدى بعد ذلك لدى سلاطين الموحدين ، نرى ذلك فيما كتبه عنها ابن صاحب الصلاة بمناسبة إيراده نص رسالة مماثلة كتبها أبو الحسن ابن عياش عن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في الثالث من شهر رمضان سنة 561 (انظر نص هذه الرسالة في كتاب « المن بالإمامة » ص 302 - 307 ، إذ يقول ابن صاحب الصلاة معلقا عليها : « وصل الأمير الأجل الأعدل أبو يعقوب رضي الله عنه بأمره الكريم في هذه الرسالة العلية بالأمر والعدل الأمر الذي بدأه أولا أبوه الخليفة الرضي أمير المؤمنين رضي الله عنهم في رسالته المشهورة بالعدل والنهي عن المنكر المؤرخة بالسادس عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة التي كتبها في الحضرة العلية تينملل حين زيارته قبر المهدي رضي الله عنه إلى جميع الطلبة والأشياخ والعمال من الموحدين ببلاد العدوة والأندلس ، فاقتفى رضى الله عنه في ذلك أثره » (انظر نفس المرجع ص 307) .

2) في الأصل : منفوض .

3) في الأصل : معضوض .

4) في الأصل : والبدل .

5) في الأصل : تعويض .

تعالى عنه لتجديد عهد به تقادم ، وشفاء شوق إليه لزم ولازم ، والنظر في بناء مسجده المكرم تمتعا ببركاته ، ورجاء في تضاعف الأجر بكل لبنة من لبناته [1] ، وحرصا على أن يتوافر به حظ التوفيق وقسمه ، ويعلو في الملأ الأعلى ذكره ورسمه ، ورغبة في رفع بيت من أفضل البيوت التي أمر الله عز وجل أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولتنعم الجوارح بمشاهدة [2] هذه المشاهد المنعمة ، والمواسم المعظمة ، وتتزود بالتطوف على معاهدة ما عهدته العوارف المتممة ، كل ذلك غرضا في ذات الله تعالى نفرضه ، وأمر يستحب المرء إليه طلب ذلك الخير ويستنهضه [3] .

وقد تم – بحمد الله تعالى – هذا الوطر [4] ، واقتضي الإياب إلى النظر في المصالح والرأى الجميل النظر ، وتفجرت – بحمد الله تعالى – منابع الخير وفاضت ، وعادت روابض الأمر إلى أشرف حالاته وآضت ، وانبعثت موارد البركات بعد ما غارت فى غير هذا الزمن المذكور وغاضت ، ونسأل الله تعالى عونا على شكر هذه النعم التي عمت ملابسها ، * ووعت [5] الأفئدة نفائسها ، ٦٢
وخاب عن رحماها خاسر الكلمة وبائسها .

وإن الله تعالى قد قضى بأن يكون شرف صاحبه به وامتساكه ، وبين العدل والجور حياة العالم وهلاكه ، فالسعيد من لقى ربه مُبَرَّءاً من اتباع الهوى سليما ، والشقى من أتى مليما ، باكتساب الكبائر ملوما ، ﴿ ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليما حكيما [6] ﴾ ، والله سبحانه يهب الرحمة

---

1) في الأصل : لبانه .
2) في الأصل : بمشهادة .
3) في الأصل : وتستنهضه .
4) في الأصل : الوطن .
5) في الأصل : ونعت .
6) سورة النساء ، آية رقم 111 .

المسترحمين ، ويهب الرفق ويحل به كنفه الأمين ، وفى الحض على ذلك يقول وهو أصدق القائلين : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين [1] ﴾ ، وبرحمته سبحانه بسط لعباده النعماء ، وبرأفته كشف عنهم العماء ، قال النبي ﷺ : إنما يرحم الله من عباده الرحماء [2] .

وقد اتصل بنا - وفقكم الله تعالى - أن من لا يتقي الله تعالى ولا يخشاه ، ولا يراقبه فى كبيرة يغشاها وتغشاه ، ولا يؤمن بيوم الحساب فيما أذاعه [3] من المنكر وأفشاه ، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار . وينتشرون بالقتل بأعراض الناس أقبح الانتشار ، يستحلون [4] حرمات المسلمين من غير حلها [5] ، ويسارعون إلى نقض عقد الشرع وحلها ، ويصفون الشدة والغلظة بطراً ورياء فى غير محلها ، ويبتدعون من وجوه المظالم « ما تضعف شواهق الجبال عن حملها ، | ٨٨ أ
ويستنبطون من فواحش الآثار ما تذهب نفوس المؤمنين لأجلها ويتسببون إلى قتل المسلمين فضلا عن استباحة أموالهم وأعراضهم بتلبيسات ينشئونها ، ومزورات يضيفونها إليهم وينسبونها ، وينظرون إلى اهتضام حق الله تعالى فيهم بأباطيل يعدونها ظلما ويحسبونها ، ويسعون فى استئصال نفوسهم بكل قاطعة موجعة ، ويعيثون [6] فيهم بكل غاصبة للقلوب منتزعة ، والنبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم يقول : « من قتل عصفورا بغير حق عبثاً جاء يوم القيامة وله

1) سورة الشعراء ، آية رقم 215 .

2) ورد هذا الحديث الشريف في صحيح البخاري (كتاب الجنائز) 79/2 ؛ وفي سنن أبي داود (باب البكاء على الميت) 58/2 ؛ وفي سنن ابن ماجة (باب ما جاء في البكاء على الميت) 481/1 ؛ وفى صحيح مسلم 39/3 ؛ وفي سنن النسائي 22/4 .

3) في الأصل : اداعه .

4) في الأصل : يستحبون .

5) في الأصل : حلها .

6) في الأصل : ويعبثون .

صراخ عند العرش يقول : يارب ، سل هذا فيم قتلني عبثا من غير منفعة ؟ » ،[1] ولا يلتفتون إلى عاقبة ولا ينظرون ، ولا يُمِرُّون بآذانهم ما يفعل الله تعالى بأمثالهم ولا يحذرون ، ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ ،[2] هيهات ! هيهات ! إنهم ساء ما كانوا يعملون ، تالله ليأتينهم من العقاب الأليم فى أقرب أمد ما يهدهم هدا[3] ، ويجعل بينهم وبين النجاة من اشتداد الهلكة سدا ، ويستأصلهم[4] بصواعق الانتقام فقد جاءوا شيئا إدا .

| 58 ب | أما « علموا أن الله تعالى يطلع على نجواهم ، ويوقعهم فى مهاوي بلواهم ، ويلبسهم أردية سرائرهم فيما استهواهم الشيطان به واستغواهم ؟ أما علموا أن أمر المهدي رضي الله تعالى عنه تساوى فى الحق به أضعف المسلمين وأقواهم ؟ ألم يقل رسول الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ[5] دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم »[6] ؟ لقد أمنوا مكر الله جرأة عليه وإقداما ، وأعمت الشهوات بصائرهم إذهابا لنور الحق من نفوسهم

---

1) أورد هذا الحديث الإمام ابن حنبل فى مسنده مخرجا إياه عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضه) . انظر عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير فى شرح الجامع الصغير 192/6 - 193 .

2) سورة البقرة ، آية رقم 9 ؛ وقد جاء فى الاصل : « ... وما يخادعون إلا أنفسهم » .

3) في الاصل : هدى .

4) ويتأصلهم .

5) في الاصل : تتكفى ، ولعلها كما أثبتنا .

6) جاء في صحيح البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) : « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (97/9) ، والذي ذكره الإمام البخاري هو أن ذلك لم يكن حديثاً نبوياً شريفاً ، وإنما كان مكتوباً فى صحيفة قرأها على بن أبي طالب (رضه) فى إحدى خطبه ورواه النسائي مختلفا بعض الشيء في ألفاظه ، إذ قال إن قيس بن عباد والاشتر انطلقا إلى علي (رضه) فسألاه : هل عهد إليك نبي الله (صلعم) شيئا لم يعهده إلى الناس عامة ؟ قال : لا ، إلا ما كان فى كتابي هذا . فأخرج كتابا من قراب سيفه فإذا فيه « المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم .. الخ » (سنن النسائي 19/8 - 20) ؛ ورواه ابن ماجة عن طريقين مختلفتين مع بعض الخلاف في ألفاظه (سنن ابن ماجة 150/2 - 151) ؛ ورواه كذلك أبو داود فى (السنن 249/2) .

وإعدامًا ، وتالله لو تعين لنا فاعل ذلك وتشخص ، لما خرج من حبالة مكره ولا تخلص ، ولسارع إليه من أسرع عقابنا ما يمحو رسمه محو الفنا ، ويكتب بديه بما قدمتا من الخنى [1] !.

ولقد ذكر لنا فيما ذكر من تلك المظالم ، المستغرقة لأنواع المآثم ، الموبقة لأهلها حين يقرع سن الندم النادم ، أن أولياءك الخائضين فى غمرات أبحرها ، المثيرين لأسباب منكرها ، الصارمين لعلق الشريعة القاطعين لأبهرها ، يمدون أيديهم إلى ضرب الناس بالسياط إبلاغا فى الانتهاء بكثرتها وإمحاشا [2] ، ويتسببون بذلك إلى أخذ أموال الناس إيغاراً للصدور وإيحاشا [3] . وذلك » أمر معاذ الله أن | ٦٧
يرضى به مؤمن بالله ، أو يتجه إليه حق بنوع من الاتجاه ، ما أبعد العدل أصلحكم الله تعالى - عن هذه الأمثال والأشباه !

وقد علمتم أن عادتنا فيمن يستوجب الضرب أو يستحقه ، ممن يظلم الأمر الشرعي أو يعقه ، حدود معلومة ، دون إفحاش ولا انتهاك ، ومواقف مرسومة ، تقابل كلا بمقتضى جرمه من أثيم أو أفاك .

ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات [4] وتحجير المراسي [5] وغيرها ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرما وإفكا ، وأدناها إلى من تولاها دمارا وهلكا ،

---

1) في الأصل : الغنى .

2) في الأصل : وإمحاشا ، والإمحاش هو سحج الجلد (أي خدشه بشدة) أو إحراقه .

3) في الأصل : وايحاشا .

4) القبالة هي في الأصل الضريبة التي تدفع لبيت المال ، وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة على ما يقضي به الشرع ، وكانت هذه الكلمة تستخدم في المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التي كان يؤديها أهل الحرف أو بائعو السلع الرئيسية (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 2/305 - 306) .

5) في الأصل : المراصي ! وتحجير المراسي يعني به منع التصرف فيها والحجر على حرية الانتفاع منها ، وهو مأخوذ من الاصطلاح الشرعي « التحجير » بمعنى الحجر وهو منع التصرف (انظر دوزي : ملحق القواميس العربية 290/2) .

وأكثرها في نفس الديانة عيثا وفتكا ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! هل قام هذا الأمر العالي إلا لقطع أسباب الظلم وغُلقه ؟ وتمهيد [1] سبيل الحق وطرقه ؟ وإجراء [2] العدل إلى غاية شأوه [3] وطلقه ؟ اللهم إنا نشهدك أن سبيلنا سبيلك ، وإنا نستعيذك مما استعاذك منه محمد رسولك . روى عنه ﷺ أنه قال : « أعوذ بالله من المغرم والمأثم [4] » تنبيها على ما في إغرام الناس من الظلم المظلم . ولئن نقل إلينا – والله الشاهد – أن نوعا من هذه الأنواع المحرمة ، أو صنفا من تلك الأصناف المظلمة ، يتولاه أحد هنالك من البشر ، أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر : لنعاقبنه بمحو أثره ، عقابا يبقى * [عظة [5]] لمن اتعظ ، وعبرة لمن تنبه لزاجر الحق واستيقظ . [٩٧ ب]

وإن من ذلك الرأي الذميم ، والسعي المنقوم ، ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها ، والطوائف المارة على البلاد لمعنى تجارتها ، يتسبب إليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش طي ما يوهمون به من النصيحة ، ويستبطنون [6] المكر في تصرفاتهم القبيحة ، فيقولون للرجل منهم : عندك من حقوق الله كيت وكيت ، وإن للمخزن جميع ما به أتيت ! ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله ، ويعتقد [7] السلامة من ذلك الظالم الغاصب أعظم مناله ، وإنها لداهية [8] عاقرة ، قاصمة للظهرة فاقرة ، ويا عجباً لكم – معشر الطلبة والشيوخ وكافة الموحدين – فإنكم بذلك مطلوبون ، وما حجتكم وما أنتم على حق كيف

---

1) في الأصل : وسد ، ولعلها تحريف عما أثبتنا .

2) في الأصل : أجزاء .

3) في الأصل : شهوة .

4) أورده النسائي في جملة ما يتعوذ به في الصلاة (السنن 57/3) .

5) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل .

6) في الأصل : ويستبطون .

7) في الأصل : ونعتقد .

8) في الأصل : لذاهبة .

تكيف هذه الكبائر وأنتم للأمور هنالك رصد [1] ؟ أم كيف تجري هذه المظالم ، وقد قام الحق أود ؟ أم كيف تكون الدماء على هذه الصورة تسفك ؟ والحرمات تنهك ؟ ولا يتعرض لذلك منكم أحد ؟ كلا ، ليعاقبن كل من [2] عتى ، وليظهرن ما قصد القاصد وما عنى . وإن وراء قولنا ، لتتبعا يبحث [3] عن ذلك ويمحص ، ونظراً يفرق بين المشكل منه ويخلص !

ولاشك — والله أعلم — فى أن أسباب تلك المنكرات ، ودواعي تغير تلك الأحوال المتغيرات ، قوم يتوسطون بينكم وبين الناس ، ويقولون ما لا يفعلون ذهابا إلى التدليس عليكم والإلباس ، ويجعلون النفير بالظلم والعدوان بدلا من العدل والقول الجميل والإيناس ، وذلك لغيب المباشرة ومباينتها ، وبعدكم عن مشاهدة الأمور ومعاينتها ، والتحجب عن مطالعة الأمور داعية كبرى لفسادها واختلالها ، وسبب [4] قوي فى انتقاضها واختلالها ، وفرصة لوسائط السوء بانهمالها فى البواطل واسترسالها ، فلا تكلوا النظر فيها إلى أحد سواكم ، ولا تبعدوا بغلظ [5] الحجاب عما قصدكم من الخير ونواكم ، وباشروا الأحكام هنالك مباشرة المتعهد المتفقد ، وعليكم بالتواضع لأمر الله تعالى وترك الاستعلاء المتنقد ، وتحفظوا فى جانب المسلمين من كل خفيف المقال ، كثير الاضطراب فى الباطل والانتقال ، فقد نهى رسول الله ﷺ عن القيل والقال ، وتثبتوا [6] — وفقكم الله — فى الأحكام التى لابد لكم من النظر فيها تثبت البحث عن حقائق الأمور والاستقصاء ، وتعهدوا الناس بالتحذير من اللدد في الخصام ، وبالغوا فى الإيصاء .

---

1) كرر الناسخ هذه الجملة فى الأصل .

2) فى الأصل : ما .

3) فى الأصل : نحث .

4) فى الأصل : ونسب .

5) فى الأصل : بغلط .

6) فى الأصل : وثبتوا .

ولا تظنوا أن الاجتهاد في الأمور يؤدي إلى الهجوم عليها والاقتحام ، ويخرج
[٥٠ ب] النظر عن التثبت في القضايا والأحكام ، فاذهبوا فيها » مذهبا وسطا ، واقصدوا الاعتدال مقصدا مقسطا ، ولا تجتهدوا في شيء لا تعلمون فيه حكما ، وشاورونا فيما يخفى عنكم وجهه لنرسم لكم فيه رسما ، فليس كل مجتهد مصيبا برأيه ، ولا كل هاجم على رأي منجحا في سعيه ، وبين طرفي الأحوال واسطة جميلة فيها معقد السياسة ومناطها ، وخير الأمور – كما قال عليه الصلاة والسلام – أوساطها .

وعليكم أن تبحثوا بغاية جدكم عن أولئك المسببين لتلك القبائح الساعين في صد ما يرضاه الله تعالى من المصالح ، وتعرفونا بهم بعد تثقيفهم لنشرد بهم من خلفهم ، ونكف بعقابهم نوعهم الظالم وصنفهم ، وقد استخرنا الله في سد تلك الذريعة ، وصد تلك الأفعال الشنيعة ، فرأينا أن ترفعوا إلينا أحكام المذنبين للكبائر ، وتعلمونا بنبأ كل من ترون أنه يستوجب القتل بفعله الخاسر ، دون أن تقيموا الحد عليه ، أو تبادروا بالعقاب إليه ، ولا سبيل لكم إلى قتل أحد من كل من هو في بلاد الموحدين وأنظارهم ، ومن هو معهم وداخل في مضمارهم ، وكل من ترون أنه يستوجب القتل ، ممن يريد المكر في أمر الله والختل ، فعرفونا بجلية [1] أمره وتصحيحه ، وخاطبونا بميز أمره ومشروحه ، لينفذ فيه من قبلنا ما يوجبه الحق ويقتضيه ، ونمضي في عقابه ما ينفذه الشرع ويمضيه ، فإياكم من مخالفة أمرنا هذا
[٥١ أ] في قتل أحد ممن » ذكرناه كائنا من كان ، كبر ذنبه عندكم أو هان ، ولتبادروا إلى إعلامنا بذنبه بعد سجنه وتثقيفه لنقابله بما نراه ، ونجرى الحق فيه مجراه .

وإنه أعلمنا بأن من يرضى من تلك الفواحش بما يرضاه ويستبيحه ، ولا يبالى أحسن الفعل فعله أم قبيحه ، يبتاع المرأة ويبيعها دون استبراء [2] ، ويعبث في

---

1) في الأصل : سجلية .

2) في الأصل : استتار ، والاستبراء هو التلبث على المرأة حتى تحيض ، ويتأكد عدم حملها .

[illegible] إقدام على الله تعالى واجترائه ، ولا يتحفظ من مواقعة الزنا المحض ، ومخالفة الواجب مع المرض ، وإن في ذلك من اطراح ما أمر الله تعالى به من اتباع الشرع ، وإفساد الأصل من السنة والفرع ، ما لا يحل [1] سماعه ، ولا يستقر بنفس مؤمنه استطلاعه . فلا سبيل لأحد ممن هنالك أن يبتاع شيئا منهن أو يبيع ، حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضيع . ولتقدموا للنظر في أسواقهن من ترضون دينه وأمانته ، وتتحققون ثقته وصيانته . فمن أبيح له البيع والابتياع أحضره الأمين المذكور ليرتفع بشهادته الشك والنزاع ، ولتجري السنة مجراها ويمتثل الأمر المطاع . وكذلك فليتوقفوا عن بيع النساء في جميع من تحصوله منهن في تلك الارجاء ، حتى تخاطبونا بأصل أمرهن وكيفيته ، وتعلمونا من ذلك بجليته . لنرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم ، ويجرى إليه اقتصادكم .

والله الله في البحث على الخمور ! وتقديم النظر في أمرها فهومن أهم الأمور ، فإنها مفتاح الشرور ، ورأس الكبائر والفجور ، وهي رابطة أهل الجرم ، وجامعة أشتات الظلم ، قال النبي صلى الله وملائكته الكرام عليه وسلم : [61
« الخمر جماع الإثم [2] » ، فخذوا في طلبها في المواطن المتهمة بشانها ، واجتهدوا في إراقتها وكسر دنانها ، واعمدوا إلى السبب الذي يؤدي إلى التمكن منها فارعوه واحظوه ، واطرحوا الإغفال لذلك والفظوه ، وقدموا أمناء متخيرين للتطوف على مواضع الترتيب ، يكون بالمحافظة على ذلك محل الكالئ الرقيب ، ولا يكن منهم إلا من يفرق بين الحلال والحرام ويميز ، ويعرف ما يجوز شربه وما لا يجوز ، ومروهم بالتعهد لمواضع بيع الرُّبِّ واعتصاره وخذوهم بتوقف جدّهم على ذلك

---

1) في الأصل : يحمل .

2) لم نجد هذا الحديث بلفظه في كتب الصحاح المعروفة ، وأقرب ما ورد إليه هو ما خرجه ابن ماجه في السنن (327/2) عن أبي الدرداء (رضه) أنه قال : أوصاني خليلي (صلعم) لا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر » وعن خباب بن الأرت عن النبي (صلعم) أنه قال : إياك والخمر ، فإن خطيئتها تفرع الخطايا كما أن شجرتها تفرع الشجر .

واقتصاره ، فما حل منه أباحوه ، وما كان غير ذلك قطعوه أصلا وفرعا وأراقوه . « الحلال بين والحرام بين [1] » ، ولقضايا الشرع نظام ؛ قال رسول الله صلى الله تعالى وملائكته الكرام عليه وسلم : « ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام [2] » .

وإن ممن [3] يسعى في نوع من أنواع الفساد ، ويستصحب الإضرار بالمسلمين في الإصدار [4] والإيراد ، هؤلاء الراقصين [5] الذين يردون بالكتب ويصدرون ، ويمشون فيما بيننا وبينكم وينفرون ، فإنه ذكر لنا أنهم يأخذون الناس بالنظر في كلفهم ، ويلزمونهم في زادهم من كل موضع وعلفهم ، وهذا فعل كل
[102 أ] فرقة منهم في سيرها ، وسوء رأيهم [6] بذلك « في المخازن وغيرها ؛ وإن من جملة ما حكي عنهم أنهم يتألفون في الطرق جموعا ، ويحلون بأفنية الناس حلولا شنيعا ، يكلفونهم مؤناتهم تكليف المجرم [7] ، ويتحكمون عليهم بحكم المغرم ، حتى إنهم لا يرضون في ضيافاتهم إلا بأسمن الجزر ، وناهيكم بهذا الاجتراء العظيم الضرر ؛ فسارعوا - وفقكم الله تعالى - إلى حسم [8] هذه العلة من أصلها ، وبادروا إلى قطع تلك العادة الذميمة وفصلها [9] ، وتخيروا لرسائلكم أرسالا ، وانتقوا من أهل

---

1) أورد هذا الحديث البخاري (الصحيح 20/1) ؛ ومسلم (50/5) ؛ وابن ماجة (476/2 - 477) ؛ وأبو داود (82/2 - 83) ؛ والنسائي (242/7 - 243) .

2) الذي جاء في كتب الصحاح « ما أسكر كثيره فقليله حرام » (انظر فيض القدير للمناوى 420/5 ؛ وسنن ابن ماجة 332/2 ؛ وسنن النسائي 300/8 - 301 ؛ وسنن أبي داود 130/2) ؛ وقد جاء في فيض القدير (نفس الموضع المشار إليه قبل) وفي سنن أبي داود كذلك حديث آخر أشبه بهذا ، وهو « ما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام » (والفرق بفتحتين مكيال يسع ستة عشر رطلا) .

3) في الأصل : من .

4) في الأصل : الإصرار .

5) الرافص مثل الرقاص التي سبق التعليق عليها ، والمقصود هو حامل البريد . ص 163

6) في الأصل : وسواء وأيهم .

7) في الأصل : المجترم .

8) في الأصل : تحسيم ، ووضع الناسخ عليها علامة شك ، فلعلها ما أثبتنا .

9) في الأصل : وفضلها .

المدارين على ذلك والثقة [1] رجالا ، وادفعوا إليهم زاداً يقوم بهم في المجيء والانصراف ، ويقطع شأنهم عن التكليف والإلحاف ، وارسموا لهم أياما معروفة العدد ، معلومة الأمد ، لينتهوا بها إلى مواقف رسائلهم ، ويوزعوها على مسافات مراحلهم ، وحذروهم من تكليف أحد من الناس ولو مثقال ذرة ، وأوعدوا من تسبب منهم إلى مسلم بمساءة أو مضرة ، والله تعالى المستعان على دفع أسباب الجور ، ونستعيذ به سبحانه من الحوْر [2] .

وكذلك ذكر لنا وفقكم الله تعالى من التحكم في الأموال ، وقلة المبالاة بالتفريق بين الحرام منها والحلال ، أن أولئك الذين ذكرت خدعهم ، ووصفت غرضهم الذميم ومنزعهم ، يفعلون في أموال الناس ما تقدم ذكره ، وشرح مكره ، وتمتد أيديهم إلى المخازن هنالك فيعيثون [3] فيها ويتحكمون ،
١٢ | ويجرؤون في التعدى عليها ملء شأوهم « وأنفسهم يظلمون ، فاتقوا الله تعالى فيها ، فإنها أمواله المخزونة في أرضه ، وبادروا إلى كف كل معتد وقبضه ، ولا سبيل لكم أن تنفدوا منها قليلا ولا كثيرا إلا بعد استئذاننا [4] وتعريفنا بالدقيق والجليل مما هنالك ، وهذا أمر منا لكم ولكل من وقف على كتابنا هذا من الطلبة والشيوخ والموحدين كافة ، أمراً دائما لازما ، سنته بالاستمرار مستظلة ، وصحته بفضل الله لا تدخلها تعلة .

وقد خاطبنا بمثل ما خاطبناكم به جميع الطلبة والموحدين وكافة البلاد التى هي بالدعوة المهدية معمورة ، وبكلمة الإيمان مشرقة [5] منيرة ، فأمرنا بجميع فصول

---

1) في الأصل : واثقة .

2) في الأصل : الجور ؛ والحور هو النقصان ، وفي هذه العبارة إشارة إلى الحديث النبوي الشريف « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » أي من النقصان بعد الزيادة أو من فساد أمورنا بعد صلاحها

3) في الأصل : فيعيشون .

4) في الأصل : استدانا .

5) في الأصل : مشرفة .

كتابنا هذا إليكم ولسواكم شامل ، وفي كافة أقطار الموحدين نافذ عامل ، فمن خالفه بوجه من وجوه الخلاف فقد تبين عناده ، وساء في العاجل والآجل مآله [1] ومعاده ، ومن لم يمتثله بواجب الامتثال ، ويكف يده عما رسمناه في كافة الأحوال ، فقد تعرض لأشد العقاب وأوحاه [2] ، واستقبل من ارتكاب النهى ما يصده الانتقام به عن سوء منحاه ، فاستصحبوا حدنا هذا استصحابا مؤبدا ، واتخذوه فى كافة أحوالكم مستندا ومعتمدا ، وعلى كل من إلى نظركم من أهل تلك البلاد المنتظمة في سلك التوحيد ، الآخذة بالمذهب الرشيد ، عون الأمير – أيده الله
[61 أ] تعالى – على بسط * العدل ، وإفاضته على الكل ، ورفع لعبء ثقل [3] وكَلّ : أن يسلكوا فى جميع تصرفاتهم سبيل الاستقامة ، ويستمروا على استعمال الحقائق والمواصلة على ذلك والاستدامة . ويتجافوا عن مواقع الظلم فالظلم ظلمات يوم القيامة ، وينقادوا [4] للواجبات بداراً إليها وإسراعا ، ويكونوا [5] في التساعد على الصلاح كالنفس الواحدة تألفا واجتماعا .

ولما كان هذا الأمر عندنا – وفقكم الله تعالى – أهم أمر وأوجبه ، وأحق ما أدناه الحق وقربه ، وكان اهتمامنا به قد جعله على كل حالة مقدما ، وأنفذه بأمر الله تعالى إنفاذا ملتزما ، رأينا أن نجعل في كتابنا هذا علامة بخط يدنا ، وها هي قد رفعت الإشكال رفعا بَيِّنا ، وأرتكم فرط اهتبالنا حقا مُبَيَّنا ، فبادروا إلى تلقيها بالامتثال والمسارعة ، وصلوا ابتداء شأنها بالمواصلة له والمتابعة ، وأحضروا للاجتماع على هذا الكتاب جميع من فى تلكم البلاد من الطلبة والعمال ، وكافة المقدمين

---

1) فى الأصل : فآله .
2) أي أسرعه .
3) فى الأصل : ورفع العبد المثقل وكل ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، والكل (بفتح الكاف) هو الثقل من كل ما يتكلف ، ويطلق على العيال .
4) فى الأصل : وينقاد .
5) فى الأصل : ويكون .

الأعمال ، ولا تقدموا أمرا من الأمور على إنفاذ جميع ما تضمنه ، والاعتمال بكل ما شرحه وبينه ، ولا تشتغلوا بشغل قبل الاشتغال بمعانيه ، وبما أمركم به على قواعده ومذاهبه ، ومخاطبتنا بما يكون منكم في تلقيه ، واتباع ما ينهيه إليكم ويلقيه ، واقرأوه على الكافة أعالي المنابر ، واستحضروا له وفود القبائل من البوادي والحواضر ، وأسمعوا به إفصاحا وإعلانا ، وأشربوه قلوب الناس جماعات ووحدانا ، وأحسنوا إيصال أغراضه [1] إليهم ، فإن الله تعالى يجزي الاحسان إحسانا .

فإذا تفرغتم من قراءته على الجماهير ، وبلغتم حجته بواجب التبليغ والتقرير ، فاكتبوا منه نسخا إلى كل قبيلة من قبائل ذلك النظر ، وكل كورة من تلك الكور ، وأكدوا عليهم فيما أكدنا عليكم فيه ، من تقديم العمل فيه على كل الوجوه ، وامتثال مضمنه على ما يحبه الله تعالى ويرتضيه ، وحذروهم من التعرض لمخالفته فلا عذر لمن لا يقصده على الفور ويأتيه ، ونحن بمرصد التطلع والتسمع لما يكون منكم ومنهم ، لنقابل بالواجب ما يصدر عنكم وعنهم .

وقد علم الله تعالى أن غرضنا بجميع المسلمين إشفاق وحنان ، وجانبنا لهم دعة مستمرة وأمان ، ولدينا من التراؤف بهم والرفق بجانبهم شان لا يقاربه [2] من فضل الله تعالى شان ، وقد علمتم ذلك منا وخبرتموه ، وجربتموه على مر الزمان وصبرتموه [3] ، فلتتلقوا كل من استرعاكم الله أمره بكل طلاقة ويسر ، ولتنشروا [4] عليهم جناح الرحمة أكمل نشر ، ولتعلموا — رعاكم الله — أن من شملته كلمة التوحيد ، في العهد القريب أو البعيد ، في مضمار واحد من العدل محمولون ، وأنكم عن كل من هنالك مسئولون ، ولفظ الموحدين بيننا وبينهم جميعا ، والحق يسلك بينهم من التناصف مسلكا مشروعا ، وقد ألفت الكلمة بينهم ، فبعضهم

---

1) في الأصل : إعراضه .
2) في الأصل : يفارقه .
3) كذا في الأصل ، وربما كانت « وسبرتموه » .
4) في الأصل : ولينشروا .

لبعض في الخير أسوة ، وقد قال الله تعالى « إنما المؤمنون إخوة »[1] ، فاعتقدوا
[104 أ] فيهم هذا الاعتقاد الجميل قصداً » إلى مرضاة الله تعالى وإتيانا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، وأحسنوا بهم رعاكم الله – ظنا ، وعودوهم الخير لفظا ومعنى ، وتخلقوا معهم بمحاسن الأخلاق ، وقولوا للناس حسنى ، واستألفوا الناس بالتي هي أحسن ، وابذلوا لهم من المساعدة في ذات الله تعالى غاية ما يتمكن ، وانهجوا لهم من المبرات منهجا يبدو به مضمركم الجميل ويتبين ، وسيروا بصالح عملكم وبشروا ، ويسروا – كما قال عليه الصلاة والسلام – ولا تعسروا[2] ، وسكنوا ولا تنفروا .

واعلموا أن السعي في هذا الغرض الواجب ، والاعتمال في رفع ذلك المانع الحاجب ، لا يتأتى لكم جملة واحدة ، حتى تكون نفوسكم متآلفة عليه متساعدة ، وتعاونوا على مرضاة الله تعالى تعاونا يجمع في الصلاح آراءكم ، ويضمن النجح التام لكم ولمن وراءكم ، فعليكم بالمظافرة ، والمناصرة والمؤازرة ، فهي سواعد السعد ، قواعد الود ، وشيم الكرام الحافظين للعهد ، وبها يعمر محل الرضى وندبه ، وبه أوصى الله تعالى ورسوله ومهديه .

وقد نصحنا لكم فاقبلوها نصيحة قصدت في ذات الله تعالى قصدها ،
[104 ب] وذكرناكم بهذه التذكرة فاستقبلوا رشدها ، ونبهناكم تنبيها » بالغا ، وللحال ما بعدها ، جعلنا الله تعالى وإياكم ممن امتثل أمره المطاع بخالص نيته ، وأفرغ الرحمة على قالب سجيته ، وحفظ ما استرعاه الله تعالى ، فكل راع مسئول عن رعيته .

وكان مما بعثنا – وفقكم الله تعالى – على تنبيهكم وإذكاركم ، وإيقاظكم للنظر في تلك المصالح وإشعاركم ، ما ألفيناه بحضرة مراكش – حرسها الله – من بعض تلك الأنواع ، مما أحدثه فيها بعض أهل الابتداع ، كنوع القبالة ، وما يجرى مجراها في وجوب الإزالة والإحالة ، فإنا كنا لا نبحث عن ذلك ، لتخيلنا أنه

---

1) سورة الحجرات ، آية رقم 10 .

2) تمام الحديث « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » (انظر فيض القدير للمناوي 361/6) .

لا يجوز أحد أن يسلك في هذا الأمر الذي أظهره الله تعالى بتلك المسالك ، فلما كان الحق مما يجب ، وزال [1] عن وجه المشاهدة ما كان يحتجب ، اطلعنا على ذلك وأنكرنا ما كان نكيرا ، وأزلنا بعون الله تعالى ما كان محذورا بالشرع محظورا ، حتى تطهر ثوب الأمن من دنسه ، وتجلى الوجه الخالص عن ملتبسه ، واقتبس نور الحق من مُقْتبسه ، وجرت الأمور على ما عهدناها عليه من الاعتدال والقوام ، بحكم ما أحكمه الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه في القضايا والأحكام ، وإذا كان الافتيات في شيء من هذا ونحن على اقتراب ، فكيف الأمر فيمن هو في حكم « بُعْدٍ عنا واغتراب ؟ !

فانظروا هذا – وفقكم الله تعالى – نظر أولي الألباب . ولتسعوا جهدكم في رفع ذلك العمل المستراب ، ولتذهبوا إلى إظهار أمر الله سبحانه على موجب الكتاب .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

* * *

(1) في الأصل : وأزال .

مدة خلافته رضي الله تعالى عنه :

بويع رضي الله تعالى عنه إثر موت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة بيعة خاصة ، وأعلن ببيعته حين أعلن بموت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما عام تسعة وعشرين وخمسمائة [1] ؛ وكانت مدة خلافته رضي الله تعالى عنه اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر غير ستة أيام .

* * *

1) هكذا ذكر ابن القطان ، وأكد ذلك أيضا ابن عذارى فى البيان المغرب (312/1) ، ويقول أويثي إن ابن الأثير يتفق معهما أيضا على هذا التاريخ ولو أننا لم نجد في « الكامل » نصا صريحا على ذلك ، أما البيذق فإنه يجعل البيعة العامة لعبد المؤمن في سنة 527 (أخبار المهدي ص 133) وكذلك ابن صاحب الصلاة (فيما ينقل عنه ابن أبي زرع فى الروض ص 184) وابن خلدون والسلاوي اللذان يذكران أن أصحاب ابن تومرت المقربين إليه كتموا وفاته ثلاث سنوات مما يفهم منه أن البيعة العامة لعبد المؤمن كانت فى سنة 527 (انظر العبر 229/6 والاستقصا 100/2) ؛ غير أن ابن أبي زرع والسلاوي يعودان فيجعلان البيعة في يوم الجمعة 20 من ربيع الأول سنة 526 أي بعد وفاة المهدي بسنتين على الرغم مما أشرنا إليه من نقلهما عن ابن صاحب الصلاة كون هذه البيعة فى سنة 527 (الروض ص 186) ، وقد ذكر أويثي أن هذا التاريخ الأخير خاطئ إذ أن يوم 20 ربيع الأول المذكور لم يكن يوم جمعة وإنما يوم أربعاء ، فضلا عن أن ابن أبي زرع كثير الغلط غير جدير بالثقة في كل ما يقول ؛ ويرى أويثي أخيرا أن ما ورد هنا إنما هو على الأرجح تحريف من ناسخ المخطوط لسهولة الخلط بين رقمي « السبعة » و « التسعة » ، على أننا نستبعد هذا الرأي ، إذ أننا سنرى ابن القطان في أخبار سنة 529 يعود إلى تأكيد ما ذكره هنا من أن الإعلان ببيعة عبد المؤمن تم في هذه السنة (انظر مناقشة أويثي للآراء المختلفة حول هذه الناحية في « تاريخ الدولة الموحدية » ص 109) .

عمره رضى الله تعالى عنه :

قيل ثلاث وستون سنة ، وقيل أربع وستون سنة [1]

وقت وفاته ومدفنه رضي الله تعالى عنه :

توفى قبل الفجر يوم الثلاثاء [2] الثامن من شهر جمادى الآخرة عام ثمانية وخمسين وخمسمائة ، [3] ونقل رضي الله تعالى عنه إلى تينملل شرفها الله تعالى يوم الجمعة غرة شعبان المكرم عام ثمانية وخمسين وخمسمائة ،

* * *

---

1) نقل ابن أبي زرع الرأيين وأسند الأول إلى ابن الخشاب ، والثاني إلى ابن صاحب الصلاة (الروض ص 202) ، وأما عبد الواحد المراكشي فقال إن عبد المؤمن ولد سنة 265 (المعجب ص 197) ، وقال ابن خلكان إنه ولد سنة 500 وقيل إنها كانت سنة 490 (الوفيات 239/3) ، أما ابن عذارى فإنه نقل عن أبي زكريا يحيى بن وسنار (فى الأصل : بن سنان) أن عمره كان ثلاثا وستين سنة ، وقيل : أربعا وسبعين (البيان المغرب - الطبعة الثانية - ص 55) .

2) فى الأصل : الثلاثة .

3) يتفق كل المترجمين لعبد المؤمن على أنه توفي في شهر جمادى الآخرة سنة 558 ، غير أنهم يختلفون فى تحديد اليوم ، أما البيذق فإنه يتفق مع ابن القطان فى أن ذلك كان فى يوم الثلاثاء الثامن من هذا الشهر (أخبار المهدي ص 83) ، وكذلك ابن أبي زرع فى أحد قوليه (الروض ص 202) والسلاوي (الاستقصا 139) ، ولو أن هذين المؤرخين يجعلان الثامن من جمادي الآخرة موافقا ليوم جمعة لا ثلاثاء ، وأما ابن عذارى فإنه يحدد وفاة عبد المؤمن بليلة الخميس العاشر من جمادي الآخرة (البيان المغرب ص 55) ، ويوافق ابن أبي زرع في قول آخر له على العاشر من هذا الشهر إلا أنه يجعله يوم ثلاثاء (202) أما عبد الواحد المراكشي فإنه ينفرد بإيراد تاريخ السابع والعشرين من الشهر المذكور (المعجب ص 208) ؛ وأقوال المؤرخين المشارقة مضطربة فابن خلكان والنويري يجعلان ذلك فى العشر الأخير أو الآخر ([illegible]) من ذلك الشهر (الوفيات 239/3 ؛ ونهاية الأرب ص 214) ؛ ويحدده ابن الأثير بالعشرين من جمادي الآخرة (الكامل 81/9) . وقد رجح أويثي في بحثه هذا التاريخ ما استقر عليه ابن القطان والبيذق أي الثامن من جمادي الآخرة الموافق ليوم الثلاثاء 14 مايو سنة 1163 م. (انظر تاريخ الدولة الموحدية 209/1) .

* أولاده الكرام رضى الله تعالى عنهم أجمعين : [1] | ٩٤ب |

فمنهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين أبو يعقوب رضي الله تعالى عنه ، وشقيقه السيد الأسني أبو حفص [عمر] ، [2] والسادات المكرمون أبو عبد الله ، [3] وأبو محمد عبد الله صاحب بجاية ، [4] وأبو سعيد عثمان ، [5]

---

1) عن أبناء عبد المؤمن واختلاف المؤرخين حول عددهم وأسمائهم انظر الحلل الموشية (ص 142) ، وابن أبي زرع (الروض ص 202 - 203) ، وعبد الواحد (المعجب ص 266) ، والزركشي : تاريخ الدولتين ص 9 ، وابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة 222 - 223 ؛ وابن عذارى (البيان ص 56) . وانظر كذلك الملحق الثاني من الملاحق التي ذيل بها أويثي كتابه (613/2 - 624) .

2) في الأصل بياض بقدر كلمة ، وقد أضفناها اعتمادا على مختلف المراجع الموحدية ، وأبو حفص عمر هذا هو شقيق يوسف بن عبد المؤمن كما ذكر المؤلف ، وأمهما هي بنت أبي عمران موسى بن سليمان الـ...ملي الكفيف أحد أهل الخمسين (انظر أخبار المهدي ص 34 ، 116 ؛ وروض القرطاس 205 ؛ والمعجب ص 308) ؛ وقد تولى أبو حفص الحجابة لأخيه يوسف كما قاد له الجيوش وتوفي سنة 575 (انظر أويثي : تاريخ 613/2 - 614) .

3) هو محمد أكبر أبناء عبد المؤمن وولي عهده له في حياته ، وقد تولى الخلافة بعد موت أبيه خمسة وأربعين يوما . ثم خلع عن العرش وبويع بعده أبو يعقوب يوسف أخوه (انظر في هذه الأحداث : أويثي : تاريخ 219/1 - 223) .

4) ولاه أبوه عبد المؤمن على بجاية سنة 551 في جملة من ولاه من أبنائه على البلاد ، ولم تكن سنه تجاوز حينئذ خمس عشرة أو ست عشرة سنة ، فلما بويع أخوه يوسف بن عبد المؤمن رفض الاعتراف بخلافته ، واشترك في العصيان مع أخيه أبي سعيد عثمان عامل غرناطة ، ولكنه لم يلبث أن أعطى عهده بالطاعة بعد أن رأى أخاه المذكور يعلن الولاء ويكف عن الثورة ، فقبل منه أبو يعقوب ، وتوجه عبد الله إلى مراكش ليبايع أخاه ، ولكنه مات في الطريق مسموما (انظر أويثي : 620/2 - 621) .

5) أضاف ابن أبي زرع إلى اسمه « صاحب غرناطة » (203) بينما ذكر قبل ذلك أن أباه ولاه سبتة وطنجة (197) ، وقد ولي الجهتين بالفعل في سنة 549 في حياة أبيه مضافا إليها مالقة والجزيرة الخضراء (البيان ص 116 والمعجب ص 293) ، وقد أشرنا إلى رفضه الاعتراف بخلافة أخيه يوسف ثم إفاءته بالطاعة سنة 560 ، وقد كان له نشاط عسكري كبير في الأندلس ، وكانت وفاته في سنة 571 (انظر أويثي 618/2 - 619) .

وأبو علي الحسن ، [1] وشقيقهما أبو الربيع سليمان ، [2] وأبو زكريا يحيى ، [3]
وأبو ابرهيم اسماعيل ، [4] وأبو إسحاق ابراهيم ، [5] وأبو يوسف يعقوب ، [6]

---

1) ولي عمل سبتة لأخيه يوسف ، وفي سنة 564 عاد إلى مراكش ، ثم ولي في سنة 567 قيادة جيش سياره في غزوة وبذة بالأندلس ، وفي سنة 570 ولي عمل إشبيلية واشترك بعد ذلك في سنة 572 مع أخيه أبي الحسن علي في مهاجمة طلبيرة ، وتوفي سنة 574 وهو عامل على إشبيلية (نفس المرجع 620/2) .

2) عين عاملا على تادلا في حياة أبيه عبد المؤمن ، وفي سنة 580 توجه إلى مراكش لمبايعة ابن أخيه يعقوب المنصور ثم اشترك في قتال بني غانية ببجاية فلحقت به الهزيمة ولجأ إلى تلمسان ، ثم عاد بعد ذلك إلى عمل تادلا حيث حاول الثورة على يعقوب المنصور ، ولكنه لم يلبث أن هزم وأسر ، ثم قتل في الرباط سنة 584 (نفس المرجع 622/2) .

3) عين عاملا على بجاية سنة 561 خلفا لأخيه عبد الله المذكور قبل ذلك ، وظل في هذا المنصب حتى سنة 565 حين توجه قائداً على عرب إفريقية إلى الأندلس مع أخيه أمير المؤمنين يوسف ، واشترك بعد ذلك في حملة وبذة قائداً لأهل كومية ، وكانت وفاته سنة 571 وهو مرافق لأخيه يوسف عند عودته إلى مراكش (نفس المرجع 620/2) .

4) أمه بنت ماكسن بن المعز صاحب مليلة ، وولي عمل إشبيلية سنة 561 خلفا للحافظ أبي عبد الله ابن إسماعيل إيجيج ، وفي سنة 563 تولى إرسال بيعة أهل إشبيلية إلى أخيه أمير المؤمنين يوسف ، وفي السنة التالية تلقى طاعة ابن همشك للخليفة الموحدي ، ثم رافقه إلى غزوة وبذة قائداً على عسكر جنفيسة ، وفي سنة 568 توجه هو والشيخ أبو حفص عمر إينتي إلى قتال القومس النصراني المعروف باسم « الببوح » (الأحدب) El Giboso فقتلاه وهزما عسكره . ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد (نفس المرجع 620/2) .

5) ولي قرطبة لأخيه أمير المؤمنين يوسف سنة 563 ، وفي سنة 564 استدعي إلى مراكش ، وفي سنة 567 كان على رأس قبيلة جدميوة في حملة وبذة ، ثم ولي عمل إشبيلية في سنة 576 ، وقام في سنة 578 باستعادة مدينة شنتفيلة من أيدي النصارى وعزل بعد ذلك عن عمل إشبيلية ، وفي سنة 580 اشترك في حملة شنترين ، ويبدو أنه صرح بالسخط على ابن أخيه يعقوب المنصور حينما بويع له بالخلافة في نفس هذه السنة مما أدى إلى نفيه إلى تلمسان . وقد قتل في سنة 583 فتك به أهل تلمسان على ما يبدو (نفس المرجع 621/2 – 622) .

6) لا يعرف من أخباره إلا أنه كان عاملا على مرسية سنة 579 ، وأن أخاه يوسف امتنع عن لقائه حينما ذهب لزيارته في مراكش (نفس المرجع 623/2) .

وأبو الحسن علي ، [1] وأبو زيد عبد الرحمن ، [2] وأبو سليمان داود ، [3] وأبو موسى عيسى ، [4] وأبو العباس أحمد ، [5] رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

بناته رضي الله تعالى عنه وعنهن :

الحرتان المكرمتان صفية وعائشة [6] .

وزراؤه رضي الله تعالى عنه :

السيد الأعلى أبو حفص [7] ابنه [8] رضي الله تعالى عنهما ، وأبو جعفر

---

1) في سنة 551 ولاه أبوه عبد المؤمن على فاس ، ثم استخلفه على مراكش عندما قام بغزوته إلى إفريقية ، وفي سنة 558 قام بحمل رفات والده إلى تينملل لدفنها هناك ، وفي سنة 571 تولى عمل قرطبة ثم استرداد حملة وبذة ومهاجمة طلبيرة بالأندلس ، وعاد بعد ذلك في سنة 576 إلى المغرب ، فولاه أخوه يوسف على افريقية ، ولكنه وقع أسيراً في أيدي العرب ، وفي سنة 580 وكل إليه عمل تلمسان (نفس المرجع 619/2 – 620) .

2) عين عاملا على السوس موطن أمه – بصفة رمزية على ما يظهر لصغر سنه عندئذ (أخبار المهدي ص 116 - 117) ، وفي سنة 594 تولى عمل إشبيلية إلى أن عزله عنها محمد الناصر بن يعقوب المنصور عند توليه الخلافة سنة 595 ، ووجه به الخليفة بعد ذلك إلى سجلماسة حتى سنة 607 حينما أعاده إلى الأندلس عاملا على جيان (نفس المرجع 623/2) .

3) ذكره كذلك ابن أبي زرع في الروض (203) وابن عذارى في البيان (ص 56) ، ولكننا لم نعثر على شيء من أخباره .

4) ولي لأخيه أمير المؤمنين يوسف القيروان سنة 576 بعد فتح قفصة ، وفي سنة 581 وقع في بجاية أسيراً في يد ابن غانية ، بينما كان يزمع الرحلة إلى مراكش لتهنئة ابن أخيه يعقوب بالخلافة ، ثم أطلق سراحه في السنة التالية حينما استرد الموحدون المدينة ، ثم عين بعد ذلك عاملا على إشبيلية في سنة 601 . وقد كان حيا في سنة 621 (نفس المرجع 622/2) .

5) لا نعرف من أخباره إلا أنه كان عاملا على سجلماسة حتى وفاته سنة 574 (نفس المرجع 623/2) .

6) ذكرهما أيضا ابن أبي زرع (الروض 203) وابن عذارى (البيان ص 56) .

7) هو أخوه عمر المذكور قبل ذلك .

8) في الأصل : ... وابنه : وهو تحريف من الناسخ يوقع في الخطأ إذ يوهم أن ابنا لأبي حفص عمر بن عبد المؤمن قد ولي الوزارة لجده ، وهو أمر ليس هنالك ما يؤيده

أحمد بن عطية ، [1] وأبو محمد عطية ، [2] ، وأبو محمد عبد السلام بن محمد ، [3]
وأبو العلاء « إدريس بن | جامع ، وكان يقعد بين يدي | [4] السيد أبي حفص . | 60 أ

* * *

---

1) في الأصل : وأبو جعفر وأحمد بن عطية ، وقد سبق أن عرفنا بالوزير ابن عطية ومظان ترجمته (انظر ص 178 حاشية رقم 1) .

2) أبو محمد أو أبو عقيل عطية بن عطية أخو أبي جعفر المذكور قبيله ، وكان مثله كاتبا ووزيراً لعبد المؤمن حتى نكبهما وقتلهما في أواخر سنة 553 (انظر المقري : نفح الطيب 183/5 - 186 ؛ السلاوي : الاستقصا 129/2) وقد نشر ليفي بروفنسال عدة رسائل من إنشائه في مجموع الرسائل الموحدية (ص 22 - 26 وص 71 - 93) . وانظر كذلك بحث الأستاذ محمد المنوني : العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص 166 .

3) عبد السلام بن محمد الكومي نسبة إلى كومية قبيلة عبد المؤمن بن علي ، استوزره عبد المؤمن بعد إيقاعه بأبي جعفر ابن عطية ، وذلك في شوال سنة 553 عند خروج عبد المؤمن إلى غزوة المهدية ، ويقول ابن أبي زرع إن والد عبد المؤمن كان قد تزوج أم عبد السلام هذا ثم طلقها . هذا ولم يستمر عبد السلام الكومي طويلا في منصبه إذ أخذ عليه الاستبداد بعمله والاستئثار بالسلطة فضلا عما اتهم به من الغلول في غنائم قابس وشكايات أهل الأندلس من العمال الذين وجههم إليهم ثم لما نسبه إلى أبناء عبد المؤمن من شرب الخمر وغير ذلك من القبائح كذبا وبهتانا ، وأخيراً قبض عليه عبد المؤمن في أثناء حملته التي دخل فيها تلمسان سنة 555 واحتال في قتله بأن سمه في قدرة لبن (انظر المقري : نفح الطيب 183/5 ؛ ابن أبي زرع ص 196 ، 200 ؛ ابن عذاري : البيان ص 57 ، 61 ، 66 - 68 ؛ ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص 136 ، 173 - 181 ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء 237/2 - 239 ؛ وأويثي : تاريخ 192 - 193) .

4) أضفنا هذه الزيادة نقلا عن ابن عذاري (البيان ص 80) وابن أبي زرع (الروض 205 - 206) ، وأبو العلاء إدريس بن ابرهيم بن جامع كان من كبار رجال الدولة الموحدية ، وأبوه ابرهيم بن جامع كان أصله من طليطلة بالأندلس ونشأ بساحل شريش ثم انتقل إلى العدوة واتصل بابن تومرت وأصبح من جملة أصحابه (أهل الدار) ، وكان من أبنائه إدريس المذكور الذي ظل وزيراً لعبد المؤمن حتى وفاته ثم لابنه يوسف من بعده حتى سخط عليه هذا وقبض عليه واستصفى أمواله في سنة 577 (انظر ابن عذاري : البيان ص 114 ، 118 ، 132 ، 139 ؛ عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 316 ، 390 ؛ السلاوي : الاستقصا 105/2) .

قضاته رضي الله تعالى عنه :

أبو عمران موسى صهره [1] من تينملل ، [2] وحجاج بن يوسف . [3]

كتابه رضي الله تعالى عنه :

أبو جعفر ابن عطية ، أبو محمد عبد الله بن جبل [4] عطية بن عطية [5] ، ميمون الهواري [6] ، أبو الحسن ابن عياش [7] ، أبو علي الأشيري [8] ، أبو القاسم

---

1) في الأصل : صهيره .

2) هو أبو عمران موسى بن سليمان الكفيف ، وقد مر ذكره في نظم الجمان عند إيراد أسماء أهل خمسين من أصحاب ابن تومرت ، كما أشار إليه أيضا صاحب كتاب الأنساب (أخبار المهدي ص 34) ، وكان موسى من شيوخ أهل تينملل وأعيانهم من ضيعة آنسا ، وكان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا خرج منها ، وتزوج من ابنته زينب ، وهي أم ولديه يوسف خليفته على الملك وأبي حفص عمر ، وكانت مصاهرة عبد المؤمن إياه أيام كان بتينملل برأي ابن تومرت (المعجب ص 308 ، 421) ويسميه ابن أبي زرع « موسى بن سهل » (الروض 205) .

3) هو أبو يوسف حجاج بن يوسف الهواري قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها ، وكان من ناحية بجاية ، وهو من أهل العلم والأدب ، نال دنيا عريضة وأورث عقبه نباهة . وتوفي مكفوف البصر في الطاعون الذي أصاب المغرب سنة 572 (انظر ترجمته في التكملة لابن الأبار ، رقم 93) .

4) ذكره ابن صاحب الصلاة (المن بالإمامة ص 150 ، 223 ، 231) وابن عذارى (البيان ص 80) وابن أبي زرع (الروض 205) في الكلام عن كتاب عبد المؤمن ، وأما عبد الواحد المراكشي فإنه اعتبره من قضاته ، وقال إنه كان من أهل مدينة وهران من أعمال تلمسان (المعجب ص 269) ، وذكر ابن صاحب الصلاة أنه كان صاحب أبي الحسن بن الإشبيلي عند الخليفة يخطب بعده إذا خطب . وترجم له ابن الأبار ، فقال إن أصله من الأندلس وإنه كان فقيها وخطيبا مفوها وتوفي بمراكش مستهل ربيع الآخر سنة 557 ، ودفن بروضة الشيوخ . (التكملة ، الترجمة 1484 ص 527) .

5) هو أبو عقيل أو أبو محمد ، أخو أبي جعفر ابن عطية الذي سبقت الإشارة إليه من قبل .

6) أشار إليه ابن صاحب الصلاة وابن عذارى وابن أبي زرع (في المواضع المشار إليها قبل ذلك) ، ولعله هو الذي ترجم له ابن الأبار في التكملة (رقم 1136) وقال عنه إنه كان من سكان قرطبة وكان أديبا فقيها ، وإن له شعرا فيما جرى بين ابن رشد وأبي محمد بن أبي جعفر في التفضيل بين الهيللة والحمدلة .

7) هو أبو الحسن عبد الملك بن عياش بن فرج بن عبد الملك الأزدي اليابري ، سكن أبوه قرطبة ونشأ هو بها ، واشتهر أولا بالزهد والورع حتى كان يسمى « الزاهد » ثم صحب بني حمدين الثائرين =

أجهل بن إدريس الرندي (1) .

* * *

= على المرابطين في قرطبة ... في العدوة وانتقل إلى إشبيلية ثم انتقل إلى كتابة السيد أبي حفص وسار معه إلى تلمسان ولم يزل في صحبته وكتابته حتى استدعاه عبد المؤمن لكتابته ونال دنيا عريضة وعدل عن طريقة الأول في الزهد ، وتوفي سنة 568 متوليا الكتابة ليوسف بن عبد المؤمن (ابن الابار : التكملة ، ترجمة 1741 ؛ ابن عذارى ، البيان ص 166 - 167 ؛ ابن أبي زرع ؛ الروض 194 ، 205 - 206) ، وكان له ابن يدعى أبا محمد عياش بن عبد الملك ولي الكتابة أيضا ليوسف بن عبد المؤمن (المعجب ص 269 ، 316) .

(2) هو أبو علي حسن بن عبد الله بن حسن الأشيري من أهل تلمسان ، نشأ بها ودرس بالمغرب والأندلس ، وكان من أهل العلم بالقراءات واللغة والنسب والغريب مجيداً للنظم والنثر ، وله مجموع في غريب الموطأ وكتاب في التاريخ سماه « نظم اللآلي في فتوح الأمر العالي » كان من بين الأصول التي اعتمد عليها صاحب الحلل الموشية ثم نقل عنه صاحب نظم الجمان نفسه ، وكانت وفاته سنة 569 (ابن الأبار : التكملة ، ترجمة رقم 66) ؛ وقد روى له البيذق (أخبار المهدي ص 97) وابن أبي زرع (الروض 186 - 189) وصاحب الحلل الموشية (ص 130 ، 149) أبياتا يمدح بها عبد المؤمن ويذكر قصة الأسد الذي ... ، وأشار إليه ابن الأبار كذلك في الحلة السيراء 92/2 ، 192 - 196 ؛ وقد اعتمد صاحب الحلل الموشية على كتاب أبي علي الأشيري فيما كتبه عن نهاية الدولة المرابطية والمواقع الدائرة بين الموحدين وتاشفين بن علي (انظر ص 130) ، ثم نشر الأستاذ ليفي بروفنسال قطعة فيها نقول عن تاريخه مع دراسة وترجمة فرنسية تحت عنوان « Notes D'histoire almohade » , Hèsperis, 1930) وقد بين بعد ذلك أن هذه القطعة انما هي بضعة أوراق من كتاب البيان المغرب لابن عذارى (انظر طبعة أوبتي التاريخ ص 18 ، 23) .

(1) اشتغل أولا بالكتابة لبعض أمراء المرابطين ثم استكتبه أبو جعفر ابن حمدين ، فلما دخل ابن غانية قرطبة ذهب إلى بلده رندة واستبد بضبطها زمنا ثم أخرجه منها أبو الغمر ابن السائب ، وتوجه أجهل ابن إدريس إلى مالقة وجاز منها إلى مراكش فاتصل بأبي جعفر ابن عطية الوزير وما زال حتى ولي قضاء قرطبة ثم قضاء إشبيلية ، وكان من بين من استقبلوا عبد المؤمن بن علي بجبل الفتح عند جوازه إلى الأندلس ... ، ونفاه عبد المؤمن مدة إلى مكناسة ثم عفا عنه ، وقال المقرى إن سبب ذلك هو قوله إن الخلافة لا ينبغي أن يتولاها إلا قرشي ، وتوفي بإشبيلية سنة 560 أو 561 (انظر في ترجمته الحلة السيراء لابن الأبار الجزء الثاني 241 - 244 ، والتكملة لابن الأبار ط . بن أبي شنب ص 252 والمقتضب من تحفة القادم ص 61 ؛ وابن سعيد : المغرب 230/1 - 336 ؛ والمقرى : نفح الطيب 469/3 ، 202/4 ؛ ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، 32 ، 224 - 226) .

الطلبة في حضرته السنية رضي الله تعالى عنه :

الخطيب أبو الحسن بن الإشبيلي [1] ، الخطيب أبو محمد ابن جبل [2] ، أبو بكر ابن ميمون القرطبي [3] .

* * *

فهذه المقدمة لدولته السعيدة ، وخلافته الحميدة ، التى شرق ضياؤها وسطع ، وعلا سناؤها وارتفع ، وأقرت عين الدين ، وقهرت كل الملحدين ؛ وقرب

---

1) تحدث عنه ابن صاحب الصلاة طويلا في كتاب المن بالإمامة (ص 150 ، 228 ، 231 ، 285) فقال إنه « الفقيه الخطيب شيخ طلبة الحضرة ، هو الخطيب المصقع بين يدي الخليفة (يوسف بن عبد المؤمن) عند حضور الوفود الناطق بالفصاحة والبلاغة المنظومة نظم العقود .. الخ » ، ويقول ابن صاحب الصلاة إنه كان عالي المكانة لدى يوسف بن عبد المؤمن ثم لدى ابنه الخليفة يعقوب المنصور وإنه تزوج من ابنة القاضي ابن الملجوم مما رفع من مرتبته ، والتقى به ابن صاحب الصلاة نفسه بحضرة مراكش سنة 560 فسمع عليه قراءة عقيدة التوحيد والعقيدة المسماة بالطهارة وكتاب أعز ما يطلب بقراءة الكاتب أبي عبد الله بن عميرة ، وكان إذا قرأ القارئ المذكور فصلا من تلك الكتب تولى شرح غامضها وتقريب معانيها على الطلبة ، وتوفي بحضرة مراكش دون أن يحدد ابن صاحب الصلاة تاريخ وفاته على أن ابن الأبار يزيدنا تعريفاً به فيقول إنه علي بن محمد بن خليل ، سكن المرية وأخذ عن أبي القاسم ابن ورد ولازمه وأتقن علم الأصول وبرع فيها وكان خطيبا مفوها ، وأخذ عنه أبو القاسم بن الملجوم وابن صاحب الصلاة ، وكانت وفاته سنة 567 (التكملة ، كوديرا ، ترجمة 1862) .

(2) هو أبو محمد عبد الله بن جبل الذي سبق أن أشار ابن القطان إليه من بين كتاب عبد المؤمن .

3) ذكره ابن أبي زرع إلا أنه قال إنه كان من بين قضاة عبد المؤمن ، وأورد بعض أخباره ابن صاحب الصلاة وقال إنه كان من أساتيذ مراكش وصل إلى الحضرة العلية واستوطنها حتى نسي قرطبة وانثال إليه الطلبة من كل مكان وكان يتهاجى مع الشاعر اليكى . (ابن أبي زرع : روض القرطاس 205 ؛ المن بالإمامة ص 226 - 228) وترجم له ابن الأبار فسماه محمد بن عبد الله بن ميمون بن إدريس العبدرى كان متقدما فى علم اللسان متصرفا فى سائر الفنون . خرج من بلده قرطبة أيام الفتنة فنزل مراكش وأقرأ بها العربية والآداب وكان يحضر مجلس عبد المؤمن فى جملة العلماء ولكن عبد المؤمن هجره ومنعه من حضور مجلسه وصرف بنيه عن القراءة عليه بعد أن سمع منه أبياتاً فى الغزل فيها إساءة أدب . ومات بمراكش فى 567 عن عمر يناهز التسعين (التكملة ، كوديرا ، ترجمة 791 ، وانظر كذلك بغية الوعاة للسيوطى 147/1 ، 148) .

الله تعالى بها من معمر الدين ما بعد ، وجلا به عن أبصار المهتدين الرمد ، وشفى العدل من الظلم بعد ما أشفى ، وأحيا به من مراسم الدين ما كان عفا ، فلاح الدين مسددا مصلتاً [1] حده ، متواليا جدُّه متعاليا جدُّه ، فشيد من الشريعة مباني هاديه ، وأبدى بهمته الرفيعة من المكرمات معاني سامية ، فلا ترى « إلا ظلال عدل ، وانهمال فضل ، وتأثيل مجد ، وإقامة رسم للهداية وحد ، وتمسكا بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ، وهدي صحابته وهدي مهديه ، والدين تشرق بهجته ، وتونق لمجده ، والحق يظهر سموه ، والعدل يُقْهَر عدوه ، والفضل يعلى مناره ، والبذل نوارِدُ [2] آثاره ، يدعو العفاة لسان للإحسان فصيح ، ويسعهم ميدان للامتنان فسيح ، يغص بهم الفضاء ويسعهم فناؤه ، ويقضي لهم بنيل الأماني بشره واعتناؤه [3] ، فيردون من كوثر كثرة الإحسان عذبا صافيا ، ويتفيأون من اليمن والأمان ظلا [4] ضافيا ، فالوفود تزجى [5] ركائبها ، وتثنى – لو سكتوا – حقائبها [6] ، فلا قطعة من الأرض إلا عمها ظل عدله ، ولا بقعة إلا وساح بأرجائها بحر فضله .

قرنت الدعة ببيعته والأمان ، وقرت عين الإسلام وطابت نفس الإيمان ، وأصبح الحق عالي المعالم ، والدين لا يخشى ظلامة ظالم ، مَنًّا من الله تعالى على عباده وإحسانا ، وفضلا عمهم جماعات ووحدانا ، فلا لسان إلا بالحمد والشكر ناطق ، ولا قلب عدو إلا طائش من المخافة خافق .

---

1) في الأصل : مصلة .

2) في الأصل : توارى ، ولعلها كما أثبتنا أي تتوارد ، وقد تكون أيضا « تواتر » .

3) في الأصل : واعتناؤه .

4) في الأصل : ضلا .

5) في الأصل : ترجى .

6) في الأصل : حقائقها ، وهو تحريف ، وإنما ضمن المؤلف هنا بيتا من شعر نصيب بن رباح في مدح الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

(انظر الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني 130/1) .

[٥٧ أ] فأعظم بها خلافة « مهدية ، وبشارة حقق الله [بها] ما في [1] الوعدالنبوي الصادق ، وقصم [2] كل باغ حاسد منافق ، وجعل كلمة الخلافة والإمامة ، والسعادة المستدامة ، باقية لسيدنا ومولانا الخليفة الإمام المؤمن بالله تعالى المرتضى لأمره جل وعلا ، أمير المؤمنين أبي حفص [3] ابن سيدنا ومولانا الأمير الظاهر أبي إبرهيم بن سيدنا ومولانا الخليفتين الإمامين أمير المؤمنين المنتخب من صفوة أنجاله ، السالك مسلكه القيم في كافة أحواله ، أسنى الخلائف قدرا ، وأسماهم ذكرا ، وأقسطهم حكما ، وأوسعهم علما ، ونظم في سمط ملكه كافة المشارق والمغارب ، وأبقاه للإيمان عضباً مرهف [4] الغرارين ماضي المضارب ، تركز [5] رايته المنصورة في أقصى البسيطة [وترفع] ، [6] ويذاد بها من ناوأ الحق ويدفع ، وهو سبحانه يديم اتصال هذه الكلمة له ولأعقابه الكرام ، ويمدهم بالنصر العزيز والفتح المستدام بمنه .

* * *

1) في الأصل : باقي .

2) في الأصل : وقسم .

3) هو الخليفة الموحدي الثاني عشر أبو حفص عمر المرتضى بن أبي إبرهيم إسحاق بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، ولي الخلافة سنة 646 ، وتوفي قتيلا سنة 665 . انظر تقديم الكتاب .

4) في الأصل : مرهب .

5) في الأصل : تركن .

6) إضافة يقتضيها ما يجري عليه المؤلف هنا من التزام **السجع** .

أخبار الأندلس في هذه السنة :

وفيها ولي الزراجنة تيكلمت [1] قرطبة : وفيها قتل .

وفيها غزا الحشمي ينتان بن علي [2] القومس غشتون [3] زعيم النصارى فقتل الزعيم ، وحمل رأسه إلى مراكش فطيف به .

وغزا الحشمي تاشفين بن علي بن يوسف صاحب غرناطة حصن

---

1) لسنا نعرف عن أبي زيد تيكلمت هذا إلا ما أمدنا به ابن القطان ، وقد سبق أن ذكر في أحداث سنة 522 أن عامل المرابطين على إشبيلية أجداي قد استخلف تيكلمت على قرطبة ، ولهذا فإن من الغريب أن يقول هنا إنه ولي قرطبة في هذه السنة ، إلا إذا كان معنى قوله السابق أن استخلافه في سنة 522 لم يكن قد تم بصفة فعلية وإنما كان بصورة مؤقتة .

2) في الأصل : بنتان بن علي ، والصواب ما ذكرنا ، وهو أبو يعقوب ينتان بن علي بن يوسف بن تاشفين ، أصغر أبناء علي بن يوسف على ما يذكر ، وابن عذارى (البيان - القسم الموحدي ص 30) ، والأخبار التي نعرفها عنه قليلة ، ويرجع الفضل فيها إلى الجزء الخاص بالمرابطين من البيان المغرب (ص 81 . 107) ، ومجمل ما فيه أن ينتان هذا ولي عمل بلنسية في سنة 524 (1130 م.) خلفا لمحمد بن يوسف المعروف باسم يدر الذي توفي في هذه السنة ، وفي سنة 527 (1133) نقل إلى إشبيلية فحكمها سنة وستة أشهر من شوال 527 حتى صفر 529 (من أغسطس 1133 حتى نوفمبر - ديسمبر 1134) ، واشترك أثناء حكمه لإشبيلية في الحملة التي قادها أخوه تاشفين إلى عقبة البقر ؛ وقد ذكر اسمه أيضا صاحب كتاب « مفاخر البربر » (ص 72) في قائمة ولاة بلنسية في عهد المرابطين وقال إنه خلف عليها القائد يدر بن ورقاء ، إلا أن صاحب المفاخر سماه القائد يتينان بن علي . كذلك أشار ابن عذارى إلى تلك الغزوة التي وجهها ينتان إلى إسبانيا المسيحية (لعلها منطقة قطلونية) والتي هزم فيها القومس غشتون المذكور هنا ، وقد حدد تاريخ ذلك بجمادى الثانية سنة 524 (مايو - يونيه 1130) . انظر مقال أوبثي : علي بن يوسف وأعماله بالأندلس ص 106 ، 109 ، 113) .

3) في الأصل : غشتون ، والصواب ما ذكرنا وهو الذي تذكره المراجع المسيحية باسم الكونت Conde Gaston de Bearne وكان ينتان بن علي قد هزم الجيوش المسيحية التي كان يقودها هذا القومس وأسقف مدينة وشقة Huesca ؛ وهو غير غشتون الذي كان من أصحاب الربرتير وتاشفين بن علي أثناء قتالهما للموحدين بعد إيقاع عبد المؤمن بقبيلة جزولة (انظر عن غشتون هذا البيذق : أخبار المهدي ص 96) .

[۵٦ب] السكة [1] ، فافتتحه » وقتل كل من فيه من النصارى وأسر [2] بعضهم .

أخبار الغرب وما والاه :

فيها ولي الزراجنة عمر بن علي بن يوسف فاس [3] ، فجار في ولايته فعزل ؛ وولى يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت [4] ، ابن أخت علي بن يوسف وهو الوالي بتلمسان

---

1) غزوة تاشفين لحصن السكة معروفة في المراجع التاريخية الإسلامية والمسيحية على السواء ، وقد فصل الحديث عنها ابن الخطيب في « الإحاطة » (ط . محب الدين الخطيب 282/1 وط . عنان 451/1 - 453) ، إذ قال إن تاشفين بن علي بن يوسف خرج في رمضان سنة 524 بجيش غرناطة ومطوعتها - وكان عاملا على هذه المنطقة – واتصل به جيش قرطبة ، فتوجه إلى حصن السكة من أعمال طليطلة ، وكان قائده القومس فرند قد ألحق كثيرا من الأذى بالمسلمين ، فافتتح تاشفين الحصن عنوة وقتل من كان به وحمل قائده فرند وجملة من فرسانه أسرى معه إلى غرناطة . وتتفق المراجع المسيحية مع المصادر العربية في ذلك ، إذ ورد في « الحوليات الطليطلية Anales Toledanos » أن تاشفين هاجم هذا الحصن الذي كان النصارى يسمونه Coca أو Azeca (حصن السكة) وأسر قائده المعروف باسم Tello Fernàndez (فرند المذكور في الإحاطة) وكان محاربا أصله من شلطانية Saldaña (في شمال إسبانيا) ؛ كذلك جاء في « حوليات ألفونسو السابع Cronica de Alfonso VII » أن تاشفين حطم هذا الحصن حتى سواه بالأرض وأن قتلى النصارى في هذه الوقعة قد بلغ عددهم ثلاثمائة ، وأن تاشفين حمل فرند المذكور مع جماعة من أصحابه إلى قرطبة ، ثم أجازهم البحر إلى مراكش للخدمة في حاضرة المرابطين (انظر بحث الأستاذ فرانسسكو كوديرا عن « أسرة بني تاشفين » في مجموعة « دراسات نقدية حول التاريخ الأندلسي » ، ط . مدريد 1917 ، المجلد التاسع ص 125 - 126) .

2) في الأصل : وأسرى .

3) سبق لابن القطان أن ذكر ولاية عمر بن علي بن يوسف على فاس في أخبار سنة 523 قائلا إنه خلف عليها أخاه تميم بن علي بن يوسف (انظر ص 155 ، حاشية رقم 2) ، ولا ندري ان كان عمر المذكور هنا هو نفسه المتقدم ذكره أو أنه أخ له كان سميا له ، إذ أننا نعلم مما نص عليه ابن عذارى في البيان (القسم الموحدي ص 30) أن علي بن يوسف كان له ولدان يسميان عمر : أحدهما الكبير ، والآخر الصغير .

4) هو أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن ابرهيم المسوفي ، وأبوه أبو بكر بن ابرهيم هو المعروف بابن تيفلويت ابن عم علي بن يوسف بن تاشفين وكان مسكنه الصحراء ثم وفد على علي بن يوسف فزوجه من أخته وولاه على مرسية ثم بلنسية خلفا لابن الحاج ثم على سرقسطة ، وهو ممدوح ابن خفاجة ومخدوم الفيلسوف ابن باجة السرقسطي ، وكانت وفاته سنة 510 بسرقسطة ؛ أما ابنه أبو زكريا يحيى المذكور هنا =

وما وراءها من طاعة الملثمين ، فاستتاب [1] بفاس موسى بن أبي هارون .

وفي هذه السنة كان القحط والوباء بفاس .

أخبار إفريقية وما إليها :

صاحبها في هذه السنة حسن بن علي بن يحيى بن تميم على ما كان عليه ؛ وصاحب بجاية | يحيى | [2] بن العزيز بالله ووزيره ميمون بن حمدون ؛ وبالمهدية | الحسن بن علي | [3] .

أخبار مصر في هذه السنة :

كان بمصر في هذه السنة الآمر على ما تقدم ذكره ، وفي هذه السنة مات على قول [4] .

وصفة مقتله — وكان جبارا عنيدا — أنه لما استبد بالوزارة الغلام الذي اسمه

— فإنه هو الذي أطلق عليه أيضا اسم ابن فنو أو فانو كما سيأتي في نظم الجمان نفسه وذلك نسبه إلى أمه بنت يوسف بن تاشفين وأخت علي بن يوسف ، وولي يحيى بن فانو هذا عمل تلمسان كما ينص على ذلك المؤلف هنا ، وهو الذي كان عاملا على تلمسان حينما دخلها محمد بن تومرت المهدي ، فاجتمع به في خبر يقصه علينا البيذق (أخبار المهدي ص 62) ، وكان ليحيى هذا أخ يدعى علي بن أبي بكر كان عاملا على غرناطة للملثمين في سنة 539 (انظر الحلة السيراء لابن الأبار 212/2 ، 215 ، وله ابن يدعى محمدا اشترك في الحروب الدائرة بين المرابطين والموحدين في المغرب على ما سيذكر ابن القطان (انظر الإحاطة ط . عنان 404 - 409 ؛ وبحث الأستاذ فرانسسكو كوديرا عن بني تاشفين ص 114 - 116) .

1) في الأصل : فاستتاف .

2) الزيادة عن البيان المغرب 311/1 .

3) زيادة يقتضيها السياق وتطابق التاريخ ، إذ أن الحسن بن علي ظل يحكم هذه المنطقة حتى سنة 543

4) هذا القول هو الصحيح ، إذ أن الآمر قتل كما هو معروف في الثاني من ذي القعدة سنة 524 (انظر المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، ط . القاهرة سنة 1967 الملحق الخامس عن الخلفاء الفاطميين) ، وكان قد ولي الخلافة في الرابع عشر من صفر سنة 495 .

« حرز الملوك [1] » قتل مولاه الآمر ، وقد كان الآمر ولي عهده أبا الميمون عبد المجيد المنتصر بالله تعالى [2] ، وكان صغير السن فجاء الناس يهنون حرز الملوك بإبقائه على الحجابة ، وقد كان أراد أن يستبد بالأمر ، إلا أن أبا العباس [3] ابن الأفضل أبى ذلك ، فأخرج حرز الملوك الدنانير ، وأعطى العسكرية ، وأشار عليه « أنه يمضي للموت ، فأراد الرجوع ، فقالت له طائفة من العسكر : إلى أين [68 أ]
ترجع ؟ أنت حاجتنا ! فقال لهم : لا تفعلوا يا قوم ، ما عندي مال . قالوا له : ما نريد منك مالا ونادوا بأصحاب الأفضل ، فتكاثر الناس عليه ، وساروا به للقصر .

فلما رأى حرز الملوك ما فعل الناس أقفل باب القصر ، فأرادوا كسره وإحراقه ، فأخرج لهم عبد المجيد رأسه ، وقال لهم : يا قوم ، ما تريدون ؟ قالوا : رأس حرز الملوك ! فأمر بقطع رأسه ورمى به إليهم .

وقال عبد المجيد لأبي العباس ابن الأفضل : قدمتك للحجابة مكانه [4] فقال له : ما أريد تقديمك . الله قدمني والعسكرية ! أعطني عشرة توابيت مالا ، فأعطاها إياه ، فأعطى الفارس خمسين مثقالا ، والراجل ثلاثين : فلما تمت قال : زدني . فزاده عشرة أخرى ، ففرقها . وما زال يفرق عشرة في عشرة حتى كملت ثمانين تابوتا .

---

1) سبق أن ذكر ابن القطان خبر هذا الغلام (انظر ص 145 وتعليقنا على النص في الحاشية رقم 4) ، وقد علقنا من قبل على اختلاف المؤرخين في اسمه إذ يكتبه المقريزي « هزار الملوك برغوارد » وابن تغرى بردي « هزبر الملوك جوامرد » ، أما ابن عذارى فإنه اتبع ما أثبته ابن القطان هنا (البيان المغرب 311/1) .

2) لم يكن من صغر السن بحيث يتصور قارىء النص ، فقد كانت سن عبد المجيد في ذلك الوقت ستا أو سبعا وعشرين سنة إذ أنه ولد في المحرم سنة 497 أو 498 (الخطط 172/2) .

3) كذا ، وكنيته لدى سائر المؤرخين المشارقة « أبو علي » واسمه أحمد ، هذا وقد أشار المقريزي بإيجاز إلى الأحداث التي يتحدث عنها ابن القطان هنا (انظر الخطط 172/2) . وراجع كذلك ابن الأثير ؛ الكامل 332/8 ؛ وابن خلكان : وفيات الأعيان 451/2 ، 235/3 - 237 .

4) ذكر المقريزي في الخطط (172/2) أن ابن الأفضل استبد بالوزارة في 16 من ذي القعدة سنة 524 .

وقد كان الآمر[1] يقول : أما أنا فمقتول . ويلي الأمر بعدي أبو العباس ابن الأفضل ، فإن تم له العام وهو في الأمر ففيه يبقى حتى يموت وإن مات قبل العام فهو الذي رأينا في كتابنا !

فمكث تسعة أشهر وأياما ، وقبض على عبد المجيد وثقفه ، وسأل : هل في القصر صبي من أبناء الآمر والمستعلي ؟ فقيل له : لا ، إلا امرأة حامل ، فجعل أبو العباس » يقول للناس : إن الإمام يولد الآن ! وقطع الخطبة والأمر عن عبد المجيد ، وجعل يدعو للأمير[2] المنتظر ، وادعى أنه وصله كتاب محمد بن الحنفية وأنه خرج ؛ وكان يقول : أنا النائب عنه ، وكان يخطب لنفسه « النائب[3] عن الإمام ، أبو العباس أمير الجيوش سيف الإسلام » ، فبقي كذلك إلى أن تم له عام كامل ، فتحيل عبد المجيد ، وأغرى[4] العسكرية به فقتلوه[5] .

وظهر عبد المجيد ، وتلقب بالحافظ لدين الله ، وقدم للحجابة[6] شخصا نصرانيا يعرف بالأسقف[7] ، فجعل يعلن بالكفر في الأسواق ويدعو إلى عبادة عبد المجيد ، فوجهه للصعيد ، فأراد القيام عليه والانتصار بالحبشة النصارى ،

---

1) في الأصل : الأمير .

2) في الأصل : للأمر .

3) في الأصل : النائم .

4) في الأصل : وأغوى .

5) ذكر المقريزى أن مقتل « أبي علي » بن الأفضل كان في 16 من المحرم سنة 526 وأن الحافظ أخرج يومئذ من معتقله ، فاتخذ هذا اليوم عيداً سماه « يوم النصر » ، وصار يعمل كل سنة .

6) في الأصل : للمجابة .

7) ذكر المقريزي أن الحافظ قدم للوزارة بعد مقتل أبي علي ابن الأفضل يانس صاحب الباب ، فظل فيها حتى مات في ذي الحجة ، سنة 524 بعد تسعة أشهر ، فلم يستوزر أحداً ، وتولى الأمور بنفسه إلى سنة 528 ، فأقام ابنه سليمان ولي عهده مقام وزير ، فتوفي بعد شهرين ، فجعل مكانه ابنه حيدرة ، فأدى إلى حسد ابنه الآخر حسن له وثورته على أبيه ، إلا أنه قتل بعد ذلك ، وولي حينئذ على الوزارة بهرام الأرمني النصراني في جمادى الآخرة سنة 529 ، وهو الذي يذكره ابن القطان هنا باسم « الأسقف » .

فاستعمل شمعا عدتها اثنتا عشرة [1] شمعة ، فى كل شمعة الف دينار ، فنمى الخبر إلى عبد المجيد ، فخرج إلى نزهة . ورجع فى طريقه على الأسقف ، فوجده فى كنيسته والشمع عنده ، فسأله عنها ، وذكر له أن بعض القبط يبعثها إلى الكنيسة العظمى ، فطلب منه بعضها ، فحملت بين يديه ، فأمر بكسرها ، فوجد فيها المال ، فاستقره ، فأقر [2] وطلب منه العفو ، فلم يعفه ، وأمر بعذابه إلى أن مات . وخرج [60 أ]
عبد المجيد لرؤية الخليج ، فأمر به * فصير على لوح ، وأرسل فى التيار [3] فحمله [4] .

وكان لعبد المجيد ولد ، وقيل ابن عم ، اسمه حسن [5] ، فجعل يستميل العسكرية ويعطيهم الأموال ، ويقول لهم : إن عبد المجيد لا يصلح للأمر . وأنا أفعل معكم وأصنع ، ويعدهم ويمنيهم ، فقاموا على عبد المجيد حاملين [6] ، فلما استوسق الأمر لحسن أخذ فى قتل رؤساء الأجناد ، فقاموا عليه فى شهر رجب من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، وزحفوا إليه بالسلاح ، فهرب من داره ، ودخل فى دار عبد المجيد ، فصاحوا : أخرجه لنا ، وإلا جعلناه عليك نارا ! وجاءوا بالحطب والنار ، فقال عبد المجيد لحسن : أخرج رأسك ، وانظر إلى ما أحدثت . فأخرج

---

1) في الأصل : اثنا عشر .

2) في الأصل : فأمن .

3) في الأصل : التيان .

4) ما ذكر هنا عن مقتل « الأسقف النصراني » بهرام الأرمني يختلف عما أورده المقريزي ، إذ أنه يذكر أن الذي قام بالايقاع به إنما هو رضوان بن ولخشي الذي كان متولي الغربية ، فقد جمع الناس لحرب بهرام وسار إلى القاهرة ، فدخلها وقتل بهرام واضطلع بالوزارة سنة 531 (الخطط 172/2 - 173) .

5) هو ولده كما ذكر المقريزى ، وهو الذي ثار على أبيه الحافظ ، وقد فصل المقريزى خبر ثورته فى الخطط (27/3 - 29) ، وفيه يذكر أن حسنا شق عليه تولى أخيه حيدرة لعهد أبيه الحافظ واضطلاعه بوزارته ، فسعى فى نقض ذلك بالايقاع بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية ، فحاول أبوه الحافظ مداراته وتدارك أمره وكتب له بولاية العهد ، فلم يزده ذلك إلا جرأة على أبيه ، وحينئذ بعث الحافظ إلى بلاد الصعيد يستنجد بعساكر الريحانية ، وأفسد حسن أمره فى هذه الأثناء بالإساءة إلى أعيان الأمراء والأجناد ، فأجمعوا على قتله وشددوا الحصار عليه ، فلجأ إلى قصر أبيه ، وقيده هذا ، ثم أرغمه الجند على أن يقتله ، فتولى ذلك له الطبيب ابن قرفة النصرانى أعد له سقية قاتلة .

6) فى الأصل : حاملا .

أسه فرأى أمة لا تحصى ، فلما أيقن [1] بالهلاك قال له عبد المجيد : إن قبضوا عليك عبثوا فيك وعذبوك ، وتكون وصمة عظيمة بهذه البيتة التي نحن منها ، ولكن اشرب السم تسترح ويُسْتَرَحْ منك ! وأعطاه سما ، فشربه فمات من حينه ، فغسله وكفنه ، فأخرجه لهم ، فحملوه وصلوا عليه ودفنوه ؛ وبقي عبد المجيد إلى أن توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

فانظر إلى هذه المحاولات الشنيعة ، والأمور الفظيعة : [2] قتل الآمر حرز الملوك ، وقتله ، واستيلاء ابن الأفضل وقتله ، وظهور عبد المجيد ، » وما كان من الأسقف من الكفر والأمر بعبادة عبد المجيد ثم قتله ، ثم استيلاء حسن بن عبد المجيد أو ابن عمه والقيام عليه إلى أن قتل نفسه بسم ، ورجوع عبد المجيد إلى الولاية ؛ كل تلك الأمور على نسقها إلى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة يبن لك من ذلك ما كان في الأرض من ظلمات المظالم ، وانتهاك المحارم ، والخروج عن مراسم السنة وحدودها وتنكب تلك الفئات عن الحق وصدودها ، وذلك من حين وفاة المهدي رضي الله تعالى عنه إلى حين ظهور أمر الموحدين أعزهم الله تعالى ، واتساق كلمة الأمر المطاع العالي ، المخصوص بالمكارم والمعالي ؛ فتحقق بذلك [3] صدق البشارة النبوية الكريمة بهذه الخلافة المهدية القويمة ، القائمة بأمر الله تعالى وإحياء كلمته ، وإعلاء الحق وهداية أمته ، وكم برهان قاطع ، ودليل ساطع ، أبرزه الوجود ، فتحصل منه العلم اليقين المقصود ، والحمد لله رب العالمين ، والله سبحانه يعلي مناره ، ويديم بالخلافة المؤمنية المرتضية ضياءه [4] وأنواره ، إلى يوم الدين .

أخبار العراق في هذه السنة :

لا أدري من أمرها غير أن العباسي فيها » هو المسترشد على ما ذكر في سنة ولايته .

---

1) في الأصل : يقن .

2) في الأصل : الفضيعة .

3) في الأصل : ذلك .

4) في الأصل : ضياؤه .

باب

في ذكر أنباء سنة خمس وعشرين وخمسمائة

أما أخبار الموحدين أعزهم الله في هذه السنة فإنهم كانوا وادعين بتينملل ، (1) ولوفاة الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه كاتمين .

وأما أخبار غيرهم في هذه السنة ففيها ولى قرطبة الزراجنة ابن أخي علي بن يوسف : عبد الله بن أبي بكر المعروف بابن قنونة (2) .

ووقعت النار بسوق الكتانين بقرطبة ، واتصلت بسوق البز ، فاحترقت أموال الناس .

ورجم الناس ابن المناصف (3) بسبب المعونة (4) .

والعباسي في هذه السنة المسترشد كما كان .

---

1) يتفق هذا مع ما يذكره سائر مؤرخي الدولة الموحدية من سكون الموحدين خلال هذه السنة .

2) في الأصل : فنونة ، أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين المعروف باسم ابن فنونة أو ابن جنونة كما سماه صاحب « مفاخر البربر » ، وقنونة اسم أمه ، ويسميه ابن عذارى في البيان المغرب (القسم المرابطي ص 79) أبا عبد الله بن تنجمار (أو إنجمار) ، ولى على قرطبة في السنة التي يذكرها ابن القطان وعزل عنها في سنة 526 ثم سجن لشكايات ترددت منه (انظر بحث أويثي عن علي بن يوسف ص 111 ؛ ومفاخر البربر ص 82) .

3) يعني قاضي الجماعة بقرطبة أبا عبد الله محمد بن أصبغ الازدي المعروف بابن المناصف المتوفى سنة 536 ، وقد سبق التعريف به من قبل بمناسبة إيراد ابن القطان خبراً عن ولايته قضاء الجماعة بقرطبة سنة 522 (انظر ص 150 ، حاشية رقم 2) ، وقد جاء الاسم هناك خطأً « عبد الله بن محمد بن أصبغ » .

4) في الأصل : نسببت المعونة ، ولعلها كما أصلحنا ، ونرجح أن المؤلف يعني بلفظ « المعونة » هنا ما جرت العادة به في الأندلس من وجوب اضطلاع أهل كل حي في المدينة بإصلاح أسوار الجهة التي يسكنونها ، فقد ذكر ابن عذاري في البيان المغرب (القسم المرابطي ، ص 73) أن العمل في إصلاح أسوار قرطبة بدأ في سنة 520 ، ولعل القاضي ابن المناصف أخذ الناس ببعض الشدة في ذلك مما أدى إلى ثورة أهل قرطبة عليه ورجمهم إياه ، بل ربما كان ذلك هو السبب الذي أدى إلى عزله بعد ذلك بسنتين (في سنة 528) على ما سيذكر ابن القطان بعد .

باب

في ذكر أنباء سنة ست وعشرين وخمسمائة
أخبار الموحدين أعزهم الله :

في هذه السنة فتحت تاسغيموت [1] .

وفي هذه السنة أيضا فتحت درعة وتادلا على قول [2] .

وفي هذه السنة وحّد الفلاكي ؛ [3] وشرح حديثه أنه رجل كان من ذُعّار إشبيلية وفتاكها وقطاع الطريق ، ثم تاب عن ذلك وصفح عنه والى إشبيلية وقدمه على الرماة والرجالة ، ثم وصل لعلي بن يوسف ، فأحسن إليه وقدمه « على حصة ، ووجهه إلى السوس قائداً عنه لمكافحة الموحدين أعزهم الله تعالى ، ووالي السوس حينئذ وانودين بن سير [4] ، فواصل الفلاكي [3] الضرب على الموحدين ،

---

1) في الأصل : تاسقيموت ، والتصويب عن كتاب البيذق (أخبار المهدي ص 131) ، إلا أن هذا يجعل فتح الحصن المذكور لا في هذه السنة وإنما في سنة 517 ونسب البيذق هذه الغزوة إلى عبد الرحمن بن زجو (ص 84) ، وقال إن حصن تاسغيموت كان من بين الحصون التي بناها المرابطون من أجل ضرب الحصار على الموحدين والتضييق عليهم وإن الذي بناه هو ميمون بن ياسين ، وكان فيه القائد أبو بكر ابن اللمطي بمائتي فارس وخمسمائة راجل من قبيلة هزرجة وإن عبد الرحمن بن زجو وجنود الموحدين اقتحموه وقلعوا أبوابه وحملوها إلى تينملل فجعلوها على باب الفخارين (ص 128) ، كذلك فعلوا في الحصن ابن وزروال الذي كان من قواد المرابطين به (ص 131) ؛ وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الغزوة إشارة موجزة ، إلا أن الاسم ورد هناك محرفا إلى « تاسعون » (وانظر كذلك عن هذه الغزوة كتاب اويثي تاريخ 106/1 - 107) . وعن تاسغيموت وما بقي من أطلالها انظر بحث الأستاذين هنري براس وهنري باسيه عن « المشاهد والقلاع الموحدية » مجلة إسبريس سنة 1927 .

2) من بين من قال بذلك من المؤرخين ابن خلدون (العبر 229/6) إذ أنه يجعل فتح درعة وتادلا في سنة 526 ، وسيتحدث ابن القطان عن غزوة تادلا مرة أخرى في سنة 530 .

3) في الأصل : الملكان ، وهو تحريف لما أثبتنا ، وقد سبق لابن القطان أن تحدث عن الفلاكي الأندلسي هذا وعلقنا على ذلك في موضعه (ص 132 ، حاشية 4) ، والخبر الذي ذكره ابن القطان هنا عن توحيد الفلاكي ساقه أيضا البيذق (أخبار المهدي ص 88) . (وانظر أويثي : تاريخ 107/1 - 108)

4) في الأصل : أبو دين ... ، وهو تحريف ، وقد سبق أن علقنا على اسم هذا القائد (انظر ص 160 ، حاشية 1) .

مجتهداً في خدمة الزراجنة ، ثم انفسد ما بينه وبين علي بن يوسف ، وهداه الله تعالى فوحد ، وصار يفعل في حصون لمتونة وبلادهم مثلما كان يفعل لهم ، وظهرت نصيحته للموحدين أعزهم الله تعالى ، وألحفوه [1] ملاءة كرامتهم وجاههم ، واستفتح لهم حصونا في السوس ، ولم يزل في خدمتهم إلى أن ارتد بعد هذا .

وصفة فتح تاسغيموت [2]

وهو حصن مانع [3] مرتب على الجبل ، وكان له باب من حديد ، وكان في الحصن هجيكة [4] من هزرجة يحرسونه ، فدبر معهم الموحدون أعزهم الله تعالى كيفية فتحه ، وأن يمكنوهم منه ليلا ، فكان ذلك ، فأحرق الباب وقتل والي الحصن أبو بكر بن ورصوال [5] ، وقتل من فيها من الملثمين ، وحملت صفائح الحديد من بابها ، فركبت على تينملل شرفها الله تعالى ، وكانت هذه المحاولة المنجحة في أول هذا العام .

وصفة فتح درعة

| 71 أ | أن سيدنا ومولانا الخليفة أمير « المؤمنين رضى الله تعالى عنه توجه إليها ودخل حصن تازاجورت [6] ، وكان واليها يحيى بن مريم الزرجاني ، فضربت عنقه ،

---

1) في الأصل : وأتحفوه .

2) في الأصل : تاسقيموت .

3) كذا ، وهو يعني بلا شك « منيع » .

4) كذا ، وربما كانت كلمة بربرية بمعنى « حامية » .

5) هو الذي ذكره البيذق باسم « ابن وزروال » (أخبار المهدي ص 131) ، وجاء اسمه لدي ابن خلدون « أبو بكر بن مازر » (العبر 229/6) .

6) كان ابن تومرت المهدي قد وجه قبل ذلك حملة إلى تازاجورت ، وهي غزوته الثامنة ، وكانت حينئذ بلا سور ، ففتحها وأسر من بها (البيذق ص 77) ، على أنه يبدو أن المرابطين استعادوها وسوروها حتى وجه إليها عبد المؤمن هذه الحملة وهي التي تحدث عنها البيذق كذلك (ص ٨٩) ، إلا أنه ذكر أن والي الحصن هو بدر بن وجوط لا يحيى بن مريم كما يذكر ابن القطان ، (وانظر [illegible] أويثي تاريخ 110/1 – 111) .

وقتل فيها من شيع التجسيم نيف على عشرين ألفا ، وأخذت زوجة الوالي المذكور ميمونة بنت ينتان بن عمران ، وبقيت في الجبل حتى افتك بها من كان في المسماة من رجال الموحدين أعزهم الله تعالى [1] .

وفي هذه السنة كان فتح جلاوة ، وذلك أنه توجه الشيخ أبو حفص عمر ابن يحيى [2] في آخرين من عظماء الموحدين أعزهم الله تعالى وحصة منهم إلى أومسلم [3] من بلاد جلاوة ، وهم المردة الذين كانوا جرحوا الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، [4] فدخلوه عنوة ، وقتل كل من فيه .

وفي هذه السنة كان فتح حصن هزرجة ، وذلك أنه تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه إلى الخميس ان يعب [5] إن

---

1) هي ابنة ينتان بن عمران أو عمر كما يذكر البيذق ، وكان من كبار رجالات المرابطين ، وإليه يرجع الفضل في إطلاق سراح محمد بن تومرت من سجن علي بن يوسف بن تاشفين ، وذلك أن الفقيه مالك بن وهيب الإشبيلي كان قد حرض علي بن يوسف على تثقيف ابن تومرت بعد مجادلته لفقهاء دولته ، فشفع له ينتان بن عمران هذا وأبو بكر سير بن وربيل ، فقال ينتان ، يا أمير المسلمين ، كيف تسجن رجلا يعرف الله ، وهو أعرف أهل الأرض بالله ؟ (انظر تفاصيل القصة في أخبار المهدي ص 67 - 69 ، والحلل الموشية ص 101 ، ولو أنه يسميه « ينتيان ») ؛ على أن أول غزوة للمهدي وهي ... تاودرت كانت ضد الجيش المرابطي الذي كان يقوده ينتان هذا (أخبار المهدي ص 74) وقد أشار البيذق إلى بنت لهذا القائد اسمها تماجونت لا ندري إن كانت هي نفسها ميمونة المذكورة هنا أم أختا لها ، إذ يقول إن عبد المؤمن بعد إحدى غزواته للسوس حمل معه عددا كبيرا من النساء يبلغ نحو أربعمائة من الأسيرات ، وكان فيهن تاماجونت المذكورة فقالت هذه لعبد المؤمن : أشفع والدي ينتان في المهدي ؟ فقال لها : صدقت وأطلقها وأطلق معها جميع النساء (ص 88) وحينما فتح عبد المؤمن فاس قتل أسرى المرابطين واستثنى منهم أبناء ينتان المذكور (ص 102) ؛ كذلك ذكر ابن عذارى في أخبار سنة 540 أن عمر بن ينتان وصل إلى عبد المؤمن فارا من أمير لمتونة فلقى من الكرامة ما لا مزيد عليه ثم ارتد ودخل فاس فلما فتحها عبد المؤمن حصل في يد الموحدين مع جملة من الناس ، فأمر بقتلهم وبقي هو معفوا عنه « لما تقدم من وصية المهدي على ذرية ينتان » (البيان المغرب ص 25) .

2) هو عمر الهنتاتي المعروف باسم « إينتي » .

3) في الأصل : أو مسلم ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الحصن (ص 138 ، حاشية 7) .

4) هذه الغزوة التي يشير إليها في النص هي التي قام بها المهدي سنة 522 وجرح فيها .

5) كذا وردت هذه الكلمات الثلاث في الأصل ، ولم نهتد إلى وجه في تأويلها .

وصروال من هزرجة ، فدخله وأحرقه ، وقتل الباغين أهله ، ودخل مدينة جشجال وأحرقها وقتل من فيها ، ثم تحرك رضي الله تعالى عنه إلى داي مرة ثانية ، ورد سريه إلى بلد هزرجة وهم غافلون ، فقتلهم قتلا ذريعا .

ثم تحرك رضي الله تعالى [عنه] إلى أجلاحال من غجدامة [1] الجبل ، وهم الذين قتلوا أبا محمد عطية مع عجوزته يوم العيد ، وكان من أصحاب الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، فجمعهم الخليفة رضي الله تعالى عنه ، وقتل منهم نيفا على ثلاثمائة رجل ، ثم أقبل إلى تينملل .

وفي هذه السنة وحد قبائل من هزرجة وهسكورة ، ثم ارتدوا .

أخبار الأندلس وغيرها في هذه السنة :

فيها اشتدت المجاعة والوباء بالناس بقرطبة ، وكثر الموتى ، وبلغ مد القمح خمسة عشر دينارا ، وكثر الشر وابن قنونة [2] الزرجاني لا يفتر ولا يني [3] عن قتل أهله .

وضربت خيل النصارى على قرى إشبيلية من جهة حصن القليعة ، فأوسعتها غارة وسبيا وقتلا ونهبا ، ثم أغارت خيل النصارى على قرى إشبيلية ثانيا ، واقتحمت الشرف ، والناس على غرة وغفلة ، فقتلت منهم عالما لا يحصى ، وأسرت من النساء والولدان ما يُعْجِزُ وصفه [4] ، وقربت النصارى من إشبيلية ، فطارت

---

1) في الأصل : غجراية ، وقد سبق أن علقنا على هذا الاسم ، وعلى مقتل أبي محمد عطية فيما سبق . انظر ص 138 والحاشيتين 9 ، 10 .

2) هو أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الذي سبق أن أشرنا إليه عند ذكر ولايته على قرطبة .

3) في الأصل : يأتي .

4) كان ذلك في المعركة التي تطلق المراجع [illegible] عليها اسم Azareda في شرف إشبيلية Ajarafe في رجب سنة 526 (مايو [illegible] يونيه 1132) . انظر أوباتي : علي بن يوسف ... ص 107 .

الهيعة فيها ، فصرخ الناس ، وخرج إلى إشبيلية عمر بن مقوز (1) على وجه الاستظهار مع من جمع من الملثمين وسرعان الناس ، فلقيته خيل النصارى وهاجمته ، فقاتل قتالا ، فأدركه فشل وقتل معه جماعة من المسلمين ، وغلّقت أبواب إشبيلية ، ودهش الناس ، ثم رجع النصارى — دمرهم الله تعالى — إلى بلادهم بعد نكاية عظيمة في الملثمين (2) .

وفي هذه السنة أيضا ضربت النصارى على جهة يابرة ، فعمد إليهم تاشفين ، وهو إذ ذاك صاحب غرناطة ، وابن قنونة ، وكان صاحب قرطبة ،

---

(1) في الأصل : « مقوز » ، ولعل الصواب ما أثبتنا وقد سبق أن علقنا على هذا الاسم بمناسبة الكلام على أحد أفراد هذه الأسرة ، وهو أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج المعروف بابن مقور أو مقوز (انظر ص 153 ، حاشية 1) ، أما ابن مقور المذكور هنا فهو أخو يحيى بن علي المشار إليه في الموضع السابق ، واسمه عمر بن علي بن الحاج ، ولي إشبيلية سنة 524 واستشهد في معركة Azareda في شرف إشبيلية سنة 526 ، وقد عرض لهذا القائد ابن عبد الملك المراكشي في كتاب « الذيل والتكملة » (مخطوط الاسكوريال رقم 1682 ، ورقة 20 ب — بقية السفر الرابع ص 61 في ترجمة سليمان بن جعفر الحضرمي) واسمه في نص « الذيل » « عمر بن مقور » أما ابن الخطيب فإنه ذكره باسم أبي حفص عمر بن علي بن الحاج وقال إنه استشهد في تلك الغزوة التي شنها النصارى على إشبيلية (الإحاطة - ط . عنان 452/1) وقد ظن الباحث فرانسسكو كوديرا عندما رأى اختلاف الاسم أنهما شخصان مختلفان ، بينما الحقيقة أنهما اسمان لشخص واحد (انظر بحثه عن « أسرة بني تاشفين » ص 132) .

(2) أورد ابن الخطيب نبأ مهاجمة النصارى لإشبيلية وإيقاعهم بالمسلمين فيها فقال إنهم هاجموا إشبيلية في آخر سنة 526 ، فصبحوها في النصف من رجب وبرز لهم عمر بن علي بن الحاج في نفر من المسلمين ، فاستشهد جميعهم ، ونزل العدو على فرسخين من المدينة فجللها نهبا وغارة . (الإحاطة ط . عنان 451/1 - 452) ، وتشير المراجع المسيحية أيضا إلى هذه الغزوة ، فقد جاء في حوليات ألفونسو السابع (Cronica de Alfonso VII) أن قائد جيوش طليطلة والمكلف بقتال المسلمين في منطقة غرب الأندلس (Extremadura) وكان يدعى رودريغو جونثالث Rodrigo González هاجم إشبيلية ، فخرج له أميرها المسلم ، والتحمت بينهما معركة عنيفة قتل فيها هذا الأمير وكثير من رجاله ، وعاد رودريغو جونثالث محملا بالغنائم . وتنص الحوليات الطليطلية Anales Toledanos على اقتحام رودريغو جونثالث هذا شرف إشبيلية وقتاله للمسلمين بها وانتصاره على أميرها الذي تسميه « عمر » (أي ابن الحاج المذكور) وقتله إياه في معركة Azareda التي سبقت الإشارة إليها وذلك في سنة 1130 م . (انظر بحث فرانسسكو كوديرا : أسرة بني تاشفين ص 130 - 132) .

فالتقوا معهم فهزموا هم النصارى وقتلوهم وأنقذوا الغنيمة [1] .

ولما رجع تاشفين من هذه الغزوة وافاه كتاب علي بن يوسف بولاية قرطبة وغرناطة وإشبيلية [2] ، وعزل عبد الله بن قنونه عن قرطبة وسير إلى إشبيلية فسجن فيها ، ودخل تاشفين قرطبة واليا في شعبان [3] .

وأكلت الجراد زرع قرطبة .

والعباسي في هذه السنة هو المسترشد على ما كان عليه .

* * *

1) تحدث ابن الخطيب وصاحب الحلل الموشية عن غزوة تاشفين هذه عقب كلامه عن مهاجمة النصارى لإشبيلية (الإحاطة – ط . محب الدين الخطيب 283/1 ؛ وط . عنان 452/1 - 453 ؛ والحلل ص 122) ، فذكر ابن الخطيب أن خبر غزو النصارى لإشبيلية لم يبلغ تاشفين حتى خف بأعقاب النصارى متبعا لهم ، فأدركهم عند فلاة بقرب الزلاقة ، وكان النصارى قد قصدوا بطليوس Badajoz وباجة Beja ويابرة Evora ، فدارت المعركة هناك ، وهيأ الله لتاشفين انتصارا عظيما استؤصل فيه الجيش النصراني ، وعاد تاشفين ظافرا إلى بلده في جمادى من هذا العام أي 526 . كذلك أشارت بعض المراجع النصرانية إلى تلك الغزوة ، فقد جاء في حوليات ألفونسو السابع عقب الحديث عن مهاجمة النصارى لإشبيلية أن نفرا من قادة شلمنقة Salamanca حينما علموا بنبأ مهاجمة رودريجو جونثالث لإشبيلية وانتصاره على المسلمين فيها ألقى ذلك في نفوسهم الأمل وقوى عزيمتهم على مهاجمة بطليوس ، وكان تاشفين حينما علم بنبأ مقتل ابن الحاج أمير إشبيلية قد جمع جيشا كبيرا وتوجه إلى لقاء نصارى شلمنقة ، فالتحمت بين الفريقين معركة مزق فيها الجيش المسيحي ولم ينج منه إلا نفر قليل ، وعاد تاشفين إلى قرطبة ظافرا ، وتضيف الحوليات إلى ذلك أن مثل هذه الكارثة قد حل بالنصارى بعد ذلك ثلاث مرات متوالية (انظر كوديرا : أسرة بني تاشفين ص 132 - 135) .

2) يختلف هذا عما جاء في الإحاطة – ط . عنان 446/1 (نقلا عن عبد الملك الوراق) إذ ذكر هناك أن علي بن يوسف ولي ابنه تاشفين على غرناطة والمرية ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده سنة 522 ؛ ولو أن قوله « ثم قرطبة » قد يدل على أن ولايته إياها كانت متأخرة بعض الشيء مما يحتمل معه أن يكون ذلك قد تم في السنة التي يذكرها ابن القطان .

3) يتفق ابن عذارى مع ابن القطان في هذا التاريخ إذ يحدد تعيينه على قرطبة إلى جانب ما كان تحت يده من بلاد الأندلس في 30 رجب سنة 526 – 6 يونية 1132 (انظر أوثيي : علي بن يوسف ص 111) .

باب

في ذكر أنباء سنة سبع وعشرين وخمسمائة

أما الموحدون أعزهم الله تعالى فلا أعرف لهم في هذه السنة حركة .

وأما أخبار غيرهم ففي هذه السنة خرج السليطن النصراني الطاغية [1] وابن هود [2] إلى بلد المسلمين ، فهبطوا إلى إشبيلية ، وانبسطت خيلهم واكتسحت [3] ما وجدت ، ثم هبطوا إلى شريش فدخلوها وقتلوا من وجدوا فيها واستباحوا وبالغوا في نكاية المسلمين ، ثم رجعوا إلى بلادهم .

---

(1) من الواضح أنه يعني به ألفونسو السابع ملك قشتالة ما بين سنتي 1126 و 1157 م. (520 – 551 هـ) وإنما يسميه ابن القطان « السليطين » لأنه اتخذ لقب « امبراطور Emperador » في سنة 1135 م (529 هـ) ، على الرغم من صغر سنه حينما ولي الملك ومن كونه تحت وصاية أمه . وذلك أن ألفونسو السابع هذا كان ابن أراكة Urraca (ابنة ألفونس السادس ملك قشتالة وفاتح طليطلة الذي هزمه المرابطون في « الزلاقة ») وكان مولده سنة 1106 (499 هـ) وولي الملك صغيراً تحت وصاية أمه ، ولهذا لقبوه « بالملك الصغير » Rex Parvus وهذا اللقب هو الذي ترجمه الأندلسيون إلى « السليطين » . أما عن اشتراك ألفونسو السابع بنفسه في تلك الغزوة فإنه لا المراجع المسيحية ولا المراجع العربية الأخرى تؤكد ذلك في مراجعه ، وهو خبر ينفرد به ابن القطان .

(2) في الأصل : الطاغية بن هود ، هذا وتلاحظ كذلك أن ابن القطان هو المؤرخ الوحيد الذي يشير إلى اشتراك ابن هود مع القشتاليين في تلك الغزوة الموجهة إلى إشبيلية وشريش Jerez ، ولاشك أنه يعني سيف الدولة أحمد المستنصر بن عماد الدولة عبد الملك بن المستعين أحمد بن المؤتمن يوسف بن المقتدر أحمد بن سليمان بن أحمد بن هود ، وهو من سلالة بني هود ملوك سرقسطة في عهد الطوائف ، وكان ابن هود هذا هو صاحب قلعة روطة Rueda من عمل مدينة تطيلة Tudela بالثغر الأعلى ، ولما لم يستطع الاستمرار بها ، فسلمها للنصارى واشترك في الفتن التي أثيرت على المرابطين في الأندلس ، فاستولى على قرطبة زمنا في سنة 539 عندما ثار ابن قسي على الملثمين ، ثم ملك جيان وتنقل بينها وبين غرناطة ومرسية وقتل في سنة 540 في غارة للنصارى على مرسية (انظر ابن سعيد : المغرب ، 438/2 ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص 175 - 176 ؛ وابن خلدون : العبر 163/4 ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء 240/2 – 252) .

(3) في الأصل : واكتحست .

[72 أ] وتوجه تاشفين إلى حصن أنطاطة [1] ، بمقربة من قنطرة السيف [2] فنزل فيها بالعساكر ، وقاتلها ، فافتتحها المسلمون عليهم وقتلوا كل من فيها وسبوا النساء والصبيان ، وهدم الحصن إلى أسفله [3] .

وأكلت الجراد زرع هذه السنة .

وفي هذه السنة قتل المسترشد العباسي ، وصلى عليه ابنه الراشد بالله تعالى أبو جعفر منصور المذكور [4] .

---

1) ربما كانت هذه الغزوة هي التي يشير إليها ابن الخطيب في الإحاطة (ط . عنان 451/1 ، وقد قرأها الأستاذ محمد عبد الله عنان : « شنت إشطين » وقال إنها جاءت في المخطوطين اللذين اعتمد عليهما : « بشط اشطن ») ، وقرأها كوديرا في مخطوط المجمع التاريخي الملكي بمدريد « أنتطش أو « أشطش » (أسرة بني تاشفين ص 128) ؛ أما أويثي في مقاله عن « روض القرطاس والمرابطين » (مجلة إسبريس — سنة 1960 — ص 529 - 540) فإنه قال إن خير تفسير لهذا العلم الجغرافي هو أنه الذي يقع الآن في البرتغال ويسمى Idanha - a - Vella قريبا من الحدود البرتغالية الإسبانية في منطقة Castell - Branco على بعد 150 كيلومترا من ماردة ، وعلى أية حال فابن الخطيب يجعل هذه الغزوة في سنة 528 لا في سنة 527 كما يذكر ابن القطان .

2) كذا في الأصل ، ولسنا ندري ما إذا كان النص صحيحا على هذه الصورة أم سقطت منه بعض الألفاظ ، فابن أبي زرع الذي يشير إلى هذه الغزوة يقول (روض القرطاس ص 164) : « فيها غزا الأمير تاشفين بن علي قنطرة محمود فدخلها بالسيف » ، ومن هذا نرى أن هذا الموضع كان اسمه « قنطرة محمود » لا « قنطرة السيف » كما جاء في نص ابن القطان . وقد أورد الإدريسي في جغرافيته موضعا يسمى « قنيطرة محمود » على ضفاف نهر تاجه بين القنطرة وشنترين (نزهة المشتاق ص 189 وترجمة سافيدرا الإسبانية ص 53) . وانظر تعليق أويثي على هذه الغزوة في مقاله المشار إليه ص 540 .

3) يشير كوديرا في بحثه عن « بني تاشفين » (ص 134 - 135) إلى أن ابن الخطيب في كتاب آخر له غير كتاب الإحاطة ، وإن كان لم يحدد أي كتاب هو — (مخطوطة الجزائر رقم 1617) تحدث عن غزوة لتاشفين قد تكون هي المقصودة هنا ، إذ يقول — نقلا عن ابن الصيرفي المؤرخ المرابطي — إنه في سنة 527 بلغ تاشفين أن نفرا من قادة النصارى وعظمائهم أغاروا على بطليوس وباجة ويابرة ؛ فتصدى لهم تاشفين بجيش عظيم وأوقع بهم مقتلة كبيرة ، وفك سراح أسرى المسلمين وعاد ظافراً إلى غرناطة في جمادى الآخرة سنة 528 .

4) ليس صحيحا أن مقتل المسترشد العباسي كان في هذه السنة ، إذ المعروف أنه قتل في سنة 529 ، والمسترشد هو أبو منصور الفضل بن أحمد المستظهر بن عبد الله المقتدي ، بويع بالخلافة في =

وقيل [1] إن موت الآمر صاحب مصر كان في هذه السنة ، بعث الله تعالى قوما من عباده لم يعرف من هم [2] تحالفوا وتعاقدوا على قتل الجبار العنيد مصر الملقب بالآمر . قيل إنهم قصدوا إليه من بلاد الشام ، فأقاموا بمصر ، وعلموا يوم ركوبه ، وكان إذا ركب سدت الديار والحوانيت في ممره ، ولا يمر بطريقه أحد سواه ، ويجعل نصف عسكره أمامه ونصفهم وراءه . وفي وسط كلتا المسافتين اللتين أمامه وخلفه فارسان بينهما وبينه مثل ما بينهما وبين العسكر ، وحوله أربعة من خواص عبيده وصاحب مظله ، [3] هؤلاء هم الذين يحفون به ويسمون « الركابية » ، وهو راكب على فرس قد عود أنه لا يبول ولا يتغوط ، وقد اعتم بعمامة عظيمة يخرج مقدمها على جبهته مقدار شبر ، قد أمسك بعضها ببعض بإبر مغروزة فيها ، ويسدل من ورائه منها ذؤابة ، وكان كَبَرِيَّ « اللون أعين [4] غليظ الشفتين ضخم الجسم ، بين عينيه لؤلؤة كبيرة لم يخرج قط من البحر أعظم منها قدر بيض الحمام ، كانت خرجت من البحر أيام المستنصر جد هذا الجبار العنيد فقصد بها ، فكان هذا المارد إذا خرج يعلقها بين عينيه ،

— ربيع الآخر سنة 512 ، ومولده في سنة 485 ، واغتاله الباطنية في السابع عشر من ذي القعدة سنة 519 ، وبويع بعده ابنه أبو جعفر منصور الملقب بالراشد (انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 256/5 257) ، هذا ويبدو أن ذلك الخطأ قد تناقله بعض المؤرخين المغاربة الآخرين ، نذكر منهم ابن عذاري الذي يعتمد في إيراده على كتاب « المقباس » للوراق (انظر البيان المغرب 311/1) .

1) في الأصل « وقال » هذا وقد كان موت الآمر وولاية الحافظ في سنة 524 كما سبق أن ذكر ابن القطان في أخبار تلك السنة ، ولو أن المؤلف لم يكن متأكدا كل التأكد من ذلك .

2) ذكر المقريزي أن هؤلاء كانوا عدة من النزارية (الخطط 378/2) والنزارية هم الطائفة التي كانت ترى أن الخلافة من حق أبي منصور نزار بن المستنصر عم الخليفة الآمر ، وهو الذي قتله أبوه بيده ، وأن المستعلي والآمر مغتصبان للخلافة دون وجه حق ، وقد كانت هذه الجماعة شديدة التعصب لرأيها ، وهي التي دبرت مصرع الآمر كما ذكر المقريزي وكما نص عليه أيضا ابن تغري بردي (النجوم 184/5 185) والمقري (نفح الطيب 224/2) .

3) في الأصل : مصله .

4) أي غامق اللون كبير العينين .

ليس على رأسه ولا منكبيه رداء ولا طليسان ، ويداه في كميه ، لا يمسك عنانا ولا يشتغل بشيء سوى ركوبه على السرج ، وكان يفرش له طريقه بتراب لم تطأه قدم قط .

فقصد هؤلاء القوم إلى طريقه الذي عهد سلوكه عليه ، وفيه فرن على ممر الشارع ، وكانوا عشرة رجال ، فقصدوا إلى الفران ومعهم دقيق ، وقالوا له : نريد منك أن تخبز لنا خبزا من هذا الدقيق فإنا قوم غرباء مسافرون ، فقال لهم الفران : مولانا اليوم يمر على هذا الشارع ، فإن أنتم أبطأتم فلا يصح لكم ما تريدون ، وإن أنتم عجلتم صح لكم ذلك . قالوا له : الساعة نفرغ من ذلك وأرغبوه في الأجرة ودفعوها إليه ، فأذن لهم وشرط عليهم العجلة . فجعلوا يتأنون ويحدثون أشغالا والفران يتعجلهم إلى أن مر عليهم مقدم العسكر الأول الذي يمشي أمامه ، فأعنف عليهم الفران في الخروج ولم يمهلهم ؛ فلما رأوا ذلك منه اجتمعوا عليه ودسوه في داخل الفرن ، وسدوا فمه بغطائه فشووه .

[73 ب] وأقاموا * بالفرن وبابه مغلق عليهم إلى أن سمعوا وقع حوافر فرسه ، فأول من خرج من الفرن كهل منهم ، وجعل يسجد إلى الأرض وينادي : أنا بالله وبعدل مولانا ! ، ويسجد سجدة أخرى ويقول مثل قوله ، ويقترب منه وهو يمشي إليه إلى أن ألقى يده في شكائم الفرس ، وسل من حزامه سكينا وضرب بها بطن الفرس ، فسقط جميع ما في بطنه ، وسقط على الأرض .

وخرج أصحابه من الفرن بعد ذلك ، وألقى يده في مجامع ثياب ذلك الجبار ، وضربه ضربة فرى بها أوداجه ، وتبادر أصحابه فضربوه بسكاكينهم ضربات كثيرة ، وألقى الله عز وجل السبات على ركابية الجبار إلى أن فرغ من قتله . وحينئذ صرف الله تعالى أرواحهم إليهم ، فوقعوا على الفاعلين فقتلوهم أجمعين ، ووجهوا إلى مقدمة الجيش بسد الدرب القريب منه ، وفعلوا كذلك بالذين من خلفهم ، وذكروا لهم أن مولانا كبا به فرسه ، وكان هذا الموضع قريبا من النيل ، فأتوا بزورق وحملوه وفرسه ، وأدخلوه الزورق ، وأزالوا الدم من ذلك المكان وغيره ، وغيروا من أمره ما استطاعوا وقذفوا به ، وحملوه إلى قصره بالقاهرة ،

وانقضى عمره وقت مدته ، وأراح الله تعالى منه عباده وبلاده [1] .

• [واختلف الناس على] [2] من يلي الأمر من بعده ، إذ لم يترك ولدا ، فأرادت عمته أن يولي بعده فتاه « حرز الملوك [3] » ، فأدخلته القصر وعزمت على ذلك ، وجمع هذا الأمراء والقواد ، فأنفوا [4] أن يلي عليهم من صفته تلك ، وزحف جميع العسكرية لما بلغهم ذلك إلى القصر ، فصاحوا ، فأغلق في وجههم ، فقالوا : إن لم يخرج إلينا الفاعل الصانع الذي تريدون أن تؤمروه لنضرمنّه نارا على [من فيه [5]] ! فأمرت العمة بحرز الملوك [6] ، فقتل ورمى رأسه إليهم ، فسكنت سورتهم ، فولوا أمرهم ابن الأفضل بن أمير الجيوش ، فتولى عليهم بعدة من عشرين شهرا ، ثم عدوا عليه فقتلوه . وتولى الأمر بعده شيخ من آل عبيد من ولد المستنصر [7] كان يغسل موتى القصر [8] . فأحسن السيرة ، وجمع الناس . ودام أمره إلى سنة أربعين وخمسمائة [9] ، وتلقب بالحافظ لأمر الله .

---

1) يتفق ما جاء في هذا الخبر في جملته مع ما ذكره المقريزي في وصف اغتيال الآمر (اتعاظ 379/2) وابن تغرى بردي (النجوم 184/5 - 185) وابن خلدون (العبر 71/4) وابن الأثير (الكامل 112/8) وابن حماده (أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص 60) والمقري (نفح الطيب 294/2) ، على أن خبر ابن القطان يشتمل على كثير من التفاصيل الشائقة التي ينفرد بها ، وقد ذكر ابن عذاري في البيان (311/1) أن الذي قتل الآمر هو الغلام الذي اسمه « حرز الملوك » والذي يسميه المقريزي هزار الملوك .

2) في هذا الموضع قطع بقدر ثلاث كلمات ، وقد أكملنا السياق بما لا نظنه يخرج عن معنى ما أثبتنا .

3) في الأصل : « هزار ملك » ، وقد تكرر ذكره قبل ذلك كما أثبتنا هنا .

4) في الأصل : فاتفقوا .

5) كلمتان غير واضحتين في الأصل .

6) في الأصل : بهزار ملك .

7) في الأصل : المنتصر .

8) المعروف أن عبد المجيد الحافظ بن أبي القاسم محمد بن معد المستنصر ولي الخلافة بعد مقتل الآمر على أنه كفيل للولد الذي كان الآمر قبل وفاته أشار إلى أنه سيولد له من جارية عينها ، ثم إن هذه الجارية لم تلد فمضت خلافة الحافظ بعد ذلك ، وكان حرز الملوك (أو هزار الملوك كما يسميه المقريزي) قد وزر له ثم يانس متولي الباب ثم أبو علي أحمد بن الأفضل (انظر ابن تغرى بردي : النجوم 240/5 - 241) .

9) كذا ، والمعروف أن خلافة الحافظ استمرت حتى جمادى الآخرة سنة 544 إذ توفي في هذا التاريخ .

باب
فى ذكر أنباء سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

أما أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى فقيل إن الموحدين أعزهم الله تعالى قتلوا ابرهيم بن تاعياشت فى غزوة أثارها ، وكانت الدبرة عليه . وكبابه فرسه فقتل . وهو ابراهيم بن يوسف الزرجانى [1] [وللمؤرخين] [2] المعتنين بهذا الشأن اختلاف في [ميقات] [2] ذلك وكيفيته ، * وهذا أشبه ما [رأيته في ذلك] [2] . [74 ب]

أخبار غيرهم :

فيها عزل علي بن يوسف الزرجاني أبا عبد الله ابن أصبغ [3] عن القضاء بقرطبة ، وولى أبا عبد الله محمد بن [الحاج [4]] قضاءها ؛ وولى على قضاء إشبيلية أبا بكر ابن العربي [5] ؛ وشرع فى بناء سور إشبيلية من جهة الوادي بأمر علي بن يوسف [6] .

---

1) سبق أن عرفنا بابن تاعياشت (أو تعيشت) هذا تعريفا وافيا (راجع ص 130 ، حاشية 2) .

2) كلمات غير واضحة في الأصل .

3) انظر ما سلف أن كتبناه عن القاضي ابن أصبغ المعروف باسم ابن المناصف عند إيراد ابن القطان خبر ولايته على قضاء قرطبة (ص 150 ، حاشية 2) .

4) مكان هذه الكلمة بياض فى الأصل ، وقد استكملناها بفضل ما تدل عليه المراجع الأخرى ، وابن الحاج هذا هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن ابراهيم بن لب بن بيطير التجيبي ، ولد سنة 458 ، وكان من جلة العلماء والمحدثين رأسا فى الشورى ، وكان له مجلس بالمسجد الجامع بقرطبة ، وتقلد قضاء الجماعة في هذه القاعدة مرتين ، ولم يزل متوليا للقضاء للمرة الثانية حتى قتل وهو ساجد لاربع بقين من صفر سنة 529 ، وسيذكر ابن القطان نبأ اغتياله بعد قليل (انظر في ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، رقم 1278 ، والنباهى : المرقبة العليا ص 102) .

5) سبق أن عرفنا بأبى بكر ابن العربى الإشبيلي (راجع ص 71 حاشية 3) .

6) وافانا ابن عذارى بتفصيل عظيم القيمة عن الإصلاحات والترميمات الكثيرة التي اضطلع بها المرابطون فى أسوار قواعد الأندلس ولا سيما غرناطة وقرطبة وإشبيلية والمرية ابتداء من سنة 520 ، ويبدو أن الفضل فى هذه الأعمال كان يرجع إلى النصيحة التى أسداها الفقيه ابن رشد القرطبي لعلي بن يوسف =

وفي هذه السنة نازل ابن رذمير إفراغة [1] ، وحاصرها ، وهزم ابن رذمير لعنه الله تعالى وقتل رجاله ، ثم مات هو على أثر ذلك .

وفي هذه السنة [2] فنادق قرطبة حتى كان [3] .

وأكلت الجراد ما كان على الأرض من [زرع وكلأ [4]] .

* * *

= (انظر تفصيل الأخبار الخاصة بذلك في القسم المرابطي من البيان ص 73 - 74 ، والترجمة الإسبانية لتلك النصوص في مقال الأستاذ أويثي : علي بن يوسف ص 101) .

1) سيعود ابن القطان للحديث بالتفصيل عن موقعة إفراغة في أخبار سنة 529 ، والصحيح أن تاريخ هذه المعركة في سنة 528 كما ذكر المؤلف هنا لا كما ينقل بعد عن الوراق .

2) قطع في الأصل بقدر كلمة .

3) قطع بقدر كلمتين أو ثلاث .

4) كلمتان غير واضحتين في الأصل لطمس وقطوع ، ولعلها كما أثبتنا .

باب

فى ذكر أنباء سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فى هذه السنة كان الإعلان بموت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه [1] . والإعلان ببيعة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين ، فرفع الغطاء ، وسطع الضياء ، وبهرت الشمس ما دونها من السحاب ، وتبلج الحق واضحا بغير حجاب ، وكملت السُّنَّة ، وهملت المنة ، وخلص العدل من محاقه ، ودام الفضل فى اتساقه ، .... [2] ....

....

[79 أ] « نبايعك على ما بايعنا الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه !

فمد يده فبايعوه ، واتصلت البيعة ثلاثة أيام [3] ، فأشرقت الأرض بنور إمامته ، ونال أهلها عظيم حظوته وكرامته ، ولاحت غرر الفتوح زاهرة ، وأقبلت المسرات متتابعة متواترة ، والحمد لله رب العالمين .

---

1) أشرنا من قبل إلى اختلاف المؤرخين حول تاريخ الإعلان بموت المهدي وبيعة عبد المؤمن (راجع ص 204 ، حاشية 1) .

2) ينقطع النص هنا لخرم وقع فيه ، ولننقل في هذا الموضع عن كتاب أخبار المهدي للبيذق (ص 85) نصه عن بيعة عبد المؤمن ففيه إكمال لما ذهب هنا من خبر ذلك ، وقد جعل البيذق ذلك بعد غزوة عبد المؤمن بجزولة ورجوعه إلى تينملل :

« وصاح بالقبائل ، وضم الموحدين ، وحفل (في الأصل : وجعل) المجلس ، فاستعمل ركائز ، وحال بين الرجال والنساء ، ثم وعظ الناس ، وقال لهم فى آخر كلامه : بقى عندكم عهد بيعة المهدي (رضه) ، قالوا : نعم . فقعد ، ثم وعظ أبو إبراهيم ، ثم وعظ عمر آصناج ، ثم سائر المشيخة رضي الله عنهم أجمعين . ثم قال لهم : المهدي قد توفى رضى الله عنه ، فبكى الناس ، ثم قال لهم : اسكتوا . فسكتوا . فقال أبو إبراهيم وعمر آصناج وعبد الرحمن بن زجو ومحمد بن محمد لعبد المؤمن : امدد يمينك نبايعك ... الخ » .

3) كذا ذكر البيذق أيضا (انظر الموضع المشار إليه فى الحاشية السابقة) وكتاب أويثي : تاريخ 110 - 109/1 .

وصارت حصون الفلاكي كلها لهم ، وصار الفلاكي يغير على جهات السوس وجهات أعمات والموحدون في كل يوم تنمى أحوالهم ، وتزيد عساكرهم ورجالهم ، وزاد فيهم صنهاجة الجبل وهسكورة الجبل ، ودخلوا تارودانت وإيجلي ، وهما مدينتان من السوس الأقصى .

وذكر ابن الراعي رسالة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهم التي يذكر فيها دخول تارودانت ، فرأيت إثباتها هنا ، ليتبين منها كيفية فتح السوس :

« وذلك أن فيها فتح السوس وأن الموحدين أعزهم الله تعالى لما استولوا على بلاد السوس من أوله إلى آخره ، من فوقه إلى أسفله ، فقتل أهله ، وانجلى من لم يقتل منهزمين إلى كل أفق مما حواليه من هنكيسة وجزولة ، وبعضهم قد انحصر مع الملثمين بتيونوين ، فكان آخر هزائمهم التي هزمهم الموحدون أعزهم الله تعالى فيها هي الهزيمة التي قتل فيها توجين [1] ؛ ثم قنطوا من سوس ويئسوا منه ، فانقبضوا بتيونوين في ذل وخزى ورعب ، لا يستطيعون حيلة ، ولا يقدرون على حركتهم ، والحمد لله الذي أظهر ضعفهم ، وأخذهم بسوء فعلهم .

ولما بلغوا هذا المبلغ زادهم الله تعالى استدراجا ومكرا ، فقام المخذول العلج « الأعرج [2] من أجر فرجان ، فاقتحم بنفسه في طريق إيغيران تطوف في حال غفلة من الموحدين أعزهم الله تعالى الذين عليها [3] حتى جاز عليهم . ولم يشعروا به حتى فاتهم بمن معه هاربين ، فاتبعهم الموحدون حتى وصلوا إلى بلاد السوس ، ولاشك في أن الله تعالى قد علم في ذلك خيرا ، إذ هو المدبر لهذه الأمور ، ولم يكلها إلينا ، والحمد لله رب العالمين .

---

1) لم يرد ذكر لهذا القائد المرابطي في أي مرجع آخر .

2) يبدو أنه يعني به القائد المعروف « الربرتير El Reverter » الذي تكرر ذكره فيما سبق ، كما يقول أويثي في تاريخه (112/1) .

3) في الأصل : عليهم .

ولم يصل العلج إلا بنحو أربعمائة برذون ، فلما وصل إلى تيونوين تسامع به من فر إلى الأطراف من بقية أهل سوس ، فكان هو معبودهم ومُتّبَعَهم ، فاتكلوا عليه ونسوا ربهم ، وجهلوا أمر الله تعالى ، واغتروا بقدومه ، فرجعوا إلى أوطانهم . وحسبوا أنه يمنعهم من بأس الله مع أنهم لم يجدوا فى الدنيا مهرباً ولا ملجأ ، فبادروا إلى النزول فى بلادهم ، فميزنا عسكرا مباركا من خيل ورجل ، فخرجوا إلى ناحية تارودانت ، وبعثنا تلك الليلة سرية إلى أسفل السوس ، فوجدوا بلاد المجسم معمورة قد سكنوا بأهاليهم ومواشيهم ، فقتلوهم وغنموا أموالهم بقرا وغنما ودواب [1] وعبيدا ، وسبوا ذراريهم وأهاليهم ، ورجعوا سالمين غانمين . ثم بعثنا سرية أخرى فى الليلة التى تليها إلى بقية تلك الناحية ، أعنى أسفل السوس ، فقتلوا مقتلة أكثر من الأولى ، وغنموا أكثر مما غنم [2] أصحابهم .

[٢٥ أ] وأما العسكر فقصدوا إلى تارودانت حتى دخلوها ، فوجدوا البقية « التي رجعت إليها هاربين قد بعث إليهم الملثمون المحصورون بتيونوين حين عاينوا عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى قد أقبل إليهم فقالوا لهم : انجوا بأنفسكم ! قد غشيكم عسكر الموحدين أعزهم الله تعالى ، فهربوا إلا بعض من كان فى أطراف البلد مثل تاجندويت ورقالة ، فقتل الموحدون من وجدوا .

ثم نزل الموحدون فى وسط تارودانت ، واستقروا بها ساكنين وهزموها وحرقوها وأطلقوا النار فى القصب ، إذ لا يقدر عليه من كثرته إلا بالنار ، ونحن ننظر [3] إلى الدخان قد علا وارتفع فى الهواء [4] ، وتألف فصار كالسحاب المتراكم ، والكفرة بتيونوين لا يقدرون على أكثر من النظر إلى الدخان والنيران تضرم فى منازلهم وأوطانهم ، وهم مع العلج لم يزدادوا بقدومه عليهم إلا شدة هول وحصار

---

1) في الأصل : ودوابا .

2) في الأصل : غنموا .

3) في الأصل : ننظروا .

4) في الأصل : الهوى .

ومومه وجوع ، ولما أيقن البربر وغيرهم بعجز العلج انكسرت قلوبهم ، واستمرت الهزيمة عليهم ؛ والحمد لله الذي أخذهم بذنوبهم ، وانتقم منهم بجرمهم » [1]

ومما كان في هذا العام حركة الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى بني يبغز [2] ، وسببها أنهم قتلوا أبا محمد عبد العزيز الغيغائي [3] من أصحاب الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه ، كان توجه داعية لهم ، فغدروه وقتلوه ؛ وتحرك سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى أشفشد من بلد بني يبغز [4] سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

فلما نزلت المحلة هنالك أخذت بنويبغز [5] حزم الحطب ، فربطوها على ظهور الجمال ، وأضرموا فيها النار ليلا . وأطلقوا الجمال في المحلة ، فنفر الناس ، وسارت بنويبغز [5] إثر جمالهم حتى وصلوا إلى خباء سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه ، وجللوها بالرماح ، وكان سيدنا ومولانا الخليفة « رضي الله تعالى عنه قد أخذ بالحزم ليلتين ، فحاد عن خبائه المعروف له ، وأخفى موضع مبيته احتياطا ، فسلمه الله تعالى ، وله الحمد كثيرا [6] .

---

1) ينفرد ابن القطان بتفصيل هذه الأخبار دون غيره من مؤرخي الدولة الموحدية . وانظر أوثي : تاريخ 1/110 - 113 .

2) في الأصل : بيغز ، وبنو يبغز بطن من هنتاتة على ما يذكر صاحب كتاب المقتبس (أخبار المهدي ص 41) .

3) في الأصل : الغيغادي ، وهو أبو محمد عبد العزيز بن عبد الله الغيغائي الذي سبق لابن القطان أن ذكره من بين طبقة أهل الدار من طبقات الموحدين (انظر ص 87) وقد ذكره أيضا صاحب كتاب المقتبس فاعتبره مرة من أهل الدار ومرة أخرى من أهل الجماعة (أخبار المهدي ص 29 ، 33) .

4) في الأصل : يعز .

5) في الأصل : يعز .

6) لعل هذا الخبر الذي يرويه ابن القطان هنا في واقعية وإيجاز ودقة هو الذي نسج حوله بعض المؤرخين المتأخرين أسطورة من أساطير البطولة نراها مروية بشكل متباين لدى عبد الواحد المراكشي وابن أبي زرع . أما الأول فإنه يذكر أن قوما من قرابة محمد بن تومرت تآمروا على أن يدخلوا على عبد المؤمن خباءه ليلا فيقتلوه ، فإذا فعلوا أصبح الأمر لهم ، فعلم بذلك أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى الهزرجي ، فسأل عبد المؤمن أن يدعه يبيت تلك الليلة في مكانه ، فأجابه عبد المؤمن إلى ذلك ، ودخل أولئك القوم —

ومن تلك الليلة رتبت ساقة تيطاف للمبيت في الليل إيهتيجمي [1] وكانت ملحمة عظيمة ، وأخذ رجلان من بني يبغز في خباء سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه . فقيل لهما [2] عند الصباح : ما كان غرضكما [3] ؟ فقالا : قتل الخليفة . فأمر بقتلهما ، وتراجع الناس . ومكث سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه هنالك أربعين يوما ، ثم رجع إلى تينملل .

* * *

= وتولوا النائم بالحديد حتى مات وكانوا يظنونه عبد المؤمن ، فلما أصبحوا وعلموا بالأمر فروا إلى مراكش ، أما عبد المؤمن فإنه لما علم بالخبر أعظمه ووجد على أبي ابراهيم وجدا شديدا (انظر المعجب ص 303 - 304) ؛ أما ابن أبي زرع فإنه يقول إنه لما طالت بالموحدين الاقامة بالمشرق (أثناء غزوة إفريقية) والتغرب عن أولادهم عزمت طائفة منهم في سنه 555 على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه إذا نام ، فعلم بذلك احد المخلصين للخليفة فأخبره بالخبر وطلب منه أن يبيت بخبائه تلك الليلة ويفديه من الموت ، ففعل واستشهد الرجل ، فلما أصبح عبد المؤمن بنى قريبا من موضع مصرعه قبة وجامعا ثم أمر ببناء مدينة حول المسجد ، وهي المدينة التي أصبحت تحمل بعد ذلك اسم « البطحاء » (روض القرطاس 199 - 200) . وانظر عن هذه الأسطورة كذلك بحث الأستاذ أويثي عن « الأسطورة والتاريخ في نشأة الدولة الموحدية » في كتاب تاريخ الدولة الموحدية 606/2 - 608) .

1) كذا في الأصل ، ولم نهتد إلى وجه في تأويلها .
2) في الأصل : لهم .
3) في الأصل : غرضكم .

أخبار الأندلس [1] في هذه السنة :

فيها وُثب على قاضي قرطبة أبي عبد الله بن الحاج في المسجد الجامع في صلاة الجمعة في السجدة الأولى من الركعة الأولى وهو ساجد فقتل واحتمل في نعش بدمائه ، فمات في داره عشي ذلك اليوم الذي هو يوم الجمعة لخمس بقين من صفر [2] ، وقتل قاتله في الحين في صحن الجامع [3] .

وخرج تاشفين الزرجاني وهو صاحب قرطبة لخيل ظهرت وأغارت ، واستنفر الناس ، فخرجوا وأوعبوا ، وخرجت عساكر إشبيلية ويابرة . [4] واجتمع عليهم بشر كثير . فنزل المسلمون في موضع يعرف بالبكار [5] ليكون اللقاء [في] [6] يوم آخر ، فعاجلتهم خيل النصارى وهجمت عليهم بالليل ، فتخلخلت المحلة . وخاف [7] الناس وتخاذلوا ، فقتل من المسلمين ناس كثير ، ونهبت أسبابهم وأمتعتهم ، وفر المسلمون تحت ظلام الليل على وجوههم ، وقصد النصارى نحو خباء تاشفين ، فكانت للمسلمين هنالك جولة ، ثم ثبت النفر اليسير ، وأصيب من النصارى هنالك زعيم منهم ، وصد الله تعالى بلطفه النصارى ، ونكصوا على أعقابهم ، « وأصبح [8] تاشفين في موضع تحلته ،]

---

1) في الأصل : الموحدين ، وقد أصلحناها بما يتفق مع السياق .

2) في الأصل : سفر .

3) انظر تعليقنا السابق (ص 234 حاشية 4) .

4) في الأصل : وتابرة ، والصواب ما أثبتنا ، ويابرة (وتكتب أيضا « يابورة ») هي التي تسمى الآن Evora في البرتغال .

5) في الأصل : بالنكار ، ويكتب أيضا « فحص البكار » ، وهو الموضع الذي يسمى الآن Albacar على بعد 20 كيلومترا إلى الشمال من قرطبة .

6) إضافة يقتضيها السياق .

7) في الأصل : وخاض .

8) في الأصل : وأصلح .

فثاب الناس إليه ، وأقبلوا عليه ، وأخذ بهم في الانصراف إلى حصن **قصرش** [1] من حصون المسلمين ، ثم رجع بالناس إلى قرطبة ، وتفرقت العساكر ، ورجعت النصارى بغنائمهم إلى بلادهم [2] .

ومحت الجراد ما على الأرض من زرع وكلأ ، وأمر الناس بالخروج إليها ، فساقوا منها خمسة آلاف عدل وثلاثمائة وثلاثين عدلا . وما غاب عن العيون أكثر تركت فى الموضع الذي قتلت فيه ولم تحمل [3] .

---

1) بالإسبانية الآن Càceres

2) أشار أيضا إلى تلك الغزوة ابن الخطيب فى ترجمته لتاشفين فى كتاب الإحاطة نقلا عن أبى بكر الصيرفى (مخطوطة مكتبة الجزائر التى أشرنا إليها من قبل ، ورقة 107 على ما يذكر كوديرا فى بحثه عن أسرة بني تاشفين ص 137 - 138 ؛ ولم يرد هذا النص فى طبعة محب الدين الخطيب ولا طبعة الأستاذ محمد عبد الله عنان لكتاب الإحاطة) . ويقول ابن الخطيب فى ذلك النص إن جيوش تاشفين فوجئت بمهاجمة الجيوش المسيحية ، فتفرق عنه أصحابه ولم يبق هو إلا في عدد قليل لا يتجاوز أربعين رجلا ، إلا أنه ثبت فى هذه المعركة ثباتا منحه الله فيه النصر ، وابن الخطيب يحدد مكان هذه الموقعة بفحص البكار ولكنه لا يحدد تاريخها . ويضيف كوديرا في تعليقه عليها أن « حوليات ألفونسو السابع » تشير إليها أيضا ، فتقول إن تاشفين خرج من قرطبة ومعه الزبير بن عمر أمير قرطبة (ويطلق عليه المرجع المسيحي اسم **Azubel**) وقائد آخر تسميه **Abenzeta** أمير إشبيلية مع غيرهم من زعماء المسلمين في جيش ضخم متوجهين لمغاورة طليطلة ، فلما بلغ جيش المسلمين إلى اليسانة **Lucena** خرج إليهم ألف من فرسان أبلة **Avila** وشقوبية **Segovia** وعدد كبير من الرجالة ، وهم متوجهون للإغارة على بسائط قرطبة ففاجأوا معسكر تاشفين ، وأخذ المسلمين على غرة ، فوقع الاضطراب في صفوفهم ، ثم عاد فريق من المسلمين فالتفوا بتاشفين وذبوا عنه ذبا شديدا ، واشتد وطيس المعركة ، فجرح تاشفين ، واضطر إلى الهرب على فرس بغير ركاب وقد أصيبت ساقه ، فبقى بعدها أعرج بقية حياته . هذا هو مجمل ما يقوله المرجع المسيحي حول تلك المعركة ، ومن الواضح أن الخبر على هذه الصورة فيه من المبالغة وسعة الخيال الشيء الكثير ، إذ أننا نرى من وصف ابن القطان للموقعة — وهو مؤرخ متحامل على المرابطين متصيد لأخبار هزائمهم — أن تاشفين لم يفر من ميدان المعترك ولم يصب تلك الإصابة التي يتمدح بها المصدر المسيحي ، على أن الخبر إذا عرى من تلك المبالغات يتفق في جملته مع ما يذكره ابن الخطيب وابن القطان هنا (انظر بحث كوديرا المذكور ص 136 - 137) .

3) إلى ابن القطان يرجع الفضل في امدادنا بهذه الأخبار حول فتك الجراد بحقول الأندلس فيما بين سنتي 527 و 531 ، ويبدو أن تلك الأضرار قد أصبحت من مشاغل الحكومة المرابطية التي وجهت =

وقتل يهودي مسلماً ، فاستطال المسلمون على اليهود ، فنهبت أموالهم ، وهدمت ديارهم ، وذلك بقرطبة .

وبقيت قرطبة أشهراً دون قاض ، ثم وليها أبو جعفر حمدين بن حمدين [1]

قال الوراق :

ومن أغرب ما كان في سنة تسع وعشرين [2] هزيمة الطاغية

إنها اهتماماً خاصاً ، كما نرى في الرسالة التي كتبها عن علي بن يوسف الكاتب الأندلسي أبو بكر ابن القصيرة « يحض على قتل الجراد » ، وقد نشرنا هذه الرسالة في جملة ما نشرناه من الرسائل المرابطية (انظر كتابنا « وثائق تاريخية جديدة ... » ص 164 ، 186 - 188) .

1) هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي القرطبي ، أصله من باغه من عمل غرناطة ، ولي قضاء الجماعة في قرطبة في شعبان سنة 529 ، وذلك بعد الفترة التي أعقبت اغتيال أبي عبد الله بن الحاج الذي قتل في المسجد الجامع في صفر من هذه السنة على ما سبق أن أورد ابن القطان وغيره من المؤرخين ، أي بعد أن بقيت قرطبة من غير قاض أكثر من خمسة شهور ، وظل ابن حمدين على قضاء قرطبة حتى سنة 532 إذ صرف عن هذا المنصب بأبي القاسم أحمد بن محمد بن رشد ، ثم استعفى ابن رشد فأعفي وعاد ابن حمدين إلى تولي القضاء سنة 536 . وفي سنة 539 قام بإعلان الثورة على حكم المرابطين بعد أن بلغته أنباء ثورة ابن قسي في غرب الأندلس ، وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله ، ودعي له على منبر قرطبة وأكثر المنابر الأندلسية ، ولكن ولايته لم تطل ، وتعاورته المحن ، وخرج إلى العدوة المغربية وأقام هنالك وقتاً ، ثم عاد فاستقر بمالقة وتوفي سنة 548 (انظر في ترجمته الضبي : بغية الملتمس ، رقم 685 ؛ ابن الأبار : التكملة ، رقم 119 والحلة السيراء 204/2 - 206 ، 211 - 219 ؛ وابن الخطيب أعمال الاعلام ص 252 - 254 حيث يسميه أحمد بن محمد ؛ ومن الأبحاث الحديثة : فرانسسكو كوديرا : اضمحلال دولة المرابطين في الأندلس ص 53 - 67 ، ص 298 - 295 ؛ ويوسف فيلا : المرابطون ص 288 - 291) .

2) هكذا ذكر ابن القطان في تاريخ هذه الموقعة نقلا عن الوراق ، وقد قدمنا أن الصحيح هو ما سبق أن أورده من قبل من أنها كانت في الثالث والعشرين من رمضان سنة 528 (17 يوليه 1134) ، ويؤيد ذلك ما يذكره الضبي في ترجمته لعالمين توفيا في سنة 528 المذكورة (بغية الملتمس ص 95 ، 400) وما ذكره سائر المراجع المسيحية التي أورد رواياتها كوديرا في بحثه عن « اضمحلال دولة المرابطين » (ص 269 - 272) ، وقد جاء في الروض المعطار لابن عبد المنعم الحميري أن الموقعة كانت في سنة 525 (انظر ص 24 - 25 من النص العربي) ولو أن ذلك يبدو مجرد خطأ مطبعي إذ أن ليفي بروفنسال ينص

ابن ردمير (1) – لعنه الله تعالى – مدينة إفراغة من الثغر المصاقب لبلاد الفرنجة وذلك أن اللعين لما تغلب على الثغر الأعلى : مدينة سرقسطة وذواتها ، ومدينة تطيلة وذواتها ، وقلعة أيوب وذواتها ، وسواها ، وهزم عساكر لمتونة وقهرهم في مواطن كثيرة رأى ذلك البرشلوني (2) مضاهيهم في الثغر الأعلى ، فاشرأب إلى التغلب على ما يجاوره من البلاد : لا ردة وإفراغة وغيرهما ، ونظر لمتونة إلى ذلك ، فخافوا أن ينفتق عليهم فتق آخر من البرشلوني . فصالحوا البرشلوني باثنى عشر ألف دينار يؤدونها له في كل سنة صلحا عن هذا الثغر الذي يصاقبه ، ويستريحون (3) من شره ولا يكابدون حربين ، وذلك عن أمر علي بن يوسف ؛

= في ترجمته الفرنسية لهذا الكتاب (ص 31) على أنها كانت سنة 528 ، أما ابن الأثير فقد تحدث عنها في أخبار سنة 529 (الكامل 351/8) . وانظر كذلك ما كتبه عنها ابن الخطيب في الإحاطة في ترجمتي يحيى بن علي بن غانية (344/4) ومحمد بن سعد بن مردنيش (121/2) وكذلك (108/1) ، ثم في أعمال الاعلام ص 259 - 260 ؛ وأخيراً بحث يوسك فيلا عن المرابطين ص 240 - 241 .

1) يعني به ألفونسو الأول ملك أرغون الملقب بالمحارب ، وقد مر ذكره من قبل (انظر ص 152 ، حاشية رقم 1) .

2) في الأصل : البرشلولي ؛ والذي يشير إليه ابن القطان هنا من مهادنة المسلمين لقومس برشلونة ودفعهم الجزية له جديد لا نعرفه في أي مرجع آخر من المراجع التي تحدثت عن ملابسات وقعة إفراغه (بالإسبانية Fraga) ؛ أما هذا « البرشلوني » فلابد أنه يعني به « ريمند بن برنجار » (المعروف في المراجع الإسبانية باسم Ramon Berenguer III والملقب بالعظيم El Grande) ، ولي إمارة برشلونة بين سنتي 1096 و 1131 م. (497 - 525 هـ.) ؛ ويبدو من الغريب أن يصل الأمر بالمسلمين إلى دفع الجزية له ، إذ أن هذا الأمير لم يعرف له كبير نشاط من الناحية العسكرية ضد المسلمين ، وكل ما عرف من ذلك عنه هو توجيهه حملة غير موفقة إلى مسلمي مدينة مربيطر Murviedro سنة 499 هـ. (1098) ثم اشتراكه مع القراصنة الجنويين والبيزيين في غزو جزيرتي ميورقة ويابسة سنة 508 (1114) ، وحتى هذه الحملة لم يتح لها نصيب كبير من النجاح ، إذ أن القوات المتحالفة اضطرت إلى الجلاء عن ميورقة ويابسة في سنة 509 بعد أن وجه علي بن يوسف أسطولا كبيرا لاستنقاذهما (انظر مقالنا « وثائق تاريخية ... » ص 158-160) ؛ أما أبناء ريمند بن برنجار الذين وزع عليهم مملكته بعد وفاته فلم يعرف لهم أيضا نشاط حربي يذكر (انظر عن حكم هذا الأمير كتاب أجوادو بلييه : تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى ص 632 - 634) . وعلى أية حال فلهذا النص قيمته في بيان ما كان بين مملكتي برشلونة وأرغون من تنافس .

3) في الأصل : ويسترحون .

ولم يخف ، عن اللعين ابن رذمير هذا التدبير ، فآسفه وغاضبه [1] وقال : هؤلاء العمال الصناع يؤدون الإتاوة للصانع الفاعل ، ولو أعطوني أنا درهماً واحداً لأخذته ، ويعلم أني قهرتهم وغلبتهم ! وحلف بأيمان مغلظة عنده : لأنزلن على تلك البلاد ، | 77
التي يؤدون عليها الجزية [2] ، فأصيرها في ملكي ، وأقطع منفعتها عن الفاعل الصانع البرشلوني ، حتى يعلم أهل الأرض أني قهرتهم في كل وجه !

فجيش جيشه ، ونزل على مدينة إفراغة ، لما كانت أمنع تلك المدن وأحصنها ، وأهلها أشدّ ذلك الصقع ، فنازلها وأقسم بجميع أيمانه لا يقلع عنها حتى يستحوذ عليها .

وكان القائد ببلنسية يدر بن ورقاء [3] ، والقائد بمرسية يحيى بن علي بن غانية [4] . فلما مات يدر جمع علي بن يوسف عمله إلى ابن غانية فسكن مدينة بلنسية ، واجتمع عليه عسكرها ، ولما طاول ابن رذمير حصار مدينة إفراغة

1) كذا في الأصل ، وربما كان الأقرب : وأغضبه ، وقد تكون : وغاظه ، فالناسخ كثيرا ما خلط بين الضاد والظاء .

2) في الأصل : الخزية .

3) سبق أن علقنا على شخصية أبي عبد الله يدر بن ورقاء هذا (ص 152 ، حاشية 3) .

4) هو أبو زكريا يحيى بن علي بن غانية الصحراوي ، وغانية اسم أمه ، وتزوج عامل قرطبة أبو عبد الله محمد بن الحاج من أمه غانية هذه بعد موت أبيه وكفله ، فنشأ يحيى في كنفه ، وولاه مدينة إستجة Ecija فهي أول ولاية له ، ثم رغب يدر بن ورقاء صاحب بلنسية إلى السلطان علي بن يوسف في توجيه يحيى إليه ليستعين به على العدو لما اشتهر من بسالته وغنائه فأجيب إلى ذلك ، ووصل يحيى إلى بلنسية وأقام بها ، ويبدو أن يدر بن ورقاء أسند إليه عمل مرسية من قبله في سنة 511 على ما يذكر ابن عذاري في القسم المرابطي من البيان ، فلما توفي يدر بن ورقاء في سنة 524 ضم علي بن يوسف عمل بلنسية مع عمل مرسية إلى يحيى بن غانية كما يذكر ابن القطان هنا ، وأصبح نظره بذلك يشمل شرق الأندلس كله ، وقد ظهر غناؤه وطار صيته ولا سيما بعد هزيمته لابن رذمير (ألفونسو المحارب) في إفراغه سنة 528 ، كذلك كان له بلاء عظيم في مدافعة النصارى عن مدينة الإشبونة (لشبونة) في غرب الأندلس ، ثم ولاه تاشفين بن علي على قرطبة في سنة 538 ، فاستقامت أحوال الأندلس بحسن سيرته إلى صفر من عام 539 حينما نشبت ثورة ابن قسي بغرب الأندلس على المرابطين ، ثم ثورة ابن حمدين بقرطبة ، =

وضاقت بهم الأمور كتبوا إلى يحيى بن غانية يشكون إليه [1] ويرغبون إليه في إدخال القوت عندهم ، فما بقي لهم من القوت إلا اليسير « وإن أنت لم تفعل خضعنا لابن رذمير وأعطيناه المقادة » .

فلما قرأ كتابهم نظر لهم في الميرة ، واستجاش وأرضخ [2] العطاء لأهل عسكره ، وأخبرهم أنه باق على لقاء عدوه ابن رذمير ، وأعتق بعض إمائه [3] وعبيده ، وكتب وصيته . فقال له بعض خاصته : تغزو بهذا العسكر وليس للمسلمين عسكر بالأندلس سواه ؟ فكيف تلقى علي بن يوسف بعد [4] اليوم وقد انهزمت ؟ . [قال [5] :] فليصنع بي ما شاء ، إلا إن فتح الله تعالى للمسلمين في هذا الغزو ! .

= وكان يحيى قد توجه إلى لبلة Niebla لإخماد ثورة ابن قسي حينما بلغته ثورة ابن حمدين ، فكر راجعا إلى إشبيلية فثار به أهلها وناصبوه الحرب فلجأ إلى حصن برجانة ، ثم تحرك إلى حرب ابن حمدين فهزمه واستولى على قرطبة في شعبان سنة 540 ، ولكن ابن حمدين استغاث بملك قشتالة وأطمعه في دخول قرطبة وأبلى ابن غانية في دفاع النصارى أحسن البلاء ، ودخل الملك القشتالي قرطبة بالفعل حينما بلغته أنباء استفحال سلطان الموحدين ، فرأى من حسن الرأي أن يهادن ابن غانية ، حتى يكون سدا بينه وبين الموحدين ، واستقر يحيى بقرطبة ، وتنقل بعدها بين شتى قواعد الأندلس حتى لجأ أخيراً إلى غرناطة آخر معاقل المرابطين بالأندلس فأقام بها شهرين ثم توفي في الرابع عشر من شعبان سنة 543 (ديسمبر 1148) ، وكان ليحيى أخ هو محمد الذي ولي في سنة 520 على جزيرة ميورقة ، واستقر بها نسله مكونين بها إمارة مستقلة خلال نحو قرن (انظر الترجمة الضافية التي أفردها ابن الخطيب ليحيى بن غانية في الإحاطة 344/4 - 347 ؛ والبحث الذي أفرده المستشرق الأستاذ ألفريد بيل Alfred Bel عن بني غانية « Les Benou Ghanya » ط . باريس سنة 1903 – ص 1 - 14 والمراجع المذكورة في ثنايا البحث .

1) في الأصل : يشكوا إليها .
2) مشتق من الرضخ وهو العطية ، ويقال راضخ الرجل أي أعطاه من ماله وهو كاره .
3) في الأصل : وإيمائه .
4) في الأصل : على بعد .
5) إضافة يقتضيها السياق .

وقصدا قصده وكان اللعين ابن رذمير مل الثواء والإقامة على مدينة إفراغة . ولطلب أن يعود إلى يمينه التي خرجت منه ، وكان قد جاءه بعض الرهبان من داخل المدينة ، وقال له : أنا أدعو عليهم ، فينهدم حصنهم ، وتدخل عليهم عنوة ! وصح قوله ذلك عند ابن رذمير ، وجاء هذا الراهب إلى قرب سور إفراغة ، فصعد ربوة من الربى ، ونظر السور ، وكان خبر الراهب قد سمع به أهل إفراغة ، فلما رأوه قائما على الربوة لم يشكوا « في خبره أنه هو ، وكان عندهم منجنيق قوى ، فسووه إلى الربوة وغرض الراهب ووضعوا في كفته حجراً كبيراً ، ورموا به إلى غرض الراهب وهو في دعائه على المسلمين يجد جده ، فأصابه حجر المنجنيق على هذه الحالة ، فذهب بنصفه وبقي نصفه في موضعه !

وقد كان اللعين ابن رذمير تهيأ للدخول ، وعسكره واقف بإزائه بإزاء الراهب ، فلما رأى ذلك هاله وانصرف إلى موضع محلته مهين النفس خائب الأمل ، ثم ما زال أمره مختلا . وأهل إفراغة يدبرون الحيل عليه ، وهو يدبرها أيضا عليهم ، إلى أن وافت عساكر المسلمين ، فلما نظر أهل إفراغة إلى مجيئها ، وخرج ابن رذمير من معسكره إليهم ، فتحوا باب مدينتهم وخرجوا إلى محلته ، فنهبوا جميع ما كان [1] فيها من الطعام والأدم ، وأدخلوه مدينتهم ، ولقي اللعين ابن رذمير المسلمين موقنا بالظفر والغلبة على عادته ، فانعكس عليه الأمر ، وكانت الدائرة عليه ، فأهلكه الله تعالى وجنوده ، وقتلهم المسلمون أبرح قتل .

ومن أغرب ما جرى من أخبار هذه السنة أن طائفة من النصارى لجأوا إلى كهف ظنوا أنه ينجيهم ، فسقط عليهم ، فلم ينج منهم أحد آيةً من الله عز وجل ؛ وفر اللعين ابن رذمير في شرذمة قليلة جدا ، ولحق بمدينة سرقسطة واله العقل مخبول الذهن ، واستخذى للمسلمين الذين فيها ، وألان لهم القول ،

---

1) في الأصل : كانوا .

ثم خرج منها إلى وشقة فأقام بها مختبلا أشهراً قليلة ، وحان أجله إلى نار الله الحامية [1] .

وولى قضاء فاس في هذا العام عبد الحق بن عبد الله بن معيشة [2] فأراق الخمر ، وكسر الدنان ، وتشدد على أهلها ، وكتب إلى علي بن يوسف إن الجامع ضاق عن المصلين ، فأذن له في الزيادة فيه ، فكان البناء فيه في بقية هذه السنة [3] .

---

1) ذكر ابن الأثير (الكامل 351/8) أن ابن رذمير لم يعش بعد هزيمته في إفراغة إلا عشرين يوما . والواقع أن المراجع المسيحية لا تتفق على تاريخ وفاة الملك المسيحي ، فحوليات ألفونسو السابع تجعل وفاته في 25 يناير سنة 1134 ، وهو أمر مستحيل إذ معناه أنه توفي قبل معركة إفراغة بسبعة أشهر ، ويرى الأستاذ كوديرا أن أرجح الأقوال هو ما ذكره خيمينث دى إمبون Jiménez de Embun الذي يقول إن وفاة ألفونسو المحارب كانت في 7 سبتمبر من هذه السنة أي بعد معركة إفراغة بنحو شهرين ، وهو ما يمكن أن يتفق مع ما يذكره ابن القطان هنا (انظر اضمحلال دولة المرابطين ص 271 - 272) .

2) أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة ولي قضاء فاس بعد وفاة أبي عبد الله محمد بن داود . وقد احتفظ لنا بجملة من أخباره ابن أبي زرع في روض القرطاس (61 - 62 ، 71) ، وانظر كذلك ابن عذارى : البيان المغرب (312/1) .

3) يذكر ابن أبي زرع في حديثه الطويل عن جامع القرويين بفاس أن الذي يرجع إليه فضل الزيادة في المسجد هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن داود الذي كان قاضي المدينة في أيام علي بن يوسف قبل ابن معيشة ، وكانت فاس قد كثرت فيها العمارة حتى ضاق الجامع بكثرة الناس في أيام الجمعة حتى كانوا يصلون في الأسواق والشوارع والطرق ، فاستأذن ابن داود علي بن يوسف في الزيادة فيه فأذن له ، وبدأت أعمال الزيادة التي يبسط ابن أبي زرع وصفها ، وأتم تركيب الباب والقبلة في شهر ذي الحجة سنة 528 ، ثم توفي القاضي ابن داود فولى القضاء بعده ابن معيشة المذكور ، فواصل أعمال الزيادة كما جعل الأبواب مغشاة بالصفر وعمل أمام الباب قبة وزاد في سعته ، وبدل الصومعة ، وشرع في بناء المحراب والقبة التي عليه منقوشين بالذهب واللازورد وأصناف الأصبغة ، فتم له كل ذلك ، وجاء على غاية الكمال ، ثم ولي قضاء فاس أبو مروان عبد الملك بن بيضا القيسي ، فواصل أعمال الزيادة والنقوش حتى شعبان سنة 538 ، على أن كثيراً من هذه النقوش والزخارف قد غطي وزال إذ أنه لما أوشك الموحدون على دخول المدينة خشي فقهاؤها أن ينقموا عليهم ذلك فعملوا على تغطيتها (انظر ابن أبي زرع : الروض 59/1 - 65) .

باب

ذكر أخبار سنة ثلاثين وخمسمائة

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة كانت وقعة مصكروطن [1] ، وخروج سير بن [علي بن] [2] يوسف الزرجاني .

قال اليسع :

إن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه هبط قبل عام أحد وثلاثين إلى أجرفرجان ومصكروطن ، وخرج المجسم سير بن علي بن يوسف [وهو ولي] [3] عهد أبيه بالجيوش ، وسيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه (متعلق) [4] بالجبال ، يطاول في حروبه ، فإذا رأى ضالته وثب عليها وثوب الليث على الفريسة ، فالتقوا على مصكروطن ، فهزمهم سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ، وكانت وقعة أخذ فيها من أموال المجسمين شيء عظيم .

وغزوة تادلا .

قال ابن صاحب الصلاة :

إنها أول غزوات سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه بعد الإعلان في

---

1) يسمي البيذق هذا الموضع « مسكروطان » (أخبار المهدي ص 129) .
2) في الأصل : سير بن يوسف ، والصواب ما أثبتنا حسبما سيأتي في هذا النص بعد قليل .
3) كلمتان مطموستان في الأصل ، ولعلهما ما قرأنا .
4) بياض في الأصل بقدر كلمة ، ولعلها ما كتبنا أو شيء في معناها ، وإنما أثبتناها لأن هذا التعبير سيتكرر بعد ذلك في النص على نحو ما ذكرنا .

عام ثلاثين [1] ، فميز الجيش بتينملل ، وقسم البركة ، وتشاور مع الموحدين ، أعزهم الله تعالى في أي وجهة يقصد ، فأشاروا بتادلا ، فأضمر ذلك في نفسه سرا ، ثم نهض موريا بوجهته حتى صبَّح تادلا وجهاتها ، فقتل وسبى ، وامتلأت أيدي الموحدين أعزهم الله تعالى .... [2] ، ففر عنه [3] أصحابه وتركوه ، فكر منصرفا ، فكبا به فرسه وسقط عنه ، فأدركه الموحدون أعزهم الله تعالى وقتلوه .

أخبار غيرهم :

منها موالاة تأثير الجراد في زرع الأندلس التأثير الفاحش ، وموالاة البناء في الزيادة في جامع فاس على يد القاضي ابن معيشة ، وتوزع المال الذي ينفق في ذلك على أهلها وسد ثلمات [4] سورها ، وزاد فيه أبراجا ، وبني سورا يحيط بالمقابر ، « وتوزيع عشرين ألف دينار على أهل فاس معونة للجيش ، بكتاب علي ابن يوسف الزرجاني . [79 أ]

والعباسي فى هذه السنة هو الراشد .

---

1) يجعل ابن أبي زرع خروج عبد المؤمن لهذه الغزوة في الرابع والعشرين لربيع الأول سنة 526 (روض القرطاس ص 187) ، ويذكر السلاوي نقلا عن ابن مطروح القيسي أن عبد المؤمن سار في شوال سنة 526 أولا إلى مراكش ، فحاصرها ثم ارتحل عنها إلى تادلا ، إلى سلا . فتلقاه أهلها مطيعين ، فدخلها في الرابع والعشرين من ذي الحجة في السنة المذكورة (الاستقصا 106/2) . كذلك جعلها ابن خلدون في سنة 526 ، وذكر أنها كانت قبل غزوة تاسغيموت (العبر 22/6) ، ويوافق صاحب الحلل الموشية هؤلاء المؤرخين على أن غزوة تادلا كانت أولى غزوات عبد المؤمن بعد اعلان البيعة له (ص 143) . وانظر أويثي : تاريخ 114/1 .

2) يستشف من السياق أن هناك كلمات سقطت من النص في هذا الموضع .

3) لسنا نعرف على من يعود الضمير هنا ، ويبدو أن اسم القائد المرابطي الذي يعود عليه الضمير قد سقط في الخرم الذي أشرنا إليه في الحاشية السابقة ، على أننا نقطع بأن القائد المعنى ليس هو سير بن علي ابن يوسف المذكور قبل ذلك . فهو لم يمت في هذه الوقعة .

4) كلمة غير واضحة في الأصل .

باب

ذكر أخبار سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

لا أدري ما كان فيها من غزوات الموحدين أعزهم الله تعالى غير أن سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه متعلق بالجبال ، وأمره في غاية الاستفحال [1] .

وذكر ابن صاحب الصلاة له رضي الله تعالى عنه غزوة إلى بني ييغز [2] لم يؤرخها ، وقال إنها ثالثة غزواته رضي الله تعالى عنه ، فهي في هذه السنة أو ما يقاربها . قال : إن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه لما أراد النهوض من حضرة تينملل لغزو بني ييغز [3] تقدم إليهم من إخوانهم المجاورين لهم من أنذرهم ونصحهم ، فانقادوا وأذعنوا ووحدوا ، فقدم أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه عليهم ، وانصرف إلى تينملل قافلا ظافرا ظاهرا .

وكان في هذه السنة بالأندلس غزوة تاشفين بن علي بن يوسف لخيل من النصارى ، فهزمهم على مقربة من قصر عطية ، واحتوى على أسلابهم وأنهابهم ؛

وغزوته أيضا التي نازل فيها أشكلونة ، فدخلها المسلمون بالسيف عنوة ، وقتلوا كل من فيها ، وأسروا نساءهم واحتووا على أسلابهم وأنهابهم ظافرين [4] ،

---

1) في الأصل : الاستعجال .

2) في الأصل : بيغز .

3) في الأصل : يغز .

4) أشار ابن أبي زرع أيضا إلى هاتين الغزوتين من غزوات تاشفين ، وفيما يلي نص ما بهوا. (روض القرطاس 164) : « وفي سنة 530 هزم الأمير تاشفين جموع الروم بفحص عطية وأفنى منهم خلقا كثيراً ... وفي سنة 532 جاز الأمير تاشفين من الأندلس إلى العدوة بعد أن غزا مدينة أشكونية (116 ، وفي الطبعات الفسية للروض : أشقولية) وحمل من سبيها إلى العدوة ستة آلاف سبية وفتحها عنوة ، فوصل إلى مراكش ، فتلقاه والده على أمير المسلمين في زي عظيم وفرح به » . كذلك تحدث عن غزوة تاشفين لجبل القصر ابن عذارى في القسم المرابطي من البيان المغرب ص 94 ؛ وقد نقل السلاوي ما ذكره ابن أبي زرع (الاستقصا 67/2) . على أن خبر ابن القطان أكثر دقة في تحديد المواضع –

وساقوا جملة من نسائهم وغنائمهم ، وسيقت نواقيص [1] كثيرة فيها ناقوص [1] عظيم ، وكان يوم دخول ذلك كله بروز عظيم بقرطبة وسرور كثير .

وفيها كان بناء تاشفين الناعورة [2] على النهر الأعظم بقرطبة .

وخروج الجراد وإضرارها بالزرع كثيراً .

وكان في هذه السنة تمام الزيادة في جامع فاس ، وعزل ابن معيشة عن قضائها [3] .

والعباسي في هذه السنة هو الراشد .

* * *

= والتواريخ ، وهاتان الغزوتان كانتا في غرب الأندلس (البرتغال الحالية) . وانظر ما كتبه عنهما كوديرا في بحثه عن أسرة بني تاشفين ص 141 - 142 ؛ وتحقيق أويثي لهما في بحثه « روض القرطاس والمرابطون » مجلة إسبريس – الرباط سنة 1960 – ص 540 .

1) كذا في الأصل .

2) في الأصل : الناعوت .

3) ذكر ابن أبي زرع أن ابن معيشة عزل والمنبر والبناء وباب الجنائز والصحن من جامع القرويين بفاس لم يكمل بناؤها بعد ، وأن متولي القضاء بعده ، وهو أبو مروان عبد الملك بن بيضا القيسي هو الذي أتم كل ذلك ، وكان الفراغ منه في شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة (روض القرطاس ص 62) .

باب

ذكر أنباء سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة
أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة ، كانت هزيمة زناتة بجبل غياثة [1] ، وذلك أنه تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الإمام أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه من حضرته تينملل زادها الله تشريفا إلى جبل غياثة ، ونزل به ، فخرج المجسم سير بن علي بن يوسف ولي عهد أبيه في عساكره يريد غياثة ، فنزل بجراندة [2] بمقربة من المقرمدة عند وادي أبي حلوا ، ونزلت محلاته بها ، فوافاه بها عسكر الغرب عليهم عبد الله بن يحيى ابن أبي بكر بن تيفلويت المجسم [3] ، فنزل قريبا منه على أميال . وحشدوا زناتة ، فاجتمعت لهم جموع من قبائلهم يقدمهم يحيى بن فانو [4] ، وهو أخو عبد الله ابن يحيى لأبيه ، فكان عسكر يحيى هذا نيفا على خمسة آلاف فارس .

---

1) ينفرد ابن القطان بالحديث عن هذه الغزوة دون سائر مؤرخي الدولة الموحدية .

2) يسميها ابن عذارى : كراندة ، ويعرفها بأنها الجبال المجاورة لفاس (البيان المغرب القسم الموحدي - ص 16) .

3) أبو بكر بن ابرهيم المسوفي الصحراوي المعروف بابن تيفلويت جد عبد الله هذا كان من أمراء المرابطين المعروفين ، وهو صهر علي بن يوسف كان زوجاً لأخته وأباً لولده منها يحيى ، وهو الذي كان واليا على غرناطة سنة 500 ثم على سرقسطة حتى وفاته في سنة 510 (انظر في ترجمته ابن الأبار : معجم شيوخ أبي علي الصدفي ص 67 ؛ ابن الخطيب : الإحاطة ط . عنان 404/1 - 409 ؛ ديوان ابن حمديس تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي الإسكندرية سنة 1960 - ص 443) ، أما أخت علي بن يوسف المذكورة فهي فانو أو فنو التي كانت أماً ليحيى - أبي عبد الله المذكور هنا ولعلي بن أبي بكر الذي عرف أيضا باسم « ابن فنو » ، وكان واليا على غرناطة في سنة 539 أثناء ثورة ابن أضحى على المرابطين (انظر ابن الأبار : الحلة السيراء 212/2 وما بعدها) . ويكاد ابن القطان يكون المؤرخ الوحيد الذي احتفظ لنا بأخبار عن عبد الله بن يحيى (بن فانو أو فنو) المذكور هنا (انظر كذلك بحث كوديرا عن أسرة بني تاشفين ص 114 - 116 ، ونلاحظ أن هذا الباحث خلط بين يحيى بن أبي بكر بن تيفلويت ويحيى ابن غانية) .

4) إذا صح هذا النص وكان هذا القائد المرابطي المشهور أخاً لعبد الله بن يحيى بن أبي بكر =

وعند احتفال جموعهم هذه وحّد زيري بن ماخوخ [1] من أشياخ زناتة ، ولحق بسيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه ، وطلب عسكرا تظهر به خدمته في عساكر الغرب فأعطى حصة قَدَّمَ عليها أحد أشياخ الموحدين أعزهم الله تعالى ، فضرب على محلاتهم وهم غارون ، فانهزموا وقتل من أدرك ، وسبى محلاتهم ، وجلا الفتح والسلب إلى أعلى جبل غياثة للمحلة المباركة المؤيدة المنصورة .

-- المذكور قبل ذلك فمعنى هذا أن صحة اسمه « يحيى بن يحيى بن أبي بكر » ، ففانو اذن التي ينسب إليها ليست أمه في الواقع وانما هي أم أبيه يحيى وقد تكون نسبته إليها بسبب شهرتها لكونها أخت علي بن يوسف ابن تاشفين سلطان المرابطين . ولا نعرف من أخبار يحيى هذا إلا ما ذكره البيذق من أنه كان عاملا على أجر سيف حينما دخلها محمد بن تومرت بعد عودته من رحلته إلى المشرق ، إذ يقول إن المهدي حينما حل بأجر سيف وأقبل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استصرخ به عامتها وكانت لها ، فعاقبه الوزير يحيى فغرم الناس بها ألف مثقال فطلب عامة البلد من ابن تومرت الشفاعة لهم لدى العامل فسار ابن تومرت إلى يحيى (بن يحيى) بن فانو وأعلمه بالأمر فأنكر يحيى ذلك وأمر أن يغرم الوزير ما أخذ من الناس من المظالم وهم بقتله فقال له المهدي : ما عليه قتل إنما عليه الأدب ورد المظلمة (أخبار المهدي ص 62) . ونرى مما يذكره ابن القطان هنا أنه كان يتولى قيادة عسكر تلمسان في سنة 532 وأنه توفي أثناء قتاله للموحدين لمرض أصابه كما سيأتي .

1) لعل زيرى بن ماخوخ هذا هو الذي يذكره ابن خلدون باسم « أبي بكر ابن ماخوخ » وكان من قواد المرابطين على زناتة ومن أمراء قومه بني ومانو ، وقد خرج بعد ذلك على المرابطين وأصبح من كبار قواد عبد المؤمن بن علي ، ويقول ابن خلدون إنه وصل إلى عبد المؤمن وهو بمكانه من الريف هو ويوسف بن يدار أحد أمراء بني ومانو أيضا فبعث عبد المؤمن معهما ابن يغمور ويوسف بن وانودين في عسكر من الموحدين فأثخنوا في بلاد بني عبد الواد وبني باجدى سبيا وأسرا ، وأمدهم عساكر لمتونة ومعهم الربرتير قائد الروم فاجتمعت عليهم زناتة وبنو عبد الواد فأوقعوا في بني ومانو واستنقذوا غنائمهم وقتل أبو بكر (زيري) بن ماخوخ في ستمائة من قومه ، وذلك في سنة 537 ؛ وكان لابي بكر هذا أخ اسمه تاشفين بن ماخوخ خرج بعد هزيمة أخيه ومقتله صريخا إلى عبد المؤمن على لمتونة وزناتة ، فارتحل معه إلى تلمسان ، فأمره على قومه وسيره لقتال عسكر بجاية الذين استنجد بهم المرابطون فهزم تاشفين ذلك العسكر هزيمة شديدة (انظر البيذق : أخبار المهدي ص 108 ؛ ابن خلدون : العبر 230/6 - 231 ؛ السلاوي : الاستقصا 102/2 - 103) .

ومات يحيى بن فانو قائد عساكر تلمسان من زناتة وغيرهم لمرض أصابه ، فوجه الزرجاني سير بن علي ولده محمد بن يحيى بن فانو [1] عوضا منه ليتدارك أمور زناتة قبل افتراقهم ، فكان كذلك ، اجتمعت عليه عساكر أبيه ، فوصل بهم ونزل على مقربة من وجدة ، وكانت طلائعهم على تجشر قلال .

واتصل بسير بن علي أن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله عنه يريد بلاد زناتة ، فنصب له ألفي فارس على طريقه : يقيم الألفان جمعة ، ثم يُبدّلون بألفين أخريين ، هكذا يتناوبون طول مدة المقام بجبل غياثة ، وكان المقام به شهرين اثنين .

وإن زيري بن ماخوخ راسل إخوانه من زناتة ، واتفق معهم على أن يعملوا الهزيمة يوم » اللقاء ، فوجه سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه حصة مختارة [80 أ] مع زيري بن ماخوخ من جبل غياثة حتى وصلوا إلى محلة محمد بن يحيى مع زناتة ، فضربوا فيهم فركبوا وهيأوا صفوفهم ، وعبأوا عسكرهم ، فاقتتلوا معهم وكان يوما شديدا ، وكان النصر فيه للموحدين أعزهم الله تعالى ، فانهزمت قبائل زناتة وعسكر محمد بن يحيى .

---

1) أشار البيذق وابن عذارى وابن خلدون والسلاوي وابن الأثير إلى المعارك التي دارت بين محمد ابن يحيى بن فانو هذا وعبد المؤمن بن علي ، ويبدو أن هذه المعارك اتصلت ما بين سنة 532 التي يعرض ابن القطان أخبارها هنا وسنة 537 التي تنص المراجع الأخرى على أن مقتل ابن فانو حدث في خلالها ، ويفصل ابن عذارى هذا الخبر فيقول إن الموحدين كانوا قد انقسموا في سنة 537 بعد وفاة علي بن يوسف ابن تاشفين على ثلاث فرق : فرقة منهم بجبل غياثة ، وفرقة بجبل الريف بملوية ومليلة وغمارة ، وفرقة مع يوسف بن وانودين وابن زجو وابن يومور . وتوجهوا إلى جبل مديونة وجهة تلمسان ، فخرج إليهم الوالي على تلمسان حينئذ محمد بن يحيى بن فانو بعسكر من زناتة وغيرهم فالتقى معهم وقتل محمد بن يحيى المذكور في واد كان هنالك ، وانهزم عسكره ، وينص ابن خلدون والبيذق على أن الذي أوقع بمحمد ابن يحيى وقتله هو القائد الموحدي يوسف بن وانودين ، ويذكر هذا المؤرخ الأخير أن هذه الغزوة كانت في خندق الجمر الذي يسمى بوادي الزيتون وأن ابن وانودين قتل فيها قائدا مرابطيا آخر مع ابن فانو يسميه أبا بكر الجوهر (انظر أخبار المهدي ص 94 : العبر 230/6 ؛ البيان المغرب ص 18 ؛ الاستقصا 102/2 - 103 ؛ الكامل 299/8 ؛ وانظر كذلك بحث كودير عن أسرة بني تاشفين ص 115 ؛ أوبثي ؛ تاريخ 115/1 - 116 ، 127) .

أخبار غيرهم :

في هذه السنة كان انصراف أبي جعفر ابن حمدين عن قضاء قرطبة ، وولاية أبي القاسم ابن رشد [1] لقضائها .

ووصول المجسم تاشفين بن علي بن يوسف من غرناطة إلى قرطبة ، وخروجه منها إلى العدوة مستدعى من أبيه [2] .

وخروج العدو [3] دمره الله تعالى إلى بلد المسلمين في جيش عرمرم ، فأجازت جملة منهم الوادي الكبير في أعلاه بمقربة من بياسة وأبدة ، ووصلت بالغارة إلى البراجلة ، وأوقعت بالمسلمين نكاية صغرت في جانب ما وقى الله تعالى بتوالي نزول المطر وإكبابه مدة من عشرين يوما ، فمد النهر ، ولم تقدر الخيل المغيرة على عبوره إلى محلتهم ، وصنعوا معادي للجواز ، فانقطع بعضها وغرق من كان فيها ، وتبعهم قائد جيان ، فأصاب منهم فوارس ، وانصرف العدو – دمره الله تعالى – بعد أن قاتل حصن شبيوطة من عمل أبدة فأعجزه ، وارتاد تاشفين لما خرج من قرطبة نحو العدوة مدافعتهم ، فتلوم لأجل المطر وغيره أربعين يوما ، فكفى الله تعالى أمر النصارى ، وأجاز البحر في صدر جمادى الأولى ، ودخل مراكش في أول رجب من هذه السنة .

---

1) هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ، ولد سنة 487 ، ووالده هو قاضي الجماعة الفقيه المعروف الذي توفي سنة 520 ، أما أبو القاسم المذكور فقد لازم أباه كثيرا وأخذ عنه ، ولي قضاء الجماعة سنة 532 بعد صرف أبي جعفر ابن حمدين الذي ولي في سنة 529 كما ذكر ابن القطان من قبل ، ولكن ابن رشد استعفي من هذا المنصب بعد فترة قصيرة ، ويقول ابن بشكوال إنه كان محببا إلى الناس طالبا للسلامة منهم بارا بهم ، وكانت وفاته في 13 رمضان سنة 563 (انظر في ترجمته ابن بشكوال : الصلة ، ترجمة 172 ؛ وابن الأبار : المعجم ، ترجمة 33) .

2) ذكر ابن الخطيب في ترجمته لتاشفين بن علي أن خروجه من الأندلس إلى المغرب كان في سنة 531 أو في 532 دون أن يقطع برأي في ذلك ، على أن ابن القطان كان أكثر دقة إذ سنرى في بقية هذا النص أن خروجه كان في جمادى الأولى سنة 532 ، ووصل إلى مراكش في أول رجب من هذه السنة (انظر الإحاطة لابن الخطيب – ط ، عنان ـــ 361/1) .

3) ينفرد ابن القطان بذكر تفاصيل هذه الوقائع ، وانظر كذلك بحث الأستاذ أويثي : روض القرطاس والمرابطون ص 540 - 541) ، وبياسة Baeza وأبدة Ubeda بلدتان من أعمال جيان Jaén وكذلك قرية شبيوطة Sabiote .

وفي هذه السنة كانت ولاية ابن المناصف [1] لقضاء غرناطة .

وفيها كان غرق المراكب المصرية التي وصلت من الإسكندرية ، منها المركب الفيطاني والمركب العجزي [2] ، وكانت عظيمة الجرم جدا ، وكانت فيها أموال عظيمة وخلق كثير [3] .

وفيها كان موت الراشد العباسي [4] ، وولاية عمه المقتفي لامر الله تعاى أبي عبد الله محمد .

وفيها كان موت عبد المجيد صاحب مصر [5] ، وكان قد عهد في حياته

---

1) هو القاضي أبو عبد الله محمد بن أصبغ الازدي القرطبي المعروف بابن المناصف ، وقد تكررت الإشارة إليه فيما سبق .

2) كذا ، ومن الواضح أنهما نوعان من المراكب الضخمة .

3) يبدو هذا الخبر كما يرويه ابن القطان هنا غامضا مضطربا ، ولعله يشير إلى ما ذكره ابن عذارى في البيان المغرب (312/1 - 313) - ولو أنه يجعل ذلك في سنة 536 - من أن الحسن بن علي بن يحيى بن تميم صاحب المهدية استولى في تلك السنة على مركب كان لصاحب بجاية يحيى بن العزيز بن المنصور بن علناس ، وكان قد أقلع من الإسكندرية ببضائع عظيمة وهدية إلى صاحب بجاية ، فتعرض له الحسن بن علي المذكور واستولى عليه - وكانت العلاقات سيئة بين المهدية وبجاية - ويضيف ابن عذارى أنه كان مركبا كبيراً ، فأمر الحسن بن علي بتفريغه ، وبقي في ميناء بجاية فارغا حتى جاءت صدمة أكتوبر - هكذا يقول ابن عذارى ، ولعله يعني عاصفة شديدة هبت في هذا الشهر - فتكسر . إلا أنه استغل أخشابه فصنع منها مركبا جديدا ظل في مرسى المهدية حتى هجم عليه جرجي الصقلي بخمسة وعشرين غرابا (مركبا حربيا) فاستولى عليه في جملة ما غنمه من مراكب المهدية . وربما كان ابن القطان يشير إلى هذه الواقعة .

4) ولي الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد سنة 529 كما أسلف ابن القطان ، وتوفي سنة 532 ، وكان مولده سنة 502 ، وخرج بعد خلافته بقليل إلى الموصل لقتال السلطان مسعود بن محمد شاه السلجوقي ، فخذله أصحابه ، وقبض عليه السلطان مسعود وخلعه من الخلافة ثم حبسه إلى أن قتله في شهر رمضان سنة 532 بظاهر إصبهان (انظر النجوم الزاهرة 263/5) ، وولي بعده أبو عبد الله محمد الملقب بالمقتفي بالله بن أحمد المستظهر بن المقتدي .

5) أخطأ ابن القطان هنا مرة ثانية إذ أورد وفاة الخليفة الفاطمي الحافظ عبد المجيد في هذه السنة ، وإنما كانت وفاة الحافظ وولاية ابنه الظافر أبي منصور إسماعيل على مصر في جمادى الآخرة سنة 544 -

لابنه الأصغر وسماه الظافر ، فلما مات عبد المجيد اختلفت العسكرية ، فقامت
80 ب | طائفة منهم مع ولده الأكبر ، * وقامت طائفة أخرى مع الأصغر ، وظهر الأ در
على الأصغر [1] ، وكان بالإسكندرية وال يعرف بابن السلار [2] ، فطلع بالعساكر والجنود لنصرة الظافر ، وزعم أن أباه جعله له حاجبا ، فكسر العساكر التي قامت مع الأكبر ، وقبض على الأكبر القائم .

وكانت قد قدمت على الإسكندرية جارية كانت لعلي بن يحيى صاحب المهدية [3] - أفضت الإمارة إليه بعد وفاة أبيه - ولها جمال رائع ، فقيل لها : من أنت ؟

(انظر ابن تغرى بردي : النجوم 288/5 ، ابن الأثير : الكامل 24/9) ، هذا ويبدو أن ابن عذارى تابع ابن القطان على ذلك الخطأ ، إذ أرجح الظن أنه كان مرجعه فيما أورده من أخبار الفاطميين (انظر البيان المغرب 312/1) .

1) كان الظافر أبو منصور اسماعيل بن الحافظ عبد المجيد فعلا أصغر إخوته سنا ، ولد بالقاهرة سنة 527 (انظر ابن خلكان : الوفيات 237/1 - 238 ؛ ابن تغرى بردي : النجوم 288/5) ؛ على أننا لا نعرف في مختلف المراجع ما يشير إليه ابن القطان هنا من القتال بين الظافر وبين أخيه الأكبر .

2) هو أبو الحسن وأبو منصور علي بن إسحاق المعروف بابن السلار والمتلقب بسيف الدين الملك العادل ، كان كرديا من تربية القصر بالقاهرة وتقلب في ولايات الصعيد وغيره حتى ولي وزارة الظافر في رجب سنة 544 ، وكان الظافر قد استوزر أولا نجم الدين أبا الفتح بن مصال في أول ولايته ، ثم قدم ابن السلار القاهرة ، وتولى تدبير الأمور ، وحشد ابن مصال جماعة من المغربة فانتصر عليه ابن السلار بدلاص في الوجه القبلي وذلك في أواخر سنة 544 ، وقد ظل ابن السلار على الوزارة حتى قتله على فراشه نصر بن العباس ، وكان أبوه العباس ربيباً لابن السلار ، وذلك في سنة 548 في شهر محرم ، وسيورد ابن القطان خبر مصرعه (عن ابن السلار انظر ترجمته في وفيات الأعيان 416/3 - 419 ؛ الكامل 24/9 - 25 والدكتور حسن ابرهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ص 181 - 185) .

3) اسم هذه الجارية على ما تذكر المصادر المشرقية بلار بنت القاسم بن تميم بن المعز وزوجة أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي : وكانت قد وصلت إلى مصر في سنة 503 مع ولدها أبي الفضل عباس ، وكان طفلا إذ ذاك ، فتزوج منها ابن السلار واتخذ ابنها أبا الفضل عباساً ربيباً له درج في كنفه ، حتى كان منه ومن ابنه نصر ما سيشير إليه ابن القطان بعد (انظر المراجع المذكورة في الحاشية السابقة) .

فالت : من قصر صاحب المهدية ، فبلغ خبرها ابن السلار [1] ....

....

واليا عليها قدمه عبد المجيد المذكور ، وجعل له النظر لولي عهده الظافر ، فارتفع قدره ، ونشأ العباس ربيبه في رفاهية ، وتزوج وولد له ولد [2] .

فلما مات عبد المجيد المذكور ووطد ابن السلار دولة ولي عهده الظافر استوطن ابن السلار وربيبه العباس [3] مع أمه وزوجته وولده مصر ، وقدم والى آخر على الإسكندرية ، ويسمى هذا ابن السلار بأمير الجيوش شاهنشاه [4] سيف الدولة [5] ، وكان والي مصر المسمي بالظافر من نحو ستة عشر عاما ، وكان يميل إلى مخالطة الصبيان ، فدخل إليه ولد العباس ، وتعرف به وخالطه .

فلما أراد الله تعالى إنفاذ وعده قال الظافر لولد العباس : اقتل ابن السلار ، ونولي الحجابة أباك ونستريح معه . فعمل مع بعض العبيد على قتله ، فقتله . فقام الناس والعباس يطلبون قاتله ولا يدرون من هو ، فقالت أم العباس للعباس [6] : والله ما قتله إلا ابنك ! فهم بقتل ابنه ، فقالت له : تقتل ابنك وقد قتل [7] محل

---

1) لم يترك الناسخ فراغا بعد هذه الكلمة ، غير أنه من الواضح أن عبارات سقطت من هذا الموضع ، وعلى أية حال فإننا نعرف من المراجع المصرية والشرقية أن ابن السلار تزوج من هذه الجارية واتخذ ابنها عباسا ربيبا له .

2) هو نصر بن العباس الصنهاجي الذي سيورد ابن القطان خبره دون أن يذكر اسمه .

3) في الأصل : العباسي .

4) في الأصل : شاد بن شاه .

5) الذي جاء في المراجع الشرقية أن لقبه كان « سيف الدين » ، وقد ذكر الدكتور حسن ابرهيم حسن أن ابن السلار كان سنيا غاليا على الرغم مما يشعر به ذلك اللقب « سيف الدين » من انضوائه تحت لواء المذهب الفاطمي (انظر تاريخ الدولة الفاطمية ص 183) .

6) في الأصل : العباس العباس .

7) في الأصل : قيل .

أبيك ، فتجمع عليك وزرين [1] ؟ فكف ، ورجع العباس حاجباً ، وذلك فى سنة أربع وأربعين [2] .

فلما بقي أشهراً قال الظافر للصبي : قتلت ابن السلار ، اقتل والدك العباس وتكون الحجابة لك ، ولا تجد من ينقض [3] علينا فما زال حتى أسلم له . وأخذ فى ذلك مع بعض العبيد ، فوشى العبد بذلك إلى العباس [4] فأشفق من ذلك ، ووجه عن ولده ، واستفهمه عن القصة ، وتوعده إن لم يصدقه ليقتلنه . فصدقه وعرفه أن الظافر أمر بقتله ، فقال : لا بأس عليك ! اعمل طعاما * وادع الظافر للأكل عندك [81 أ] والمبيت ، وليأتك مستترا ، فقال الصبي للظافر : بنيت دارا ، وأريد أن أعمل فيها طعاما ، فعسى أن تشرفني وتكون أنت أول من يأكل طعامي فيها . قال له : وكيف يكون ذلك ؟ قال : تأتي مستترا فى الليل في زي الأستاذين [5] ، وترجع مع السحر فى الغبش فأسعفه فى ذلك ، فلما كان بعد المغرب خرج مستترا إلى أن دخل دار العباس . فلما اطمأن به المجلس هجم عليه العباس ، وقتله ودفنه .

---

1) في الأصل : فتجتمع عليك ورءين .

2) يختلف ما يذكره ابن القطان هنا عما أورده المؤرخون المشارقة والمصريون فبينما يجعل ابن القطان الخليفة الظافر هو محرض نصر بن عباس على قتل ابن السلار كافل أبيه ، ويقول إن عباسا لم يكن لديه علم بمشروع ابنه إذا بالمؤرخين المصريين يقولون إن عباسا نفسه هو الذي حرض ابنه على قتل ابن السلار ، وكان ممن شجعه على ذلك أسامة بن منقذ ، وذلك أن ابن السلار أنفذ عباسا إلى الشام ليشترك في قتال الصليبيين وكان في صحبته أسامة بن منقذ وابنه نصر ، فلما وصل إلى بلبيس تذكر طيب البلاد المصرية وعسر ما هو مقدم عليه من بلاء الحرب ، فأظهر شكواه لأسامة بن منقذ ، فبين هذا له أنه يستطيع أن يتجنب كل ذلك بقتل ابن السلار واتفق معه على أن يقوم ابنه نصر بتنفيذ خطة الاغتيال ، وأن ذلك إذا تم فإنه أى عباساً يستطيع أن يتولى الوزارة مكانه ، فعاد نصر إلى القاهرة ، وتولى القيام بهذه الخطة الغادرة في 6 محرم سنة 548 (انظر الدكتور حسن ابرهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص 184 185 والمراجع المذكورة في هذا الموضع) .

3) فى الأصل : ينفص ، ويمكن أيضا أن تكون « يغص » .

4) في الأصل : العباسي .

5) يعني خدام القصر الخصيان .

فلما أصبح وأقبلت الأجناد على جرى العادة إلى العباس ركب معهم [إلى [1]] القصر ، وقال : نريد الدخول للظافر ، فقيل له : هو مشغول ، فقال : لابد من ذلك . وحمل الأجناد فدخل القصر ، فلما حصل فيه قال للصقالبة [2] أين الظافر ؟ قالوا : لا علم لنا . قال لهم : قتلتموه . فأرسل عن وجوه الناس والفقهاء والشيعة وقال لهم : ما جزاء من قتل ؟ قالوا : يقتل قال : فهؤلاء قتلوا الظافر وأخفوه . فضرب أعناقهم ، واستحوذ على القصر .

وكان في الصعيد [3] رجل تركي يعرف بكلكي [4] ، فسمع ما جرى . فعسكر وحشد ، وأقبل يريد مصر للعباس ، فسمع العباس خبره ، فأخذ جميع الأموال والذخائر وعياله وولده ، وخرج يريد الشام ليصير إلى حلب أو دمشق ، فيجند ويدعو لبني العباس ويخلع العبيدية من مصر ، فخرجت إليه العرب والروم من عسقلان ، فقاتلهم هو ومن معه ، فقتلوا عن آخرهم ، واستولى العرب والروم على تلك الأموال .

---

1) زيادة يقتضيها السياق .

2) ورد في تاريخ أسامة بن منقذ وفي وفيات الأعيان أن العباس انما اتهم بقتل الظافر أخويه يوسف وجبريل فقتلهما (تاريخ أسامة ص 16 - 18 على ما يذكر الدكتور حسن ابرهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص 186 ؛ ووفيات الأعيان 237/1 - 238 ؛ واتعاظ الحنفا للمقريزى 213/3 - 214) ؛ هذا وقد ذكر ابن القلانسي أن الظافر قتله أخواه يوسف وجبريل وابن عمهما صالح بن الحسن حقيقة ، ولكن ابن تغري بردي الذي يورد هذه الرواية يقول إن جمهور المؤرخين اتفقوا على أن قاتله نصر بن عباس (النجوم الزاهرة 291/5) .

3) في الأصل : السعيد .

4) كذا في الأصل ، ويبدو ذلك وهما من الناسخ ، فالمعروف أن والى الصعيد الذي استصرخ به نساء القصر اللاتي اتهمن العباس وابنه نصراً بقتل الظافر هو طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح الذي تكفل بالثأر من العباس وولى الوزارة حتى قتل أخيراً بدسيسة من صهره (زوج ابنته) الخليفة العاضد الذي كان آخر الخلفاء الفاطميين . وذلك في رمضان سنة 556 (انظر في ترجمته النجوم الزاهره 311/5 وما بعدها ؛ وفيات الأعيان 326/2 - 329 ابن الأثير : الكامل 44/9 ؛ الدكتور حسن إبراهيم : تاريخ ص 186 - 187) .

وجاء التركي فدخل مصر ، فوجدها مقفرة وقصورها خالية وأموالها فانية ، فقال : يا قوم ، بقي من أهل البيت - يعني العبيدية – أحد ؟ قالوا : ما بقي إلا ولد للظافر من نحو خمسة أعوام . فأخرجه وأجلسه وسماه بالفائز بالله [1] ، وقام بحجابته ، وتلقب هو بالصالح .

وأما ولد العباس فحمل إلى بيت المقدس ، فاحتضنته أم الملك ، وكانت هي القائمة بالملك ، فصرفت الملك إليه – أعني ولد العباس – وتنصر وأقام معها ، إلى أن شرب مع خاصة قوادها وقال لهم : أنتم رعاء الأمم ، تتبعون امرأة ذات فرج وتتركون من يملككم ديار مصر ؟ فنمى الخبر للملكة فأمرت بتثقيفه ، وخاطبت بني عبيد بأنها توجهه لهم ، فرفعوا لها فيه أربعين ديناراً مصريا ، وبعثته إليهم * في [81 ب]
قفص من حديد ، فأدخلوه القصر في القاهرة . وقرضوا لحمه بالمقاريض ، وحرقوه بالنار ، وذلك في سنة سبع وأربعين وخمسمائة [2] .

فهذه أخبار مصر إلى هذه السنة ، وتعذر تقطيعها على السنين فأوردناها هكذا جملة .

وكان بالمهدية حسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز من عام أربعة عشر وخمسمائة كما تقدم .

* * *

---

1) هو أبو القاسم عيسى بن الخليفة الظافر أبي منصور إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد ، ولد في المحرم سنة 544 ، وولي الخلافة بعد مقتل أبيه الظافر في المحرم سنة 549 ، وتوفي في رجب سنة 555 ، عن إحدى عشرة سنة .

2) يتفق هذا الخبر في جملته مع ما أورده ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (5/310 - 311) وإن كان ابن القطان قد انفرد ببعض التفاصيل الجديدة .

باب

ذكر أخبار سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

أخبار الموحدين أعزهم الله تعالى :

في هذه السنة تحرك سيدنا ومولانا الخليفة الإمام رضي الله تعالى عنه من مدينة تينملل شرفها الله تعالى . ونزل في بلد بني ملول من منانة الفحص من حاحة ، فزحف تاشفين بن علي بن يوسف من مراكش بالعساكر ومعه الربرتير [1] ، فنزل بجيشه في تاحكوط من حاحة ، وكانت منانة الجبل قد قتل علي بن يوسف أعيانهم ، فوحدوا ، ثم ارتدوا ، ثلاث مرات ؛ فأقام سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه في بني ملول شهراً وثلاثة أيام يضرب عليهم ويقتلهم قتلا ذريعا في وعرهم العظيم ، فلما اجتمعت الغنائم وما في تلك الحومات من الحلى والثياب والزبيب والعسل والزيت والطعام والحنا وغير ذلك تحرك سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه إلى قبيلة بني وجدزان ، ثم إلى بني سوار من منانة الجبل ، وهم الذين قتل منهم [أبو] بكر بن علي بن يوسف أشياخهم وأعيانهم لأجل توحيدهم في كاسطت من منانة .

ثم سار سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه من بني سوار إلى آجر فرجان ، فتبعه المجسم تاشفين ، وسد [2] له الطريق لئلا ينفذ إلى جبل مزورح حيث الطريق ، فرتب سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه العساكر ، ولحقت به الجيوش من مزورح وغيره بالدرق والرماح ، فكان القتال في آجر فرجان ، فانهزم تاشفين ، وقتل أصحابه كل مقتل ، فضرب أخبيته وقاتل ،

---

1) في الأصل : اللاتير .

2) في الأصل : وسد .

[82 أ] فأخرج عنها ، فانهزم ، ثم ضرب أخبيته ثلاث مرات حتى فر « بنفسه إلى ٠٤
الميزتانوت ، فضمت [1] السلاح وأحمال الثياب والنبال والمحلات والبغال والم
والحيوان وغير ذلك .

وكان عسكر جزولة قد وصلوا مدداً لمراكش فتثبطوا بها عن اللحاق بتاشفين ، حتى كانت الهزيمة عليه ، فوصلوا إلى موضع الهزيمة ، وطمعوا أن يستنقذوا [2] الغنيمة وأن يكون لهم أثر يرقع ذلك الخرق ؛ فجعلت لهم الكمائن والخنادق والأوعار ، وقدم سيدنا الخليفة رضي الله تعالى عنه الغنائم بين يديه ، وقال للكمائن : إذا سمعتم الطبول فادفعوا .

فضربت جزولة في ساقة الغنيمة ، وقتلوا ناسا ، وطمعوا في أن يحوزوا الغنيمة ، فلما توسطوا الوعر ضربت الطبول ، وخرجت الكمائن فقتلت جزولة عن آخرهم : وأخذت دوابهم وأسلحتهم ، وكانوا آلافا من الفرسان والرجالة ، وسار أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه على أمسكر ، وظن الجبل الجبل [3] على بلاد جنفيسة ظافراً ظاهراً ، والحمد لله رب العالمين .

وقد قيل في هذه الغزوة غير هذه المساق وإن سيدنا ومولانا الخليفة رضي الله تعالى عنه عزم على أن يبني حائطا في أضيق موضع من هذه المضايق يمنع به الملثمين من الانصراف إذا انصرفوا حتى يهلكوا في تلك الهضاب ، فأحس تاشفين بذلك ، فهرب نحو مراكش ، ورجعت عنه جزولة من رجراجة ، وقد أُرصِدَ لهم في طريقهم عسكر عليه الشيخ أبو حفص آصناج فقتلهم واستاق من خيلهم

1) كذا ، وربما كانت تحريفا للفظ : فغنمت .
2) في الأصل : يستنفروا .
3) كذا في الأصل ، ولم نهتد إلى وجه في تأويلها

إلى [illegible] ثلاثة الاف [1] فرس اقتسمها الموحدون أعزهم الله تعالى وقووا بها . ثم أنابت جزولة بعد ذلك ووحدوا [2] .

* * *

1) في الأصل : الألف .

2) يكاد ابن القطان ينفرد بهذا الخبر وما تضمنه من تفاصيل حول هذه الغزوة ، انظر كذلك أويثي : تاريخ الدولة الموحدية 1/117 – 118 .

أخبار الأندلس وغيرها في هذه السنة :

منها غزوة الزبير بن عمر [1] ، افتتح فيهاحصن مورة .

[82 ب] وغزوة عسكر شنترين ويابورة لعسكر من النصارى ، أرادوا دخول بلاد المسلمين ، فالتقوا على غير وعدة ، فكانت للمسلمين جولة ، ثم كر المسلمون عليهم . فانهزم النصارى — دمرهم الله تعالى — ، وقتلوا منهم خلقا كثيراً وأسروا منهم جملة ، واحتوى المسلمون على أسلابهم وأنهابهم .

وغزوة المسلمين للسليطين [2] ؛ وذلك أن اللعين طاغية النصارى السليطين

---

1) في الأصل : الزبير بن عمراني ، والصواب ما أثبتنا ؛ وهو أبو محمد الزبير بن عمر ، كان من أعظم قواد المرابطين في الأندلس ، وكان على ما يذكر ابن الخطيب وزيراً لتاشفين بن علي بن يوسف أثناء عمله على الأندلس ، ووصفه ابن الصيرفي بأنه كان ندرة الزمان كرما وبسالة وحزما وأصالة (انظر الإحاطة ط . محب الدين الخطيب - 279/1 ؛ وط . عنان 450/1) ، وقد اشترك في موقعة إفراغة التي هزم فيها المرابطون جيوش ابن ردمير (ألفونسو الأول المعروف بالمحارب ملك أرغون) سنة 528 (انظر ابن الأثير : الكامل 351/8) ، ولما استدعى علي بن يوسف ابنه تاشفين من الأندلس ليوليه عهده خلفه على عمل إشبيلية سنة 533 ثم ضم إليه عمل قرطبة ، وظل عليهما حتى استشهد في المعركة التي دارت بينه وبين مونيو ألنسو Muno Alonso قائد طليطلة المسيحي ، وذلك فى سنة 538 ، وكان الزبير بن عمر عاملا على قرطبة فى سنة 536 بشهادة ابن عبد الملك المراكشي إذ يذكر أنه شهد جنازة الكاتب ابن المرخى المتوفى فى قرطبة فى 17 من ذى الحجة من هذه السنة (انظر ترجمة ابن المرخي رقم 1080 فى المجلد السادس ص 405 ، وتسميه المراجع المسيحية Azuel (انظر « نبذ تاريخية من أخبار البربر » ص 82 ؛ وأويثي : علي ابن يوسف ص 111 ، 113 ؛ وكوديرا : انحلال دولة المرابطين ص 17 ، 27 - 28) وأورد ابن سعيد في المغرب (102/1 ، 242 ؛ 127/2 - 128) أخبار بعض من اتصل به من الشعراء ، ونقل بعض ذلك المقري في نفح الطيب (489/3 - 490) ، وكان في قرطبة متنزه مشهور ينسب إليه ويعرف بمنية الزبير (النفح 471/1) .

أما هذه الغزوة التي يشير إليها ابن القطان فلم تمدنا المراجع الأخرى بأي شيء عنها .

2) كذا ، ويفهم من السياق أن العبارة كان ينبغي أن تكون « وغزوة السليطين للمسلمين » .

غزا [1] أريليه [2] في شهر رمضان المعظم من هذه السنة ، فهدت إليه عساكر الأندلس من جميع أقطارها أجناداً ومطوعة ، ثم كفوا ورجعوا من الطريق ، وأسلموا أهل أريليه [2] ، فحلت بهم الفاقرة ، وقطع عنهم الماء ، واشتد بهم الحصار ، فأسلموا الحصن للنصارى .

وفي هذه السنة هلك سير بن علي بن يوسف في آخر صفر [3] وكان علي بن يوسف قد فتن به وقدمه ولي عهده ، ولم يكن أهلا لشيء ، فعكف [4] على البطالة ، ودخل متسوراً [5] على أخيه عمر يريد زوجته ، فجرح جراحة كانت منيته ، فجزع عليه أبواه .

وفيها كانت ولاية تاشفين بن علي بن يوسف للعهد كما كان أخوه سير قبله في الثامن من شهر ربيع الآخر .

وفيها كانت ولاية الزبير بن عمر لقرطبة [6] وغرناطة .

---

1) إضافة يقتضيها السياق .

2) في الأصل : إريليه ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، وإنما يعني القلعة التي كانت تسمى Aureim والتي أصبح اسمها الإسباني بعد ذلك Oreja ؛ وهذه الغزوة لا نعرف عنها شيئا في المراجع العربية الأخرى ، فابن القطان هو أول من أمدنا عنها ببيان ، أما المراجع المسيحية فقد أفاضت في الحديث عنها معتبرة إياها من أكبر انتصارات الجيوش النصرانية على المرابطين . وتشير إليها الحوليات الطليطلية Annlex Toledanos فتقول إن الامبراطور (أي ألفونسو السابع ملك قشتالة الذي تسميه المراجع العربية السليطين) اقتحم أرض المسلمين واستولى على أريليه المذكورة ، كذلك تشير إلى هذه الغزوة « حوليات الامبراطور Cronica del Emperador » (انظر كوديرا : انحلال دولة المرابطين ص 26) .

3) حول مصرع سير وأقوال المؤرخين في كيفية وقوعه ، وهي أقوال قطع ابن القطان الخلاف فيها بهذا النص الصريح انظر مقالنا « وثائق تاريخية جديدة » ص 133 .

4) في الأصل : فعاكف .

5) في الأصل : مقصورا .

6) في الأصل : للقرطبة .

وفيها وقع الحريق فى سوق مدينة فاس . واحترق من رأس عقبة الخرازين إلى باب [1] واحترق سوق الثياب والقراقين [2] وغير ذلك [3] من الأسواق إلا البقالون ، وكان ذلك فى أول الليل . فتلفت فيه أموال جليلة . وافتقر فيه خلق كثير . فاشتد القاضي علي بن سليمان على أهل الريبة حتى رجع بعض الشيء من أيديهم .

* * *

1) كلمة مطموسة لم نستطع تبينها .

2) القراقون هم باعة الأقراق – جميع قرق (بضم القاف وسكون الراء) وهو ضرب من الأحفاف أو الصنادل . انظر حول هذا اللفظ ومشتقاته ما كتبه دوزى فى ملحق القواميس العربية 334/2 والمقال القيم الذي اختصه به الباحث الأستاذ خايمه أوليفر أسين تحت عنوان « القرق فى الأندلس » : (Jaime Oliver Asin : « Quercus » en la España Musulmana) مجلة الأندلس ، المجلد الرابع والعشرين ، سنة 1959 ، ص 125 - 181 .

3) كلمتان مطموستان لم نتبين منهما شيئا .

المصادر والمراجع
المستخدمة في الدراسة والتحقيق

المصادر والمراجع المستخدمة في الدراسة والتحقيق

1 المصادر

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى) :

إعتاب الكتاب ، تحقيق الدكتور صالح الأشتر ، دمشق 1961

التكملة لكتاب الصلة ، نشر فرانسسكو كوديرا ، مدريد 1887 1889

– الحلة السيراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة 1963

– المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، نشر كوديرا ، مدريد 1885

– المقتضب من تحفة القادم ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، القاهرة 1957

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم) :

-- الكامل في التاريخ ، القاهرة 1348 - 1353 (1929 - 1934)

أحمد بابا التنبكتي (أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر) :

– نيل الابتهاج بتطريز الديباج (على هامش « الديباج المذهب » لابن فرحون ، القاهرة 1351 (1932)

أحمد بن حنبل الشيباني :

- المسند ، القاهرة 1311 (1893)

الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد) :

-- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب « نزهة الآفاق في اختراق الآفاق » ، بتحقيق راينهارت دوزى ودي خويه ، 1866

الإصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين القرشي) :

الأمالي ، ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة 1926

البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) :
الصحيح ، القاهرة 1312 (1894)

ابن بسام (علي بن بسام الشنتريني) :
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت 1979

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن أحمد بن عبد الملك) :
الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ، نشر عزت العطار الحسيني ، القاهرة 1955

البيذق (أبو بكر الصنهاجي) :
أخبار المهدي ابن تومرت ، تحقيق ليفي بروفنسال ، باريس 1928
(ومعه قطعة من المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب)

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة 1929 - 1949

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي) :
- الإصابة في تمييز الصحابة ، القاهرة 1352 (1933)

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) :
- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة 1971

ابن حماده (أبو الحسن علي بن حماده الصنهاجي) :
- النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة
- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، نشر فوندرهايدن ، الجزائر 1927

الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) :

— جذوة المقتبس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة 1952

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) :

— صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب « الروض المعطار في خبر الأقطار ») تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة 1937

الخزرجي (أحمد بن عبد الله) :

— خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال ، القاهرة 1322 (1904)

الخطيب البغدادي (أبو بكر محمد بن على) :

— تاريخ بغداد ، القاهرة 1931

ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي) :

الإحاطة في أخبار غرناطة ، نشر محب الدين الخطيب ، القاهرة 1319

— الإحاطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط . الخانجى ، القاهرة 1973 - 1975

— أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، القسم الخاص بتاريخ الأندلس ، تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت 1956

— أعمال الأعلام ، القسم الثالث الخاص بتاريخ المغرب (نشر تحت عنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء 1964

ابن خفاجة (أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الشقري) :

— ديوانه ، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي ، القاهرة 1960

ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) :

— العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة 1284 (1867)

ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) :
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت 1968 - 1972

أبو داود (سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني) :
السنن ، القاهرة 1348 (1929)

ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن الحسن الكلبي) :
— المطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياري ، القاهرة 1954

ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) :
— المؤنس في أخبار إفريقية وتونس 1286 (1869)

الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز) :
— تذكرة الحفاظ ، حيدراباد الدكن 1333 - 1334 (1914 - 1915)

ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق) :
— العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 4391

ابن الزبير (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم) :
— صلة الصلة ، القسم الثاني ، تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط 1937

ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي) :
— الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ط . دار المنصور ، الرباط 1973

الزركشي (محمد بن إبراهيم اللؤلؤي) :
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تونس 1289 (1872)

السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) :
– طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة 1967

ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسي بن سعيد المغربي) :
– المغرب في حلى المغرب ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة 1953 - 1955

السلاوي (أحمد بن خالد الناصري) :
– الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء 1954 - 1956

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد) :
– الجامع الصغير (انظر عبد الرءوف المناوي)
– شرح سنن النسائي وعليه حاشية الإمام السندي ، القاهرة 1930

ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي) :
– المن بالإمامة على المستضعفين ، السفر الثاني ، تحقيق الأستاذ عبد الهادي التازي ، بيروت 1964

صفوان بن إدريس التجيبي المرسي :
– زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، تحقيق عبد القادر محداد ، بيروت 1949

الضبي (أحمد بن يحيي بن أحمد بن عميرة) :
– بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، نشر فرانسسكو كوديرا ، مدريد 1884 - 1885

العباس بن إبراهيم المراكشي :
– الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، فاس 1936

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى) :
– الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، على هامش الإصابة لابن حجر

العسقلاني ، القاهرة 1358 1359 (1939 - 1940)

عبد الرءوف المناوي :

فيض القدير في شرح الجامع الصغير للسيوطي ، القاهرة 1938

عبد السلام بن سودة :

دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، تطوان 1950

عبد الملك بن حبيب :

- التاريخ الكبير ، مخطوطة المكتبة البودليانية بأوكسفورد ، برقم 127 (وانظر محمود على مكى : مصر والمصادر الأولي للتاريخ الأندلسي في المراجع الأوربية)

ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري) :

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة :

- بقية السفر الرابع والسفر الخامس ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت 1964 - 1965

- السفر السادس ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت 1973

- السفر الثامن ، تحقيق الدكتور محمد بنشريفة ، الرباط 1984

ابن عبد المنعم (انظر الحميري)

عبد الواحد المراكشي :

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة 1963

ابن عذاري المراكشي :

- البيان المغرب في أخبار المغرب :

المجلدان الأول والثاني ، تحقيق ليفى بروفنسال وجورج كولان ، باريس 1948

– المجلد الثالث الخاص بملوك الطوائف ، نشر ليفي بروفنسال ، باريس 1930

– المجلد الرابع الخاص بالمرابطين ، نشره أويثي في مجلة إسبريس ثم أعاد نشره الدكتور إحسان عباس ، بيروت 1967

ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد) :

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مكتبة القدسي ، القاهرة 1350 (1931)

علي بن يوسف الحكيم :

– الدوحة المشتبكه في ضوابط دار السكة ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، مدريد 1960

الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله) :

– عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، الجزائر 1910

الفتح بن خاقان :

– قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، ط . القاهرة 1283 (1866)

ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد) :

– الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، القاهرة 1351 (1932)

ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي) :

– جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، ط . فاس الحجرية سنة 1309 (1892) وطبعة دار المنصور ، الرباط 1973

ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري) :

– قطعة من كتاب « الاكتفا في أخبار الخلفاء » حققها الدكتور أحمد مختار العبادي ونشرها بعنوان « تاريخ الأندلس » ، مدريد 1971

ابن ماجة القزويني (أبو عبد الله محمد بن يزيد) :
- سنن المصطفى ، القاهرة 1349 (1930)

مجهول :
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق الدكتور سهيل زكار والأستاذ عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء 1979

مجهول :
- مفاخر البربر ، نشر ليفي بروفنسال بعنوان « نبذ تاريخية جامعة في أخبار البربر في القرون الوسطى » ، الرباط 1934

مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية ، نشر ليفي بروفنسال ، الرباط 1941

محمد بن تاويت :
- محاضرات في تاريخ التشريع الإسلامي ، تطوان 1961

محمد بن تومرت المهدي :
- أعز ما يطلب ، نشر لوسياني Luciani وتقديم جولدتسيهر I. Goldziher ، الجزائر 1903

محمد بن جرير الطبري :
- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1979

مسلم بن الحجاج القشيري :
- الجامع الصحيح ، القاهرة 1933 (1915)

المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني) :
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت 1968

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) :
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة 1124 - 1126 (1906 - 1908)
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة 1387 (1967)

الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري) :
- مجمع الأمثال ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1955

النباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الجذامي المالقي) :
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره ليفي بروفنسال بعنوان تاريخ قضاة الأندلس ، القاهرة 1949

النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب) :
السنن ، بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي ، ط . القاهرة 1930

النووي (محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي) :
تهذيب الأسماء واللغات ، ط . القاهرة ، المطبعة المنيرية ، بدون تاريخ

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) :
- نهاية الأرب في فنون العرب ، الجزء الخاص بتاريخ المغرب والأندلس ، نشر وترجمة المستشرق جاسبار رميرو Gaspar Remiro في مجلة المركز التاريخي للأبحاث الخاصة بمملكة غرناطة Centro de Estudios Historicos del Reino de Granada, 1917 - 1919

الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني) :
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، بيروت 1981

2 المـراجـع العربية

أ - كتب :

حسن إبراهيم حسن :
تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة 1958

— حسن أحمد محمود :
قيام دولة المرابطين ، القاهرة 1957

— حسن حسني عبد الوهاب :
الإمام المازري ، تونس 1955

— محمد المنوني :
العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ، تطوان 1950

ب - أبحاث ومقالات :

دكتور أحمد مختار العبادي :
— دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية وأهميته في تاريخ المرابطين والموحدين ، مجلة تطوان العدد الخامس سنة 1960

دكتور حسين مؤنس :
— الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين مع أربع وثائق جديدة ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، المجلد الحادي عشر ، الجزء الثاني ديسمبر 1949 ص 91 - 143

نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الثالث ، سنة 1955 ص 97 - 140

– سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس ،
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الثاني ،
سنة 1954 ص 57 84

دكتور عبد العزيز الأهواني :

– ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة ،
مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، مايو ١٩٥٧

دكتور محمود على مكى :

– التشيع في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية
بمدريد ، المجلد الثاني سنة 1954

– مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي
(انظر قائمة المراجع الأوربية)

– وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة معهد
الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلدان السابع والثامن
1959 - 1960 ص 109 - 198

جـ – كتب مترجمة :

– يوسف أشباخ :

تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة الأستاذ
محمد عبد الله عنان ، القاهرة

– أنخل جونثالث بالنثيا :

تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ،
القاهرة ١٩٥٥

2 المراجع الأوربية

- Aguado Bleye, Pedro :

Manual de historia de España,Espasa-calpe, Madrid, 1947 .

أجوادو بليبه ، بدرو : موجز تاريخ إسبانيا ، مدريد 1947

- Alarcon, Maximiliano :

Lámpara de l05 principes, de Abu Bakr al-Turtusi, Madrid, 1930

ألاركون ، مكسيميليانو : ترجمة إسبانية لكتاب « سراج الملوك » لأبي بكر الطرطوشي ، مدريد 1930

- Bel, Alfred :

Les Benou Ghanya, Paris, 1903

بيل ، ألفريد : بنوغانية ، باريس 1903

- Bosch Vila, Jacinto :

Los almoravides, Tetuan, 1956

بوسك فيلا ، خاثينتو : المرابطون ، تطوان 1956

- Brockelmann, Carl :

Geschichte der Arabischen Literatur, ed. Leyden, 1943

بروكلمان ، كارل : تاريخ الأدب العربي ، ليدن 1943

- Brunschwig, Robert :

Un Aspect de la literature historico-géographique de l'Islam, Mélanges Gaudefroy Demombynes, Le Caire, 1936 - 1945

برونشفيج ، روبير : مظهر من مظاهر الأدب التاريخي الجغرافي في الإسلام ، بحث في مجموعة الدراسات المهداة لذكرى جودفروا ديمومبين ، القاهرة 1936 - 1945

Codera, Francisco :

Estudios Criticos sobre la historia arabe española, Vol. ix, Zaragoza, 1917

فرانسسكو كوديرا : دراسات نقدية عن تاريخ الأندلس ، المجلد التاسع ، 1917

Decadencia y desaparicion de los almoravides, Zaragoza, 1899

Dozy, Reinhardt :

Supplément aux dictionnaires arabes, Paris-Leyden, 1927

رينهارت دوزي : ملحق القواميس العربية ، باريس ليدن 1927

Recherches sur L'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge, Leyden, 1881

أبحاث حول تاريخ إسبانيا وأدبها خلال العصور الوسطى

Ferriol :

Les ruines de Tinmel Héspéris, 1922

فيريول : أطلال تينملل ، مجلة إسبيريس 1922

Gaspar Remiro, Mariano :

Historia de Murcia Musulmana, Zaragoza, 1905

جاسبار ريميرو : تاريخ مرسية الإسلامية ، سرقسطة 1905

- Huici Miranda, Ambrosio :

Historia politica del imperio almohade, Tetuan, 1956

(أويثي ميراندا ، أمبروسيو : التاريخ السياسي لدولة الموحدين ، تطوان 1956)

Las grandes batallas de la Reconquista, Madrid, 1956

(المعارك الكبرى في حرب الاسترداد المسيحي ، مدريد 1956)

Ali b. Yusuf y sus empresas en al-Andalus, en Tamuda, Tetuan, 1959, pp. 77 - 122

(على بن يوسف وأعماله في الأندلس ، مجلة تامودا ، 1959ص 77 - 122)

- E. Lévi-Proven,Cal:

Six fragments inédits d'une chronique anonyme du début des Almohades, Mélanges René Basset, Paris, t. 11, pp. 335 - 393

(ليفي بروفنسال : ست قطع مخطوطه من تاريخ مجهول المؤلف حول بداية

دولة الموحدين ، مجموعة الدراسات المهداة لذكري رينيه باسيه ،
باريس ، 1925 ص 335 - 393

Notes d'histoire almohade, Héspéris, 1930

(ملاحظات حول تاريخ دولة الموحدين ، مجلة إسبيريس 1930)

- **Pons Boigues,** Francisco :

Ensayo biobibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-espanoles,
Madrid, 1898

(فرانسسكو بونس بويجس : المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون ، مدريد
1898)

- **Menéndez Pidal,** Ramón :

La España del Cid, Madrid, 1947

(رامون منندث بيدال : إسبانيا في عصر السِّيد ، مدريد 1947)

Oliver Asin, Jaime :

Quercus en la España Musulmana, Al-Andalus, Vol. xxiv, 1959, pp. 125 - 181

(خايمه أوليفر أسين : القُرْق في الأندلس ، مجلة الأندلس ، المجلد الرابع
والعشرون ، سنة 1959 ص 125 - 181)

Henri Terrasse& Basset :

Sanctuaires et forteresses almohades,

(هنري تيراس وباسيه : المشاهد والقلاع الموحدية)

Makki, Mahmud A. :

Egipto y los origenes de la historiografia árabe-española, Revista del instituto Egipcio
de Estudios islámicos en Madrid, vol. v, 1957, pp. 157 - 248

(محمود مكي : مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي ، صحيفة معهد
الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الخامس 1957 ص 157 - 248)

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الشعر

- ويرجع الأمر إلى عدنان
لماجد قد خص من عيلان

من بحر الرجز . منسوب لابن عبد ربه — ص [illegible]

- جاء وفي يساره قوس وفي اليمنى قدح

من مجزوء الرجز لأبي بكر ابن مجبر المرسي — ص [illegible]

- إذا رتل القرآن في جنح ليله أبي بن كعب لم يفز مخارق

من الطويل مجهول القائل ، تمثل به ابن القطان — ص [illegible]

- ألا فاقدروا قدر هذا المقام فهذا الإمام وهذا الإمام

من المتقارب — لابن القطان — ص [illegible]

فهرس الأعلام

(*) هذا الفهرس لأعلام الناس ... أسماؤهم سواء في متن الكتاب أو في حواشيه ، مرتباً على حروف المعجم ، بعد حذف كلمات أب وابن وأداة التعريف ، وقد أدخلت فيه الكنى والأنساب والألقاب .

(الحاء)

(الخاء)